سجل يا تاريخ :

الثورات والانقلابات

« في ذاكرة العالم العربي »

كتاب يتضمن فيما يتضمنه دراسات موجزة اجتماعية
وسياسية وتاريخية واقتصادية عن الثورات والانقلابات
بالعالم بصورة عامة ويتضمن بصورة خاصة نفس
الدراسة المذكورة عن الثورات
والانقلابات في سوريا وسائر
انحاء العالم العربي

« طالع محتويات الكتاب في المقدمة »

« في ١٩٥٤/٥/٦ »

اخرجت هذا الكتاب دار الحداد على حسابها

كلمة للمؤلف عن محتويات هذا الكتاب

يكاد كتابنا هذا ان يكون خاليا من الابداع ، فكاني كما يقول وليم جيمس عن قسم من كتاب له انه جمعه من هنا وهناك وذلك بقص فصوله من مؤلفات الغير بمقص حاد ، اقول كأني جمعت انا ايضا ولكن ليس قسما من كتابي فحسب بل كل كتابي تقريبا من هنا وهناك .

ولكن هذا الكتاب اذا خلا من الابداع فأنه غزير بالترجمة والجمع وتدوين الملاحظات الحادة .

« لقد كنت مصورا فوتوغرافيا التقط صوري من انحاء العالم ولكن ليس بواسطة عدسة المصور بل بالملاحظات » .

واذا قصدت شيئا من هذا الكتيب فانما اقصد خدمة الشرقيين لا اكثر ، ليساهموا بدورهم في خدمة الانسانية والكائنات الحية المسالمة الوديعة :

تلك هي غايتنا الاولى في هذا العالم الصاخب الذي نأمل له الخير .

وقد تجنبت في هذا الكتاب التعقيد وجعلت اسلوبه سهلا بسيطا حتى يتمكن الرأي العام من فهمه وادراك غايته ولم اذكر فيه المستندات بصورة عامة حتى لا يشكل الامر ويضيع القارىء والاحظ ان كثيرا من اخبار هذا الكتاب هو ملاحظات للمؤلف عن عصرنا الحاضر واستطاعة القارىء ان يدرك اكثرها بنفسه اما بالعين فعليه اذن ان يجول العالم واما بالذاكرة فعليه اذن ان يحدث المطلعين ويقرأ المنشورات والصحف والمجلات العالمية .

المؤلف :

تيسير جيفي

اهداء الكتاب

الى الفيلسوف الالماني فيلسوف كوينسبرغ : امانويل (كانت) والى الفيلسوف اليوناني فيلسوف آثينا : بلاتون ابن اريستوكليس .

كان الاول فيلسوف النظام والقوة والارادة وكان الثاني فيلسوف احترام القانون .

ولد كانت في عام ١٧٢٤ في مدينة كوينسبرغ في مقاطعة ليتوانيا من بروسيا الشرقية وتتصف بروسيا الشرقية منذ القدم بقوة اهلها وجبروتهم وحبهم للروح العسكرية النظامية وقد تألف فيها اعظم جيش في اوروبة بالنصف الثاني من القرن التاسع عشر من حيث القوة والنظام والفن العسكري . وقد استطاع الرجل الحديدي بيسمارك ان يخلق المانيا بواسطة هذا الجيش اي بالحديد والنار كما قال . فلا غرابة اذن ان تؤثر بيئة بروسيا الشرقية النظامية القوية على شخصية (كانت) فتجعل منه فيلسوف النظام والقوة والارادة .

قلنا ان كوينسبرغ مدينة في مقاطعة ليتوانيا من بروسيا الشرقية ولكن اسم هذه المدينة قد تبدل اليوم وصارت تدعى كالينينكراد . وقد توفي (كانت) عام ١٨٠٤ اي عاش ثمانين عاما رغم سوء صحته وضعف بنيته . واظن ان حياته النظامية ساعدته على الاستقرار النفسي والراحة . مما سمح له ان يعيش هذا العمر الطويل بالنسبة له فلقد وضع مؤلفات قيمة فيها جهد وعذاب منها : نقد العقل المحض ، ونقد العقل العملي ؛ ونقد الحكم .

يقول (كانت) : اننا نفهم الاشياء بصورة الحوادث بقدر ما تعطي لنا مكيفة بالزمان والمكان الذين هما من صور الحساسية ؛ ولكن الاشياء هذه غير قابلة بتاتا

لافهم بقدر ما هي اشياء بذاتها choses en soi او noumènes .

ويقول (كانت) ايضا : « القاعدة الاخلاقية او القانون الاخلاقي يفترض الحرية ووجود الله وازليته » .

ان اشد شيء يلفت النظر في هذا الفيلسوف هو حياته النظامية فكان يزن ثيابه حتى يعرف ضغطها على جسمه وكان يحسب كمية طعامه ويحدد نوعه وكان ينام عدداً معينا من الساعات ويتنزه في وقت معين وفي طريق معين حتى ان المواطنين كانوا يصححون ساعاتهم على مشيته فهو لا يرى بمكان معين اثناء النزهة الا بنفس اللحظة .

واتفق مرة ان جاء ليلقي الدرس بالمدرسة فلم يجد بقاعة الدرس احدا من الطلاب ولكنه باشر بشرح الدرس كما لو كانت قاعته مليئة بالطلاب ولم ينفك عن الشرح حتى انتهى منه وانصرف وقد قال بهذا الصدد :

« يجب ان نقوم بالواجب لاجل الواجب لا لغاية اخرى »

ومن الغرائب التي تروى عنه انه لم يبدل طريق نزهته ويأخذ طريقا اخر الا مرة واحدة وهي المرة التي جاءه بها خبر الثورة الفرنسية واذا كنت تريد ان تعلم سبب تبديل الطريق فهو بلا شك حبه لاخبار الثورة الافرنسية فقد كان « كانت » يعتبر الثورة الافرنسية واعمالها تطبيقا لافكاره ومعتقداته (ويتضح ذلك من مؤلفاته) .

ان سلوك هذا الرجل ومؤلفاته وخصوصا في فلسفة الاخلاق والنظام والارادة قد ادت الى ثورة على الفوضى وعدم الاستقرار فقد كانت مؤلفاته اعظم مؤلفات عرفها التاريخ في تثبيت دعائم النظام . وقد اخذت المانيا وسائر الدول في العالم مفهوم روح النظام وخصوصا النظام العسكري عن مؤلفات هذا الرجل .

اننا نعتبر (كانت) اليوم المنبع الاول لروح النظام في العالم =

اما بلاتون ابن ارستوكليس فقد ولد عام ٤٢٩ قبل المسيح وهو فيلسوف يوناني مشهور وعالم واديب وطبيعي ورياضي عاش في أثينه وذهب لايطالية ولمصر وقد أثرت السياحات في فلسفته . كان تلميذ سقراط وكان استاذ المعلم الاكبر ارستوت وقد توفي عام ٣٤٧ ق . م . ألف كتبا قيمة منها محاورات : كريتون فيدون ، فيدر ، جورجياس ، البانكيت ، الجمهورية ، النوامين ؛ وغيرها . وكان يجعل استاذه سقراط يتكلم في مؤلفاته .

وفي محاورات (البانكيت) يرسم بلاتون صورة بديعة لاستاذه سقراط وينتقل من الجمال الجسماني الى الجمال الروحاني ومنه لفكرة الجمال الكامل الازلي .

وطريقة بلاتون طريقة جدلية وقد كللها بنظرية الافكار : فهو يقول : (ان الحقيقة التي هي موضوع العلم ليست موجودة بالحوادث الخاصة والعرضية ولكنها موجودة بالافكار التي هي نماذج محضة لكل مجموعة من الكائنات وان في رأس هذه الافكار توحد فكرة الخير .

ويهمنا هنا من هذا الفيلسوف ما ذكره في كتاب (القوانين) فهو وان كان يقول فيه انها موضوعة لمنفعة الحاكمين (الفئة الحاكمة) ولكنه يرى الحياة الاجتماعية ايا كانت تتطلب احترام القانون والا تحولت الى فوضى ولهذا الرجل نظرة مثالية بالعقاب تستحق الذكر فهو يناشد المرتكب والجاني وكل من يطوله القانون بأن يأتي من تلقاء نفسه للحاكم ويطلب منه ان يعاقبه قدر ما يستحق (لا ان يفر) ، وهكذا يصبح العقاب في نظر بلاتون اخلاقيا اما العقاب القسري اي العقاب بدون رغبة داخليه من الجاني فهو عقاب خارجي غير اخلاقي لان الحرية وعدم الاكراه على اتيان او تحمل عمـــل اي شيء من صفات العمل الاخلاقي وشرط من شروطه

هذا هو بلاتون ، شخصية اخلاقية شخصية مثالية يطلب من المجرم وكل من

يرتكب ذنباً ان يأتي بنفسه لقاعة المحاكمة حتى يبقى العقاب مشروعاً واخلاقياً في نظره وحتى يكفر المجرم او المذنب عن سيئاته وحتى يبقى شريفاً ذا اخلاق مقبولة وحتى يبقى العقاب اخلاقياً وحتى يبقى الحاكم وعقابه غير معترض عليه من الوجهة الاخلاقية .

اني اهدي كتابي الى (كانت) رغم ما في هـــذا الرجل من ذلات حتى يتذكر العالم وبصورة خاصة جيوش العالم العربي هذه الشخصية النظامية فلعلهم يعودون الى ثكناتهم ولا يخرجون منها ثانية الا للقضايا الخارجية المتعلقة بمصلحة البلاد الخارجية ولعلهم يتركون الحياة المدنية وشأنها .

اني اهدي كتابي هذا الى (بلاتون) رغم ما في هذا الرجل ايضاً من ذلات حتى يتذكر العالم العربي وبصورة خاصة مواطنوا العالم العربي هذه الشخصية الاخلاقية فلعلهم يتعظون بها ويخضعون للقانون ويخففون من اثارة الفوضى والشغب ويتجنبون في حياتهم المدنية اختراق القانون ومخالفاته ، وارتكاب الجرائم والذنوب ، وبصورة خاصة لعل الجناة الفارين ؛ والمستترين يأتون وخصوصاً الجناة الكبار امثال اتباع اديب الشيشكلي في سوريا يأتون من تلقاء انفسهم الى قاعة المحكمة ويطلبون من الحكام ان يحاكموهم ويعاقبوهم كما يستحقون .

اذا مات (كانت) ومات قبله (بلاتون) : فان بعض افكارهما لم تمت وستبقى ما بقيت البشرية ، ومادامت البشرية بحاجة الى بعض افكارهما على الاقل والعالم العربي باشد الحاجة اليوم الى الايمان بهذا البعض .   فليتنبه . —

نداء هام :

الى السلطات التشريعية الشرعية بالعالم العربي ، الى المناضلين فيه للوصول لعالم افضل ، الى جيوش العالم العربي ، والى جميع مواطنيه اوجه بصورة خاصة ندائي هذا بلزوم مطالعة هذا الكتاب والأمل في غايته التي ترمي الى حفظ استقلاله في هذه الظروف العصيبة ، وتأسيس دولة حقوقية ، وخدمة الانسانية والكائنات الحية المسالمة الوديعة .

مقدمة :

يعاني العالم اليوم ازمات سياسية خطيرة مرتكزة على اسس مادية وهو يتأهب الى حرب ضروس لا تبقي ولا تذر وظهر انه يحاول ان ينقسم الى معسكرين لا ثالث لهما ويعاني العالم العربي بصورة خاصة ضغط هؤلاء الدول التي تؤلف هذين المعسكرين او ستؤلفهما ويعاني عالمنا ايضا ازمات اقتصادية وازمات سياسية خطيرة قد ينتج عنها اخطار كبيرة وتحدث الانقلابات العسكرية بغزارة ، وبشكل مخيف ويدوم احيانا الحكم العسكري او يذهب ويعود بتأثير انقلابات جديدة . لذلك رأينا ان نصدر هذا الكتاب الى قراء العالم العربي بصورة خاصة لعله يتقي نفسه من النار الخارجية التي قد تلتهمه لعله يتجنب الانقلابات والفوضى ويسهر على نفسه

والموضوع الاساسي لكتابنا هذا هو الانقلابات العسكرية ، ولما كانت كثرة الانقلابات تؤدي الى الفوضى كان لا بد لنا من الدعوة لاحترام القانون والنظام ومعاقبة الخارجين على القانون والنظام ولذلك قسمنا كتابنا هذا الى كتابين:

الكتاب الاول : في احترام القانون والنظام

الكتاب الثاني : في العقاب ومعاقبة الخارجين على القانون والنظام .

الكتاب الاول : وقد تضمن الاقسام التالية :

١ ـ نداء الى مواطني العالم العربي والشرق وحكوماتهم لاحترام القانون

٢ ـ ونداء الى الجيوش العربية والشرقية للتحلي بالروح النظامية .

٣ ـ نداء الى الحكومات الشرعية ورجالات البلاد لاعادة طبع هذا الكتاب

٤ ـ مفهوم الدولة الحقوقية .

٥ ـ حاجة العالم العربي الى احترام القانون والنظام .

٦ ـ امثلة من امم العالم على احترام القانون

٧ ـ امثلة من جيوش العالم على احترام النظام

٨ ـ بيان خطأ من يضربون الامثلة على صلاح الحكم العسكري .

٩ ـ الثورات والانقلابات .

١٠ ـ الحكم العسكري والحكم المدني والحكم الدكتاتوري .

١١ ـ العظة والدرس التاريخي من الانقلابات .

١٢ ـ امكانية احداث انقلاب بطريقة شرعية .

الكتاب الثاني : في العقاب ومعاقبة الخارجين على القانون والنظام : وقد تضمن الاقسام التالية :

١ ـ الشبه بين اوضاع فرنسا الغير الشرعية في عهد الجنرال بيتان وبين اوضاع العالم العربي الغير الشرعية .

٢ ـ كيف تصفت الاوضاع الغير الشرعية لفرنسا بعد الحرب العالمية الثانية

٣ ـ كيف يجب ان تصفى الاوضاع الغير الشرعية في كل قطر من اقطار العالم العربي التي حدثت او تحدث بها انقلابات

٤ ـ الاعتراف بجميل من اعادوا العهد الشرعي (او ساعدوا على اعادته) او

من لم يعترفوا على العهد الغير الشرعي ، او ناهضوه ، وتقديرهم جميعا كل بقدر ما يستحق ، ونحت التماثيل لرجالات العالم العربي وانشاء : مقر او مرقد العظماء

٥ - نتائج العقاب

٦ - ذكر ما يتعلق بالعقاب من بيان وزارة السيد صبري العسلي (بدون تعليق)

« ان تصفية العهود الغير الشرعية تصفية قانونية هي من غاية هذا الكتاب وهي امانة في عنق من ادركوها وان طلب تحقيقها هو وثيقة المؤلف والمؤمنين بذلك . »

الكتاب الاول

القسم « ١ » :-

نداني الى مواطني العالم العربي والشرق وحكوماتهم لاحترام القانون

ايها المواطن :

انك تريد ان تعيش مطمئنا آمنا وهذا لا يتأتى لك الا اذ قمت بواجبك نحو احترام قانون بلادك .

ايتها الحكومات

ان من الاسباب الجوهرية التي تودي بالحكومات والتي اودت بالحكومات السابقة في بلادنا ، هي عدم اكتراث هذه الحكومات بواجباتها واحيانا التغاضي عن تنفيذ القوانين وحينا اختراق هذه الحكومات لحرمة الدساتير او القوانين المرعية .

فاذا اردنا جميعا مواطنين ، وحكومة ، ان نستحق اسم الدولة فعلينا اذن الايمان بالقانون وتطبيقه .

ايها الشعب :

ادرك حقوقك وواجباتك السياسية واسهر بنفسك على حقوقك

ودافع عنها ، بتضامنك، فالقانون يطلب منك ايضا ان ترعى وتحافظ وتدافع عن حقك

ايتها الحكومات :

طبقي القانون ، على الكبير والصغير، والغني والفقير ، والامير والحقير ،

ليتساوى الجميع امام القانون فلعلك بهذا العمل تقومين بقسم من واجبك ..

القسم (٢) : ندائي الى الجيوش العربية والشرقية للتحلي بالروح النظامية.

ان اعظم خطأ في تاريخ العالم العربي ترتكبه الجيوش العربية هو تدخلها فيما لا يعنيها، تدخلها في الامور المدنية التي ادت الى التقهقر بنا الى الوراء ، فقد اوشكت ان تنتشر الفوضى في بعض الاقطار .

اني اناشد الجيوش العربية ان يعودوا الى ثكناتهم ولا يخرجون منها الا لمصلحة الوطن الخارجية او حفظ الامن الداخلي عند الحاجة بناء على طلب السلطة العليا في الدولة . اني اناشدهم ان يغسلوا ما اصابنا واصابهم من عار ، فيلتزموا حدودهم ويقومون بواجباتهم ويطالبون بحقوقهم . حتى لا تنتشر الفوضى ، فعلينا نحن اليوم مواطنين ؛ وجيوشا ، امة وحكومة ودولة ان نكون يقظين من مناورات الدول الاستعمارية ، ويجب ان لا تكون جيوشنا اداة لهم في الحرب الآلية ولا مرافقنا مرتعا لاستثمارهم وان نقف اسياد نفوسنا .

القسم : (٣) ـ ندائي الى الحكومات الشرعية ورجالات البلاد لاعادة

طبع هذا الكتاب.

لقد اثرت الانقلابات العسكرية في ذاكرة المواطنين (كما سترى في بحث الانقلابات في هذا الكتاب) والمواطنون سوف ينقلون اخبارها باحاديثهم لابنائهم وسوف تنتقل من الابناء الى ابناء الابناء والى اخره ... ان لم نتلاف الخطر .

واري ان محاولة نزع هذه الفكرة بالتوجيه والادراك والارادة ، قبل ان تصبح مرضا او قبل ان تتخذ لها مكانا ثابتا في اللاشعور وتتمركز فيه وتؤثر فيما بعد بالمناسبات تأثيرا عنيفا وتتكرر المأساة التي تلاقيها اليوم ،

اقول اري ان محاولة نزع هذه الفكرة باكرا بالتوجيه والادراك والارادة هي خير من تركها ان لم تكن خير علاج عاجل لها ، فالملاجات الحقيقية هي مادية وعلاجنا هذا هو اخلاقي ارادي ولكنه خير من لا شيء ، وعليه يقتضي علينا ان نجعل على الاقل كل فرد من افراد العالم العربي يشعر بهذه الفكرة ويدرك اخطارها الكبيرة ، فتنتقل بهذا الادراك من اللاشعور الى الشعور ثم ينزعها من شعوره بسهولة فتموت وقد لا تخلق من جديد بعد ذلك وقد نكون تلافينا كل اخطارها وللوصول لهذه الغاية اقول : حبذا لو تكلفنا حكومات العالم العربي الشرعية او رجالاته العاملون في خدمته لاعادة طبع هذا الكتاب بشكل تربوي اخر يصلح لتوجيه الصغار من ابناء الجيل الجديد لتلقينه لتلامذة المدارس . حبذا ايضا لو تكلفنا هذه الحكومات او هذه الرجالات لاعادة طبع هذا الكتاب على حالته الراهنة للحصول على ملايين من نسخه وتوزيعها بصورة رسمية على جميع مواطني العالم العربي بما فيهم افراد الجيوش العربية ، لعلنا عن طريق هذا العمل نستأصل فكرة الانقلابات العسكرية في نفوسنا استئصالا تاما بالتوجيه والادراك والارادة فلعلنا اذ استطعنا الى ذلك سبيلا لا ندع لهذه الفكرة الهدامة مجالا للتمركز في نفوسنا والفعل فينا بتاتا وعلى مر الزمان

القسم (٤) — مفهوم الدولة الحقوقية « ١ »

تتألف الدولة الحقوقية في شرع العلوم الاجتماعية (اليوم) من ثلاثة عناصر :

١ — ارض معينة

٢ — تعيش عليها امة

٣ — تألفت منها حكومة تسهر على القوانين وتطبقها .

ولا نريد هنا ان نحلل معنى الدولة الحقوقية ولا نريد ايضا ان نحلل معنى الامة لان موضوعنا ليس هنا ولكن لا بد لنا من تعداد عناصر الامة واستحسن استعمال كلمة « عوامل نشوء الامة وتكوينها » بدلا من كلمة « عناصر الامة » .

ليست الامة مجموعة من الافراد ساقتهم الظروف والاقدار ليعيشوا مجتمعين مع بعضهم، بل ان الامة شخصية جديدة هي غير شخصية افرادها وكما ان للحوادث الطبيعية قوانين تهيمن عليها فكذلك للامة قوانين تهيمن عليها وهي غير القوانين التي تهيمن على الفرد

والعلم اليوم الذي يدرس الامة والمجتمع والجماعة هو علم الاجتماع وهو علم حديث العهد وحقائقه وقوانينه لا تزال ضئيلة ولكنـــه في طور النمو واعظم علمائه في التاريخ هما « اوكست كومت (مؤسس علم الاجتماع) واميل دوركهايم صاحب المؤلفات المشهورة بهذا الصدد، اما ابن خلدون فلقد لمح تلميحا على هـذا العلم ومر عليه مرور الكرام في مقدمته المشهورة .

ونذكر من الباحثين في القضايا الاجتماعية الاسماء التالية :

---

(١) : سيرد في هذا الكتاب على لساننا كلمة جماعة او كلمة قومية او كلمة وطن او كلمة امة ، والمؤلف لا يؤمن بهذه المفاهيم الا كواقع فقط فهو يدين بالانسانية والعالمية ولو انه يتصرف تصرفا قوميا وطنيا في كتابه لان تصرفه هذا تصرف عرضي موقت ولن يدوم الا ما دامت النزعات الوطنية والقومية قائمة بالعالم وسيزول حين ما تزول

مونتسكويو ، جان جاك روسو ، كارل ماركس ، هربرت سبنسر ، ارنست رينان ، ادوار ماير ، ماكس شميت ؛ فون لوشان ، والتر سيمرمان ، بول كريشه ؛ توراليف شيلدروب ، ابي ؛ الفريد فيركندت ، جوزيف كولر ، مارتن هارتمن ، كوستاف لوبون ،

جوهانيت ، موليرلير ، ارنست باركر ، جنكس ، مكيفر ؛ ولف ، ماتسيني ، هيجل ، كونرددجل ، الرئيس الاميركي ويلسون ، ديلي ؛ توماس هكسلي ، هوبهوس ؛ جدنجز ، لورنس ، بايندو ، جي . جي . اتكنس ، لوتورنو ، سبارجو ، فريدريك انجلس ، جون لوك ، مكدوجال ، وغيرهم ، ومن يرغب في مطالعة اخبار الساعة في هذا العلم ، فليرجع الى سلسلة الاعداد التي تنشرها اليونسكو تحت عنوان : نشرة المراجع الدولية لعلم الاجتماع ليهتدي بها الى اسماء علماء حديثين ومؤلفاتهم الحديثة

ومن هؤلاء الباحثين الذين ذكرنا اسماءهم من جاؤوا قبل اوكست كومت مؤسس علم الاجتماع ومنهم من عاصروه ومنهم من جاؤوا بعده . الا ان الاسس التي وضعها كومت لعلم الاجتماع لم يخلص لها الا قسم من الباحثين بل ان كومت نفسه الذي طمح الى انشاء هذا العلم دفعة واحدة ، وهذا غير معقول فالعلم نتاج تاريخي لعلماء البشرية ، اقول ان كومت نفسه الذي طمح الى انشاء هذا العلم دفعة واحدة سهى عن اسسه التي لا تزال الاسس المعتبرة الى اليوم .

وقد صدرت مؤلفات عربية (او ترجمات) عن العلوم الاجتماعية وما يدور حولها وبصورة خاصة عن نشوء الامم يحسن بالقاريء مطالعتها وهذه هي اسماؤها واسماء مؤلفيها اومترجميها :

نشوء الامم - انطون سعادة

علم الاجتماع - مصطفى فهمي

القضايا الاجتماعية الكبرى في العالم العربي - الدكتور عبد الرحمن شهبندر

علم الاجتماع - نقولا حداد

سر تطور الامم - فتحي باشا زغلول

الانسان والجماعة - حنا نمر

روح الجماعات - فتحي باشا زغلول

علم الاجتماع - انطون المقدسي ورفاقه

روح الثورات - محمد عادل زعيتر

وقد اختلف الباحثون المذكورون اعلاه وغيرهم في عوامل نشوء الامة وتكوينها . وذكر السيد انطون المقدسي العوامل الاتية :

١ - الارض

٢ - العرق

٣ - العامل السياسي

٤ - العامل الاقتصادي

٥ - العامل الديني

٦ - اللغة

٧ - التاريخ .

اما نحن ، فاننا ولو كنا نرى الكفاية في هذه العوامل الا اننا نذكر العوامل التالية المقابلة تقريبا للسابقة :

١ - الوطن او ارضا معينة بحدودها

٢ - استمرار ارادة الجماعة ان تحيا في ظل القانون وتؤلف دولة

٣ - العرق ووحدة الاصل ، والسلالة

٤ - الصفات المشتركة الناتجة من الحياة الاجتماعية الواحدة ومن تفاعل

افراد الجماعة مع بعضها البعض ومن تفاعلها مع الارض التي يعيشون عليها . ومن قابليتها للتأثر بالعالم الخارجي والتيارات الخارجية الفكرية : الدين ، والتقاليد ، والعادات الاجتماعية ، والاذواق ، والازياء ، والثقافة ، والعلم ؛ والقوانين ؛ والانظمة ، والاداب ، وطريقة الحياة ؛ والمظاهر العامة للثقافة .

٥ـ التاريخ والمصير المشترك في الزمان ، النكبة المشتركة بالتاريخ ، السعادة المشتركة بالتاريخ

٦ ـ المدى الحيوي والاندفاع الحيوي والحياة البيولوجية الاجتماعية وادوارها والتطعيم البيولوجي الاجتماعي ، دور الطفولة ؛ دور القوة والفتوحات والتوسع دور الشيخوخة والتقلص ، دور الانقراض اوالتطعيم وقد يعتري الامة او الجماعة التطعيم ايضا في اي دور من ادوار حياتها

٧ ـ اللغة

٨ ـ الروح ، وحدة الروح في الحاضر ، في الماضي

٩ ـ الحياة ، وحدة الحياة البيولوجية في الحاضر ، في الماضي

١٠ ـ الوضع الطبيعي الذي يساعد او يعيق صهر الامة بعضها البعض عن طريق الاحتكاك

١١ ـ الوضع الجغرافي ، الذي يجعل للبلاد او يحرمها من مركز عالمي مرموق بين الامم

١٢ ـ المصلحة الاقتصادية المشتركة الراهنة : الحياة العلمية ، الحياة الاقتصادية ، الحياة التجارية ، الحياة الصناعية ، الحياة الزراعية ، والتبادل في كل ذلك بين الافراد .

١٣ ـ النضال السياسي (كنضال الاسر المالكة)

١٤ ـ اثر الاستعمار في ايقاظ الشعور القومي وبالتالي في نشوء وفي تكوين الامة .

١٥ - العلم والاخلاق والتوجيه والشعور والوجدان المشتركان

« وقد قال احمد شوقي :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت   وانهم ذهبت اخلاقهم ذهبوا »

١٦ - السعادة المشتركة الراهنة

١٧ - النكبة المشتركة الراهنة

١٨ - الخوف الراهن من خطر خارجي

١٩ - السلامة من الاخطار الطبيعية والغوائل

٢٠ - مبدأ السلامة .

٢١ - التطلع الى المستقبل بنفس النظرة وتصور نفس الامال

« انتهى ذكر وتعداد العوامل »

ويمكن ارجاع بعض هذه العوامل الى بعضها الاخر او دمج عدة عوامل تحت عامل وحيد يكون بمثابة حاصلة لها بحيث يصبح عدد العوامل سبعة كما ورد على لسان المقدسي ورفاقه . ولكن آثرنا هذا الترتيب لانه اوضح من ذاك ولان الباحثين لم يتفقوا على هذه العوامل واختلفوا في نظرتهم اليها بل انهم يختلفون حتى في تفسير وايضاح وتحديد العامل الواحد احيانا ولو كانوا متفقين عليه بالاجمال ولذلك اري ان العوامل التي ذكرتها هي خير من العوامل التي يذكرها المؤلفون عادة والتي يكثر الاخذ والرد في تفسيرها لان كل عامل منها على الارجح يتضمن عدة عوامل بدوره ولكن الحقيقة يجب ان تقال وهي ان الاخذ والرد والانكار والموافقة في هذا البحث مسألة لا بد من الاعتراف بها في هذه الايام (ولكن الويل اهون من الويلين) فكل عالم يتمسك برأيه ويأخذ ما يأخذه من هذه العوامل ويسقط ما يستثقله ويفسر العامل احيانا كما يريد

فلقد تمسك النازيون بالعرق اما فون ايهرن فقد تمسك بالارض والى اخره ..

ونرى المؤلف ان بعض هذه العوامل هو سبب في نشوء الامة وتكوينها وبعضها الاخر نتيجة من نتائجها الاسبب اي ان بعضها مؤثر والبعض الاخر نتيجة او صدى لوجود الامة ولكن جميع هذه العوامل (المؤثر والصدى) كلها تؤثر متى وجدت وتعمل في نشوء الامة وتكوينها : فكما ان المادة تؤثر فتولد العقيدة مثلا ثم تعود العقيدة فتؤثر بالمادة فكذلك هو الحال مع هذه العوامل التي بعضها مؤثرة وبعضها ناتجة من وجود الامة ولكنها جميعا تعمل في نشوئها وتكوينها .

ونرى ايضا ان اختلاف العلماء حول عوامل نشوء الامة وتكوينها يعود الى تفكيرهم الشخصي والى انهم لا ينظرون الى الموضوع الذي يبحثون به نظرة وضعية غير متيافيزيكية نظرة موضوعية غير شخصية .

هذا من جهة ومن جهة اخرى فان هذا الاختلاف يعود الى كون علم الاجتماع لا يزال الى اليوم بالمهد .

والاحظ انه ليس ضروريا اجتماع هذه العوامل كلها في مجموعة من الناس حتى تنشأ الامة وتتكون بل يكفي بعضها او احدها واحيانا تنشأ الامة وتتكون بواسطة بعض هذه العوامل رغم وجود ضد بعض العوامل الاخرى فيها .

ولكن قوة الامة تقاس في جميع الاحوال بقوة العوامل الموجبة التي تعمل فيها وضعف العوامل السالبة التي تعمل فيها او انعدامها ، سواء أكانت هذه العوامل هي عوامل مؤثرة او عوامل ناتجة من وجود الامة .

اننا نقف عند هذا الحد من البحث في عوامل نشوء الامة وتكوينها مكتفين بذكرها واعطاء لمحة عنها دون تحليلها ومناقشتها وبيان قوة كل منها واهميته المطلقة والنسبية بالعالم العربي (١)

---

(١) اقرأ المؤلف : عوامل نشوء الامة وتكوينها في العالم العربي .

لان كل ما يلزمنا من هذه العوامل في هذا الكتاب هو عامل القوانين والانظمة وهذا العامل هو عامل ناتج من وجود الامة ولكنه يفعل بها ايضا وقد ورد ذكره بالبند (٤) من هذه العوامل .

ونلاحظ ان رقي الامة الاخلاقي ــ الاجتماعي (٢) هو مقدار قد يمكن قياسه بمقدار آخر هو احترام افراد الامة للقانون فكما ان لكل مقدار وحدة قد يقاس بها فالطول مثلا يقاس بواحدة الطول (مثل المتر) والثقل يقاس بواحدة الثقل (مثل الكيلو) كذلك رقي الامة الاخلاقي ـ الاجتماعي مقدار قد يمكن قياسه بواحدة قياسية نسميها واحدة احترام القانون :

Unité de respect de la loi

ولما كانت الواحدة القياسية مقدارا ايضا مثل المقــدار الذي تقيسه هذه الواحدة فالمتر الذي يقيس الطول هو طول ايضا والكيلو التي تقيس الثقــل هي ثقل ايضا فكذلك واحدة احترام القانون التي قد تقيس بها الرقي الاخلاقي ـ الاجتماعي لامة من الامم هي رقي اخلاقي ــ اجتماعي اي ان احترام القانون نفسه هو الرقي الاخلاقي ــ الاجتماعي بعينه

وحتى نتخلص من الجدل والاخذ والرد والانتقاد لنفترض صحة الجمــلة الاخيرة افتراضا اي لنفترض ان احترام القانون هو الرقي الاخلاقي ـ الاجتماعي بعينه .

ولنفترض زيادة ايضا : ان العكس صحيــح اي ان الرقي الاخلاقي ـ الاجتماعي هو احترام القانون

---

(٢) رقي الامة العلمي ـ الفني ـ الادبي ـ الصناعي ـ الزراعي ـ التجاري هو حضارتها ولا دخل لها بموضوعنا .

وهكذا يمكننا بعد هذا الافتراض المزدوج ان نقول : ان المقدار الذي يقيس احترام القانون يمكنه ان يقيس الرقي - الاخلاقي - الاجتماعي اي ان واحدة احترام القانون هي صالحة لقياس رقي الامة الاخلاقي - الاجتماعي (وهو ما قلناه سابقا) .

هذا هو مفهومنا التوجيهي للرقي الاخلاقي - الاجتماعي (١) ولعله لن يبقى مفهوما ثابتا ، لعله يتبدل بالمستقبل ولعله يبطل فكما انه لم يكن هذا المفهوم معروفا بالماضي فقد يبطل ويختفي اثره بالمستقبل وعلى كل اننا نستخدمه هنا في هذا العصر .

لاشك انك سمعت بان محاكم سويسرة تبقى اشهرا احيانا خالية من الدعاوي وقد سمعت ايضا بان سويسرة من ارقى دول العالم .

فاذا صنفنا الامم حسب رقيها الاخلاقي - الاجتماعي واذا صنفناها حسب احترامها للقانون نتج معنا نفس التصنيف وبالحقيقة : ان مفهوم الرقي الاخلاقي - الاجتماعي مفهوم غامض مفهوم مركب مفهوم معقد ، فلا ابسط من ارجاع هذا المفهوم الى احترام القانون (وهو ما قمنا به) (تخلصا من الجدل والانتقاد والاخذ والرد) .

---

(١) اذا بقي معنا مدى في آخر هذا الكتاب فاننا سنعود للبحث بملحق خاص ، في مفهوم الرقي الاخلاقي - الاجتماعي وتعريف الرقي بنوعيه الاخلاقي - الاجتماعي ، والنوع الآخر الذي قلنا عنه انه يمثل الحضارة (سوف نعرف الرقي بنوعيه بصورة اخرى) وسوف نعرف الحضارة بنوعيها المادية والروحية .

ان بلاد السويد ، وسويسرة . وبلاد السكاندينافيا هي اليوم في القمة من حيث الرقي الاخلاقي – الاجتماعي وهي ايضا في القمة من حيث احترام القانون ، وبالحقيقة يرى المؤلف بصورة تقريبية ان اعظم ظاهرة للامة هي القانون فكأن القانون هو الامة تقريبا ، نعم ان هناك كما ذكرنا (عوامل نشوء وتكون الامة) ولكن يمكن ان نتعرف الامة ليس بعوامل وجودها فحسب بل يمكن ايضا ان نتعرف اليها بنتائجها :

فحيث توجد امة يوجد قانون كنتيجة للحياة المشتركة ولا فرق ان يكون القانون قانونا مكتوبا او غير مكتوب ؛ وبقدر ما يحترم الافراد هذا القانون بقدر ما قد تكون هناك افكار مشتركة بينهم ومصالح مشتركة تدفعهم الى احترام هذا القانون وذلك بغض النظر عن مفعول العادة والارادة وما شابهها في احترام القانون ». لننتقل الآن الى العالم العربي لنرى فيه مدى احترامه للقانون والنظام :

حاجة العالم العربي الى احترام القانون والنظام

العالم العربي متشابه ولكنه متباين ايضا .

يتألف العالم العربي اليوم كأكثر شعوب العالم من بقايا الامم الغابرة فهو بلا شك مقبرة الفاتحين بمعنى انهم لم يمروا مرورا في هذه الربوع بل قطنوا البلاد ودفنوا فيها شيئا كثيرا من تقاليدهم وعاداتهم ولاتزال بعض آثارهم الى اليوم ويلاقي الزمان صعوبة في افنائها ويجب علينا ان نفاعل هذه الآثار مع بعضها البعض من اجل جعل الامة اكثر تجانسا فدراسة « ملابس » المواطنين في سوريا توضح لنا ازياء متباينة متعددة تمت الى ازياء امم غابرة ، كما ان دراسة الاطعمة في سوريا ادت الى تعداد اكثر من الفي نوع (١) من الطعام وكذلك دراسة

(١) ترقب للمؤلف صدور كتاب « وصف اجتماعي للشعب السوري »

التقاليد والعادات والاديان والملل وغير ذلك تثبت تباين هـذا العالم السوري بصورة خاصة والعربي بصورة عامة فكأنه خليط من كل شيء ولكن الولايات المتحدة التي هي اقوى دولة في العالم اليوم تتألف ايضا من خليط لا يعد ولا يحصى اذن لا يمكننا اعتبار هذه الصفة التي هي موجودة تقريبا باكثر الشعوب هي كل السبب في ضعف شخصية العالم العربي الاجتماعية وانما هي صفة غير مستحبة وخصوصا اذا لاحظنا ان هذا الخليط من كل شيء ذو اجزاء متبلورة متجمدة تحافظ على صفاتها ولا تتفاعل مع بعضها الا قليلا انها لا تنحل وعلينا ان نصهرها ونذيبها بنضالنا الاجتماعي لاننا اذا لم نناضل من اجل ذلك وتركناها وشأنها فقد يطول بقاؤها حجرا عسرة في تطور الامة واستكمال شخصيتها الاجتماعية انها كانت ولا تزال بطيئة الزوال في بلادنا بخلاف الولايات المتحدة وغيرها مثلا « وذلك لاسباب لا يمكننا في هذا الكتاب شرحها . »

ولا بد من القول ان العالم العربي مدين الى حد غير يسير بوجوده للقرآن والاسلام ولولاهما لضاعت على الاغلب ابرز صفات الامة العربية تقريبا ولربما ضاعت حتى اللغة العربية نفسها . فالدين الاسلامي اساس عميق في نفوس المسلمين وقد صلح في التاريخ لتركيز دعامة القانون الاجتماعي عليه في العالم العربي قرونا طويلة ولكن . . . هل يصلح الان كما صلح في الماضي ؟ وهل يتأتى لمنظمات الاخوان المسلمين في العالم العربي ان يتوفقوا في نضالهم الموصوف بنضال الرجعيين في نظر الاحزاب الجديدة ؟!.

ولقد فعلت في عهد الاسلام موجات الصحراء في الشرق الادنى فاخذت تصقل هذا الخليط فنجحت الى حد بعيد في اكثر المناطق ولكن هذه الموجات التي اتتنا من الصحراء لم تكن موجات بسيطة صافية بل موجات مكيفة :

موجات مكيفة بتنازع القبائل العربية مع بعضها البعض : فلقد عاش العرب

قبل الاسلام قرونا طوالا يتنازعون كثيرهم على السيادة في اطراف الجزيرة العربية وقلبها ولما بدأت فتوحاتهم كانت روح السيادة متأصلة بصورة خاصة في نفوس الاسر الكبرى والقبائل المشهورة فاخذ طابع النزاع بينهم شكل التنازع على الخلافة وقد قال بعض المؤرخين : ان تاريخ العرب الداخلي هو تاريخ تنازعهم على الخلافة

ونحن لا نقبل هذا القول ولكن نعترف بان التنازع على الخلافة كان له اثر كبير في تاريخ العرب وقد تسربت عدوى التنازع الى العرب المستعربة ويعاني العالم العربي اليوم مشكلة هامة الا وهي :

تنازع رجال السياسة على كرسي الحكم .

فلقد انتهى امر الخلافة وانتهى عهد القبلية في اكثر انحاء العالم العربي ولكن نفسية الاسر القوية « ١ » في بلادنا تتنازع على كرسي الحكم فكأن النفوس لم تتغير كثيرا فهي تشبه النفوس القديمة رغم مجرى الزمان وان اهم ما يبطيء في تطور العالم العربي هو عدم تصنيعه فحتى الآن لم تدخل الآلة حياتنا الزراعية والصناعية الا قليلا اما النهضة العلمية ، فلقد توقفت اكثر من ستة قرون دون ان يتمكن العالم العربي من التقدم خطوة واحدة بل بالعكس كان يتراجع الى الوراء .

ولا نريد ان نطيل البحث في هذا الموضوع فهناك عوامل سلبية كثيرة تفعل بالامة العربية ولكن الامل غير ضائع في نهضة العالم العربي بل انه سائر لا محالة الى الامام . والامل معقود على بقية العوامل الايجابية التي تفعل فيه وتدفعه الى الصعود في سلم الرقي .

ومهمتنا نحن الافراد المناضلين ان نمهد للامة التي تشق طريقها المجد وان نختصر لها الطريق بنضالنا السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفني والعلمي .

« ١ » العربية او المستعربة لا فرق .

والى آخره ...

اننا تكلمنا عن شيء من عيوبنا بالصفحات السابقة ولكن ليس غايتنا شحذ الهمم ؛ وقطع الامل بل ادراك الداء لتحضير الدواء والانتهاء الى الشفاء:

لقد تضخمت العائلية في ربوعنا وصارت تهدد كياننا الداخلي وكاد القانون ان لا يكون وسيلة ناجعة :

فكثيرا ما يتعدى احد على فرد من افراد العائلة الفلانية فاذا بالعائلة هذه لاتدافع عن نفسها قضائيا بتاتا بل تتصرف من نفسها وتتعدى على المتعدي وعائلة المتعدي ومن يلوذون به وقد يتسع الخرق فتنقسم الاحياء او المدينة على بعضها من جراء حادثة فردية وتكون النتيجة غير محمودة العقبى فكاننا في عصر الثأر في العصر القبلي حيث تسود حكومة القوي وحيث لا اثر في السيادة الا للقوي

اما عن منصة الحكم فلا تحدثني فلقد قلنا منذ قليل شيئا عنها ونعيد الان نخص ما قلناه لاهميته باسلوب آخر :

اذا برز في ماضي العالم العربي والاسلام تنازع العرب على الخلافة فلقد اخذ هذا النزاع اليوم طابع النزاع على كرسي الحكم والنفوذ وهذا مادي بالزعيم الخالد فوزي الغزي الى وضع مادة في الدستور السوري الاول تمنع تجديد انتخاب رئيس الجمهورية .

ونلاحظ على الاغلب ان سكان اي مدينة كانت لايهتمون الا بمصالح مدينتهم فيطلبون من الحكومة المطاليب المتعلقة بها، انهم تارة يطلبون اغلاق الحدود بين سوريا ولبنان وطورا يطلبون المكس وتارة تطلب المدينة الفلانية المشروع الفلاني وتضرب من اجله وتهدد وطورا تحتج المدينة الفلانية طالبة كذا و كذا ، فكان كل مدينة دولة كما كانت سوريا في عهد الفينيقيين و كأن العاصمة حكومة منتدبة اجنبية فلقد اصبحت الروح المدينية مرضا بالشعب ونلاحظ ايضا ان قسما كبيرا

من الشعب لاينقاد الا لنفسيته ومصلحته الخاصة فلا يفهم المصلحة العامة الا بمنظار مصلحته الخاصة وهو يتقلب من وقت لآخر وهو مستعد لترك الحزب الفلاني والدخول بالحزب الفلاني من اجل الحصول على الطلب الفلاني او الوظيفة الفلانية وهو يصفق لمن يستلم الحكم ويطمن ويذم بمن يترك الحكم . فلا تعرفه كما يقول المثـــل العامي :

« معهم معهم عليهم عليهم »

واظن انه يوجد الكثير ممن يستهينون بالمفاهيم الاخلاقية في سبيل مآربهم وممن يبيعون وجههم من اجل الحظوة .

ونلاحظ احيانا ان اكثر الناس فى العالم العربي يباهون بانهم يخترقون القانون دون ان يلاحقهم القضاء ويباهون بان لهم دالة على القاضي وانـــه يدم كالخاتم بالاصبـع ويعتبرون الوساطات وأهل الوساطات ويسيرون للرشوي معتقدين بانه لامناص منها ولا سبيل الا اليها والى آخره من الصفـات الغير المحـمودة . وهكذا نرى :

ان تركيب العالم العربي في أي مكان منه غير قوي واخلاقه وتقاليـده وعاداته غير مرضية واحترامه للقانون مفقود تقريبا واعتباراته الاخلاقية معدومة فكيف اذن يمكننا ان نؤلف منه دولة قوية ؟

اننا لسنا على ظهر باخرة نؤلف مجموعة مسافرين حتى نكون مختلفي الاصل والاراء والمعتقدات و ... و ... لهذه الدرجة

اننا امة نعيش بصورة دائمة مع بعضنا البعض ولا سبيل الى المجد ان لم نقدس المصلحة العامة ونخضع للقانون ونقوم بواجباتنا نحو الغير ، ونحو البلاد ، ونحو الانسانية ونحو الكائنات الحية المسالمة البريئة ، ونحو انفسنا .

لقد استرسلنا في وصف العالم العربي ، ومع ذلك لم نصفه بصورة كاملة ،

ولان موضوعنا في هذا الكتاب الصغير لايمكن ان يتضمن طريقة اصلاح عالمنا وبصورة خاصة سوريا ، لذلك نكتفي بهذه اللمحة عن صفات العالم العربي ونعود الى ما كنا نبحث به منذ قليل وهو البحث في حاجة العالم العربي الى احترام القانون والنظام :

مادامت الجماعة او الامة تكاد ان تكون قانونا اجتماعيا كما قلنا ويقاس رقيها بمدى احترامها للقانون اقول مادام الامر كذلك فنحن اذن باشد الحاجة الى احترام القانون حتى نتمكن من انشاء دولة حقوقية تستحق هذا الاسم

قال أميل دو كيم: «الامة هي جماعة انسانية تريد لاسباب (اثنية) أو تاريخية فقط ان تحيا في ظل قوانين معينة وان تشكل دولة سواء اكانت صغيرة ام كبيرة وانه الان مبدأ مقرر لدى الامم المتمدنة انه متى ما ثبتت هذه الارادة الموحدة نفسها باستمرار حق لها ان تعتبر الاساس الثابت الوحيد للدول» و نقلا عن نشوء الامم لانطون سعادة » .

فالارادة المستمرة لايجاد القانون وتأليف الدولة هذه الارادة هي الامة لاغير في نظر هذا العالم .

فلننتبه الى القانون ولنحترمه اذن اذا كنا نريد ان نكون امة .

ونلاحظ ان المدنيين ليسوا وحدهم بعيدين عن احترام هذا القانون :

لما كانت جيوش العالم العربي مؤلفة من افراد هذا العالم كان لابد لهذه الجيوش مهما كانت نظامية ومهذبة من ان تخترق احيانا القوانين وتعم بها الفوضى كما هو الحال بالمدنيين .

وهكذا اري ان مستوانا ليس مدنيا فحسب بل مدنيا وعسكريا من حيث احترام القانون والنظام هو مستوى غير لائق بنا .

انا لانزال في اول درجة من سلم الرقي لانه لا امة بدون قانون ولا جيش
بدون نظام فالنظام النظام ايها الجيش هو الذي يجعلك قويا قبل كل شيء آخر
والقانون القانون ايها الشعب هو الذي يجعلك امة قبل كل شيء آخر ايضا ،
ولكن مع ادراكك انك وحدك يجب ان تقرر مصيرك الداخلي وان لاتدع
السلطات تفلت من قبضتك وان لاتقف مكتوف الايدي غريبا امام الطغيان او من
ينتهك حرمة القانون وقداسة اعتباراتك وان لاتشعر بضعفك فانت قوي بتضامنك
السهل وان لاتصفق لاي سلطة غاصبة وان لاتندفع ولا تسرع بتأييد او معارضة
اية حكومة كانت وان تطالب باحترام القانون والنظام الذين وضعتهما بواسطة
نوابك وممثليك ولا تتهاون في ذلك بل اطلبه من كل سلطة وخصوصا الجيش
لانك انت السلطة العليا ولا غيرك وانت وحدك واضع شريعة المجتمع والجيش
فاذا شعر كل فرد فيك هذا الشعور واذا اتحدنا على هذا المبدأ جميعنا فاننا سوف
نؤلف عندئذ امة عظيمة وجيشا قويا يلزم العالم على احترامنا عند الحاجة .

واليك الآن امثلة من امم العالم على احترام القانون ، ومن جيوش العالم
على احترام النظام والقانون :

القسم السادس:

امثلة من امم العالم على احترام القانون

وقبل الشروع في هذه الامثلة نلاحظ ان القانون والنظام ضرورتان
لابد منهما اليوم في جميع الدول على اختلاف نزعاتها بما فيها الاشتراكية والشيوعية
والديكتاتورية والديمقراطية ولذلك سوف تكون امثلتنا متنوعة مأخوذة تارة
من دولة دكتاتورية وطورا من دولة ديمقراطية واحيانا من دولة شيوعية

والى آخره ..

سكان السويد : تعتبر السويد ارقى دولة في العالم اليوم وهي دولة ملكية دستورية وقد تعتريك الدهشة اذ كيف يتسنى لدولة ملكية ان تكون ارقى من الدول الديمقراطية ، ولاسيما وانت تعلم ان النظام الجمهوري هو اصلح نظام للحكم لان اكثر اساليبه توجد حتى في الانظمة الشيوعيـة ، ولكن قف معي قليلا عند هذه الملحوظة :

ملحوظة : هناك شبه كبير بين الشعوب وانظمتها (عندما اقول انظمة اقصد الانظمة السياسية .) من جهة وبين السوائل واوعيتها من جهة اخرى فكما ان السوائل تأخذ شكل الوعاء الذي توجد فيه وتبدل شكلها حين نقلها من وعاء الى وعاء اخر متباين الشكل ولكن يبقى السائل ثابتا على حاله ، فان كان عصيرا فاسدا مثلا فانه لن يصبح عصيرا نقيا بعد نقله (بل بالعكس قد يفسد اذا كان الوعاء الجديد غير نظيف وقد يصبح مسما احيانا اذا كانت مادة الوعاء قابلة للتفاعل مع السائل المذكور) اقول لن يصبح هذا السائل عصيرا نقيا بعد نقله من الوعاء الاول الى الثاني بل يتغير شكله فقط فكذلك هذه الشعوب البشرية : انها عندما تنتقل من نظام لاخر فان النظام الثاني لن يبدل من صفاتها الخاصة على العموم ولن يقذفها بصورة اتوماتيكية الى الاعلى بسلم الرقي ذلك لان النظام الاول لم يكن هو السبب الجوهري في تأخر الشعب وانحطاطه بل هناك عوامل اخرى غير النظام الذي هو عامل صغير بالنسبة لسائر العوامل .

الا ان هذا الشبه بين السوائل واوعيتها ، وبين الدول وانظمتها ليس تاما فما يتشابه يصوده التباين في آن واحد . لذلك لايجوز قبول هذا الشبه الا مع التحفظ وسوف نشرحه في غير هذا المؤلف

ويمكننا ذكر امثلة لايضاح هذه النظرية التقريبية « اقول التقريبية لان النظام ليس صفرا من حيث الرقي كالوحا' الذي لايؤثر على مافيه احيانا وعادة بل ان له تأثيرا ولكنه ليس الكل بالكل) :

توجد دولة صغيرة في اوروبا تسمى اللوكسمبورغ : « ١ »

ونلاحظ في هذه الدولة النظام « الدوقي » فهي حتى اليوم تسمى « دوقية » اللوكسمبورغ وملكها يسمى دوق اللوكسمبورغ ولكن نظام الحكم لم يجعلها

« ١ » لمحة عن اللوكسمبورغ وتاريخ دوقية اللوكسمبورغ : وهي من بقايا دول الاتحاد الجرمني « ١٨١٥ - ١٨٦٦ » ، كانت مستقلة ولكن مرتبطة شخصيا مع البلاد المنخفضة اي يحكمها اسميا فقط ملك البلاد المنخفضة « هولندا وبلجيكا »

ولما توفي غليوم الثالث بدون وريث ذكر انتقل عرش اللوكسمبورغ الى ادولف دوناسو

وفي عام ١٨٣٠ عام الثورات الاوروبية انضمت منطقة اللوكسمبورغ الغربية الى البلجيك .

تؤلف اللوكسمبورغ اليوم دولة حرة مساحتها ٢٥٨٥ كم م وسكانها ٢٨٥٠٠٠ نسمة اي اقل من سكان مدينة دمشق وتقع هذه الدولة الصغيرة بين المانيا وبلجيكا وفرنسا وعاصمتها مدينة اللوكسمبورغ وسكانها « ٦٣٦٦٠ ويتكلم المواطنون في هذه الدولة الصغيرة لغة من اصل جرماني ، واللغة الالمانية واللغة الفرنسية .

انتهت الحاشية

كامارات البدو في الصحراء العربية مثلا . بل ان اللوكسمبورغ دولة راقية اجتماعيا واخلاقيا وتقف الى جانب المانية وبلجيكا وفرنسا .

ولكن النظام « الدوقي » ، و كذلك زميله النظام الاماري ، لا يعني نظاما راقيا فهناك الى جانب دوقية اللوكسمبورغ الراقية امارة اخرى تسمى : امارة الاندورة « ١ »

وهذه الامارة التي لا يزيد عدد سكانها عن سكان قرية جبلة في سوريا هي بلاد متأخرة شبيهة كثيرا بامارات البدو من حيث الفوضى :

فالمواطنون هناك يمارسون مهنة الطب والصيدلة بدون شهادات رسمية والقوانين لا تمنع ذلك وان اكثر المواطنين يمارسون مهنة التهريب ويرى سكان الاندورة ان الافراد الذين يستنكفون عن مساعدة مهربي البضائع على الحدود

« ١ » لمحة عن الاندورة وتاريخ امارة الاندورة : وهي بلاد صغيرة في في الجنوب من منطقة الآريج الافرنسية في البيرنه كانت منذ عام ١٦٠٧ تابعة لملك فرنسا ولاسقف « أرجل في اسبانيا » ولا يزال يقوم امير الاندورة حتى اليوم بزيارة تقليدية لرئيس الجمهورية الفرنسية في يوم معين من كل سنة ليطلعه بها ولاءه وهو يأتيه حاملا له هدية مؤلفة من شيء مضحك جدا وهو :

سلة من البيض ودجاجتان او اكثر او ماشا كل ذلك من الامور التي يقدمها المرابعون في سوريا مثلا لاسيادهم (الاغوات) ومساحة بلاد الاندورة ٤٥٢ كم م وسكانها ٦٠٠٠ ـ ٧٠٠٠ نسمة وتتكلم اللغة الكتالانية وهي متحدة بريديا مع اسبانيا وجمركيا مع فرنسا وعاصمتها قرية الاندورة لافيجا وعدد سكانها « ٧٠٠ » نسمة « انتهت الحاشية

اذا كان بامكانهم مساعدتهم ، ليسوا مواطنين اشرافا ويجب احتقارهم ، فتأمل باخلاق هؤلاء البشر !!!

يتضح من المثلين السابقين ان النظام الذوقي او الاماري لاعلاقة له بمستوى الشعب الا قليلا وانما هناك عوامل اهم منه تساعد على الرقي أوالتقهقر .

و كذلك نرى في الدول الجمهورية دولا راقية كفرنسا واميركا ودولا متأخرة نسبيا كسوريا وتركيا .

و كذلك نرى في الدول الملكية الدستورية دولا راقية كالسويد وانكلترة ودولا متأخرة نسبيا كمصر واليونان و كذلك نرى في الدول الدكتاتورية دولا راقية كالمانيا الهتلرية (١٩٣٣ - ١٩٤٤) وايتاليه في عهد موسوليني (١٩٢٢- ١٩٤٣) ودولا متأخرة نسبيا كدولة(بورون) الارجنتينية ودولة فرنكو الاسبانية « هاتان الدولتان محكومتان ظاهرا فقط حكما غير دكتاتوري ولكنها بالحقيقة محكومتان حكما دكتاتوريا . »

و كذلك نرى ايضا واخيرا وراء الستار الحديدي في الاتحاد السوفييتي دولا راقية وهي القسم الغربي الاوروبي من روسيا ودولا متأخرة وهي القسم الشرقي من روسيا « على العموم» .

فكان نظام الحكم ليس الا عاملا ضعيفا في رقي الامة و كان هناك عوامل مهمة غيره هي التي تؤثر فيها وتدفعها الى الصعود في سلم الرقي او الى التقهقر « انتهت الملحوظة »

لنعد الان الى السويد .

سكان السويد : قلنا ان دولة السويد « ١ » تعتبر ارقى دولة في العالم اليوم وتدل الاحصاءات الجنائية العالمية ان عدد القتلى في السويد هو في اي سنة كانت اقل من عددهم في اية دولة اخرى نسبيا ويروى عن هذه البلاد ان سكانها يحترمون فيها القوانين الى مدى بعيد وكثيرا ما يأتي الجاني او مرتكب الذنب او المخالف من تلقاء نفسه الى الدوائر القضائية او الحكومية المسؤولة ويعترف بما يعترف ويقبل عن طيبة قلب العقاب الذي يفرضه عليه القضاء او الادارة بموجب ما تقتضيه هناك القوانين والانظمة .

ولا تحدث السرقات في السويد الا نادرا وكثير من الحدائق المنزلية متصلة مع بعضها ليس بينها فواصل او حواجز تذكر بل كل ما هنالك علامات وذلك في المدن الكبيرة والوسطى .

سكان سويسرة : تأتي سويسرة (٢) بعد السويد تقريبا مباشرة بالرقي رغم ان السكان لا يتكلمون لغة واحدة بل لغات متعددة كالالمانية والافرنسية والايتالية

« ١ » لمحة عن السويد وتاريخ دولة السويد :

هي دولة من دول اوروبا الشمالية تؤلف الجزء الشرقي من شبه جزيرة سكاندينافيا الواقع تماما بين بلاد النورفيج وبحر البالتيك ومساحتها (٤٤٨٣٠٠) ك م وسكانها ٦ - ٧ مليون نسمة وعاصمتها استكهولم ، اتحدت هذه المملكة « كما سنذكر » مع النرفيج منذ سقوط بونابرت عام ١٨١٤ تحت راية ملك مشترك ولكن السويد عادت مملكة منفصلة منذ عام ١٩٠٥

(٢) لمحة عن سويسرة وتاريخ دولة سويسرة : تقع سويسرة « او الفيسيا » في اوروبا الوسطى مساحتها (٤١٢٩٨) كم م وسكانها (٤ - ٥) مليون نسمة وهي

مؤلفة من اتحاد يسمى الاتحاد السويسري او الاتحاد (الا لفيسي) ومركز الحكومة الاتحادية السويسرية هو العاصمة برن وتقسم سويسرة الى ١٩ منطقة وست انصاف مناطق ويسمى سكانها الاصليون (الالفيس) وهم من العرق السلتي ، وقد حكمها الرومان ثم (البور كونديون : برابرة) و (الفرانكيون) ثم اصبحت قسما من المملكة (الكارولنجية) وفي عام ١٢١٨ تبعت مباشرة للامبراطورية الكارولنجية وكانت انذاك مقسمة الى دول ومناطق ، وكان رسل الامبراطرة يظلمون الشعب السويسري فما كان من بعض المناطق السويسرية الا ان هبت واتحدت في مقاومة الرسل المذكورين وناضلت بشجاعة حتى طردت من بلادها الرسل الاجانب بفضل وليم تل وامثاله وقد دافعت سويسرة عن حريتها في القرن الخامس عشر ضد شارل لوتمرير (دوق بور كونديا) وضد (ماكسيميليان) الاول امبراطور المانيا الذي اعترف بموجب معاهدة (بال) باستقلال ثلاث عشرة مقاطعة سويسرية .

وقد عقدت سويسرة في القرن السادس عشر عام ١٥١٦ صلحا دائما مع فرنسا بينما دخلت البروتستنتية بعض المناطق السويسرية على يد (زوينكلي) المعلم البروتستانتي السويسري ، وفي القرن السابع عشر عام ١٦٤٨ اعترفت المانيا وفرنسا والسويد في معاهدة (ويستفالية) باستقلال سويسرة وسيادتها ولما شبت الثورة عام ١٧٩٨ أعلن (برون) سويسرة دولة جمهورية واصبحت سويسرة مسرحا للحروب بين الفرنسيين والاستروبين - الروسيين الذين انكسروا في زوريخ عام ١٧٩٩

انفصالا يكاد يكون نهائيا وذلك في المدينة الواحدة احيانا الا ان السويسريين عرفوا كيف يحترمون بعضهم بعضا ويعيشون آمنين فهم يقدسون القانون، والدوائر القضائية غالبا لاعمل لها واذا تبلغت احيانا ودخلت بالدعاوي فربما يتألف من موضوع الدعوى قصة هزلية في نظر العالم ونروي القصة الاتية من هذه الدعاوي على سبيل التدليل :

اما نابليون الاول فانه جعل في عام « ١٨٠٣ » من الجمهورية السويسرية الموحدة المذكورة جمهورية اتحادية وقد احترم مجلس الكونغرس النمسوي في فيينا هذه الاوضاع السويسرية التي بدل فيها (بضم الباء) عام ١٨٤٨ ثم عام ١٨٧٤

يمارس السلطة التنفيذية في سويسره مجلس الاتحاد ويسمى بالالمانية « بون ديسرات » الذي يرأسه في نفس الوقت رئيس الاتحاد السويسري ويمارس السلطة التشريعية مجلس اتحادي مؤلف من مجلس قومي ومن مجلس دول الاتحاد ولكل منطقة حكومتها الخاصة المحلية كما هو الحال في الولايات المتحدة وصلاحية هذه الحكومة محصورة بالقضايا التي لاعلاقة لها بمصلحة الاتحاد ؛ ولكن هناك فوارق بين الحكومات المحلية في الولايات المتحدة والحكومات المحلية في الاتحاد السويسري.

وابرز هذه الفوارق هو ان الشعب نفسه فيها يؤلف المجلس التشريعي المحلي ويضع الميزانية المحلية ويقرر ويتصرف بنفسه فيحقق بذلك عمليا الحكم الدمقراطي المباشر اي حكم الشعب .

ان سويسرة اليوم دولة عاجزة بالنسبة للعالمين الشيوعي والدمقراطي .

اقامت امرأة دعوى على زوجها مرة لانه اساء التصرف في نظرها مع الكلب الذي ضربه بدون ذنب .

فهذه الدعوى مع كثير من امثالها تدل على ان المحاكم السويسرية تتسع لمثل هذه المنازعات اي انها لاتغص بالمتنازعين كما هو الحال في سوريا مثلا حيث لايعلم احد الى متي تزداد نسبة المنازعات والخلافات والجرائم والجنح والمخالفات في هذه البلاد .

ونذكر من غرائب اوضاع سويسرة وجود مدينة معروفة على الحدود السويسرية الالمانية مقسومة الى قسمين احدهما سويسري والثاني الماني وفيها شارع تابع قسم منه لسويسره والقسم الاخر لالمانيا ولايوجد حاجز بين الدولتين في هذا الشارع ومع ذلك نرى الالمان لايتخطون حدودهم ونرى السويسريين يجارونهم في ذلك فلا يتخطون حدود بلادهم ويلتزمون النظام واوامر القانون .

فلا من يقطع الحدود هاربا من هذا الطريق وحتى لامن يراقب ذلك احيانا فتأمل بهؤلاء البشر بل بهؤلاء الملائكة ثم قارن بينهم وبيننا ، بين حدودهم ، وحدودنا العراقية السورية او السورية التركية والى آخرة ..

وسويسرة دولة انسانية تحترم القوانين الدولية ايضا وهي محايدة ولم تشترك لافي حرب ١٩١٤ ولا في حرب ١٩٣٩ وهي مركز الصليب الاحمر الدولي وقد كانت مركز جمعية الامم سابقا ولا تزال مركزا لما تبقى من دوائر جمعية الامم .

« اقول جمعية الامم لامنظمة الامم المتحدة ، فلجمعية الامم حتى اليوم بعض الوظائف والدوائر المالية العملية المتمركزة في سويسرة ايضا فهذه الجمعيـــة لم تصبح كلها ملغية كما يظن البعض بل ان لها حتى اليوم دوائر لاتزال تعمل الى جانب منظمات هيئة الامم المتحدة »

ونلاحظ ان سكان النورفيج «١» والدانمارك «٢» يأتون بالدرجة

«١» لمحة عن النورفيج وعن تاريخ دولة النورفيج :

النورفيج دولة من دول اوروبا الشمالية تؤلف النصف الغربي من شبه جزيرة سكاندينافيا . وتؤلف اليوم مملكة مستقلة مساحتها «٣٢٣٠٠٠» كم مم وسكانها «٣» مليون نسمة وعاصمتها اوسلو «قديما كريستيانيا» وقد بقيت بالماضي متحدة مع السويد منذ عام ١٨١٤ الى عام ١٩٠٥

احتلها الالمان عام ١٩٤٠ ولكن الحلفاء حرروها عام ١٩٤٥ وقد كانت النرفيج احد المسارح لاعمال الحرب العالمية الثانية «١٩٤٠ - ١٩٤٥» .. (اقرأ في الصفحات التالية الملحوظة الخاصة بلمحة عن سكانديفافيا وعن تاريخ دول اسكانديناافيا)

«٢» لمحة عن الدانمارك وتاريخ دولة الدانمارك :

الدانمارك دولة من دول اوروبة الشمالية تقع شمالي المانيا وتتألف من شبه جزيرة وعدة جزر ومساحتها «٤٢٩٢٧» كمم وسكانها «٤ - ٥» مليون نسمة ان مملكة الدانمارك ذات نظام ملكي دستوري والدانماركيون معروفون تاريخيا في اوروبة بوظيفتهم في الغزوات النورماندية ، ولقد الف الدانمركيون في القرن العاشر مملكتهم واخضعوا لسلطانهم بلاد النورفيج وقسما من بلاد الانكليز .

وقد جمعت اتفاقية مدينة كالمار «١٣٩٧ - ١٥٢١» جمعت الدول السكاندينافية الثلاث تحت سلطان واحد ولكن السويد افلتت من هذا الاتحاد واستقلت على يد محررها البطل كوستاف فازا عام ١٥٢٣ ، ولما اعتنقت الدانمرك

الثالثة بعد السويد وسويسرة ويطلق علماء الجغرافيا والتاريخ على دول السويد

البروتستنتية اللوثرية في بدء القرن السادس عشر اشتركت في حرب الثلاثين سنة ثم ادعت الحياد عام (١٨٠٧) اثناء نزاع الحصار القاري ولكن الانكليز ثاروا لنفسهم بضرب العاصمة الدانمركية « كوبن هاك » بالمدافع وقد اعطت الدانمرك بلاد النرفيج الى دولة السويد وذلك بعد سقوط نابليون الاول وبموجب اتفاقية مدينة (كال) عام ١٨١٤

وتنازعت الدانمرك مع ملك بروسيا عام ١٨٤٨ من اجل قضية الدوقيتين « سليزويك وهولستن » التين كانتا في حوزة ملك الدانمرك ثم انعقدت اتفاقية مدينة لندن عام ١٨٥٢ وهي اتفاقية لصالح الدانمرك لا لصالح بروسيا والنمسا ولكن الرجل الحديدي بسمارك انتهك حرمة هذه المعاهدة عام ١٨٦٤ وانقض مع النمسا على الدوقيات « هولستن ، سيلزويك ، لاونبورغ » وانتزعها من الدانمرك واقتسمها بالاتفاق مع النمسا باول الامر ويذكر المؤرخون ان الدانمركيين اظهروا شجاعة لامثيل لها امام الجبار البروسي . وقد بقي اثر من النار تحت الرماد ولما انتهت الحرب الكونية الاولى عام ١٩١٨ ابطلت الحلفاء ولكن جزئيا نتائج نزاع بروسيا والدانمرك الذي جرى عام ١٨٦٤ ولقد اشغل الالمان الدانمرك في الحرب العالمية الثانية طيلة اعوام « ١٩٤٠-١٩٤٥ » ولكن الحلفاء حرروها خلال عام ١٩٤٥

والنرويج والدانمرك اسم دول سكانديناقياء« او دول شبه جزيرة سكانديناقيا(١)

---

(١) لمحة عن شبه جزيرة اسكانديناقيا وعن التاريخ المشترك لدول اسكانديناقيا الثلاث اي السويد والنرويج والدانمرك .

ان شبه جزيرة اسكانديناقيا الواقعة في شمال اوروبة لاتحتوي الاعلى مملكتي السويد والنروج ولكن الباحثين يلحقون بلاد الدانمرك بشبه الجزيرة المذكورة نظر الكون سكان هذه الممالك الثلاث من اصل واحد وبالحقيقة ان تاريخ هذه الدول الثلاث مشترك تقريبا فيما بينها حتى ان كلمة سكانديناقيا تفيد باللغات الاجنبيـــة (شبه الجزيرة والدول الثلاث المذكورة) وقد اتحدت قديما هذه الدول الثلاث تحت سلطان واحد بموجب اتفاقية كالمار عام « ١٣٩٧ » « وقد ذكرنا ذلك »

والعصر التاريخي لشبه جزيرة سكانديناقيا اي (العصر الذي يملك التاريخ له معلومات كافية عنه) يبدأ في عهد الحملات النورماندية على اوروبة هذه الحملات التي القت الرعب في نفوس السلبة باوروبة .

وقد جاء الى السويد عن طريق روسيا جماعة روسيا الشمالية الغربيـــة الذين يتسمون بالفنلنديين نسبة الى فنلندة (بصورة خاصة وجاءها ايضا عن نفس الطريق جماعة لابونيا ويتسمون باللابونيين نسبة الى لابونيا وهي بلاد واقعة شمال شبـــه جزيرة اسكانديناقية ، اما جماعة (السفيرس) (ونلاحظ ان كلمة سويد آتية بالتحريف من كلمة سفيرس) فقد جاءوا السويد من بـلاد الدانمرك .

وقد دخلت الكاثوليكية بلاد النورفيج على عهد اولوف الاول الذي تولى الحكم من ٩٩٥ الى ١٠٠٠)

اما الالمان فهم شعب نظامي يحترم القانون ويمكن اعتبار النفس الالمانيه اول نفس

تابع الحاشية : وانتقل عام ١٣١٩ التاج النروجي الى سلالة الفولكونيج (١٣٥١ - ١٣٦٥) التي كانت تحكم السويد وفي عام ١٣٩٧ حدثت اتفاقية كالمار التي قررت كما قلنا اتحاد دول السكاندينافيا الثلاث اي السويد، النرفيج، الدانمراك وبعد تفسخ الاتحاد المذكور اصبحت النروج مقاطعة دانمركية بسيطة ولكن احتفظت بمجلسها الذي يسمى مجلس الديت وبلقب مملكة النرويج؛ ومنذ ذلك الحين اندمج تاريخ النرويج بتاريخ الدانمرك حتى عام ١٨١٤ وهو العام الذي انضمت به النرويج الى السويد، ودام انضمامها الى السويد حتى عام ١٩٠٥ وقد ولدت الكاثوليكية في بلاد السويد كراهيات ، وان احد رجال الدين الكاثوليكي المدعو (الارشوفيك دو أوبسال) كان يجبي ضرائب فادحة من الشعب وكان ملك الدانمرك كريستيان الثاني رجلا ظالما ارهابيا فادى ذلك الى استياء عمومي ، وسبب قيام كوستاف فازا (كما ذكرنا) الذي حرر بلاد النرويج من نير الدانمركيين واعتنق مع قومه اللوتيرية واسس بالنرويج ملكية مطلقة وراثية عام ١٥٢٣ ؛ وفي عهد كوستاف ادولف ملك السويد الذي حكم من (١٦١١ - الى ١٦٣٢) حظت السويد بمقام مرموق بين الدول المهمة في اوربة وقد ازدادت عظمة السويد في عهد مليكها شارل ١٢ مزاحم بطرس الاكبر قيصر روسيا ولكن معركة مدينة (كولتافا) في اوكرانيا التي وقعت بين بطرس الاكبر وشارل ١٢ ، انهت عصر العظمة في تاريخ السويد وذلك عام «١٧٠٩» فلقد انكسر في هذه المعركة ملك السويد شر كسرة وقد تبع سقوط شارل ١٢ رد فعل داخلي ضد السلطة المطلقة وانتخاب دستور عام ١٧١٩ ولكن ملك السويد كوستاف الثالث وعدو الثورة الاكبر الغى هذا الدستور عام ١٧٧٢ ولما مات الملك شارل «١٣» بدون وريث عرض

نظامية في العالم . ولم يصل الافرنسيون في حياتهم النظامية والقانونية الى الحد الذي وصلته النفس الالمانية ولكن احترامهم للقانون شديد وهم في هذا المضمار لايفرقون بين الغني والفقير والكبير والصغير والامير والحقير ،فلقد كان فرديناند دوليسبس مهندساً عظيما وسياسيا دبلوماسيا افرنسيا قـــديراً وهو الذي صمم مشروع ترعة السويس بل انه هو الذي اكتشفه وفكر به وهو ايضا الذي قام به وكذلك قام بمشروع قناة بناما ، لقد شبك هذا العبقري العالم بعضه البعض بهاتين الترعتين وبدل من وجه التاريخ وخدم الانسانية والملاحة البحرية خدمة كبرى فقد كانت السفن الذاهبة الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح الطريق البعيد المكلف قبل افتتاح ترعة السويس لاتصل احيانا سالمة بل تتحطم على الطريق والى آخره .. والى آخره .. ولكن كل ذلك لم يصنه من سطوة القانون فلقد اتهمــه الفرنسيون باختلاس اموال الدولة اثناء القيام بحفر قناة بناما فحوكم محاكمة تاريخية مشهورة دلت على احترام الشعب الفرنسي للقانون وقد سمعت ايضا بحادثة اختلاس استافسكي لاموال الدولة في الربع الثاني من القرن العشرين اي منذ عدة سنوات

تابع الحاشية

السويديون العرش على المارشال برنادوت امير « بونت كورفو » « بونت كورفو مدينة ايطالية وقد نال برنادوت من نابوليون الاول لقب امير بونت كورفو وان العائلة المالكة في السويد تسمى لهذا السبب بسلالة بونت كورفو ، فقبل الامير المذكور العرش وصعده عام ١٨١٨ باسم شارل حنا الرابع عشر وقــد حصلت السويد بعد سقوط نابوليون الاول وبمساعدة روسيا وبموجب معاهدة « كال » عام ١٨١٤ على بلاد النروج التي فصلت عن الدانمرك حليفة نابوليون الاول ومما يجدر ذكره ان مجلس الديت النرفجي صوت بالاجماع للاتحاد مع السويد .

وكيف فر هذا الرجل من فرنسا وكيف لاحقته الحكومة الافرنسية والصحف واستعانت للتفتيش عليه بالبوليس العالمي وكيف اخيراً قبضت عليه وحاكمته محاكمة قانونية لا هوادة بها ولا شفقة. ليس الشعب الفرنسي ملائكة هبطت من السماء بل انه كسائر الشعوب المتوسطة بالرقي فافراده يرتكبون الجرائم ويسرقون و .. و .. ولكن القانون يلاحق الجميع ، فالجنرال دوكول لم يتورع عن افساح المجال لمحاكمة شخصية افرنسية بارزة هي شخصية استاذه في المعهد الحربي ؛ واستاذه بالجبهة هي شخصية بطل الدفاع عن فيردان التي انقذت سمعة فرنسا عام ١٩١٦ بالحرب الكبرى واخيرا هي شخصية قريب له اي شخصية الجنرال بيتان الرجل المسن الذي قضى عمره في خدمة فرنسا ولقد حكمت المحكمة على بيتان بالخيانه وبالاعدام ثم ابدلت حكم الاعدام بالمؤبد ومات بيتان وهو بالسجن

ان القانون بفرنسا يلاحق الجميع ويحاكم ويعاقب كل شخص على ما اقترف. ليس العيب ان يوجد في الدول مجرمون ولصوص ومختلسون ومخالفون و .. و .. فهذا امر عام اليوم عند جميع الشعوب تقريبا ولكن العيب كل العيب في التسامح مع هؤلاء المخالفين الذين لا يزدادون عندما نسامحهم الا تماديا واستمرارا بالاجرام .

والعيب ايضا في عدم الاهتمام بالتفتيش عنهم او تبريرهم قضائيا باساليب غير شرعية او غير اخلاقية . واذا كان اليوم مستحيلا منع الجرائم والمخالفات و .. و .. فانه ليس مستحيلا محاكمة الجناة والمخالفين و .. و .. وفق مايقتضيه القانون والا فان بذور الفوضى سوف تنبت بل قد نبتت وربت زيادة على مافي بلادنا

من اصول فوضوية قديمة . قف ايها العربي وتأمل . انك لا تريد ان نعود الى عهد الظلمات الى الفي سنة للوراء حيث يسود القوي وحيث لا اثر للدولة الحقوقية بتاتا .

ان ما يحدث في ارقى البلاد العربية اي في لبنان وسوريا يحد من فؤادنا فكيف بسائر الاقطار الشقيقة التي هي دوننا بالرقي . فاذا جئت معي في ذهنك للبنان وسوريا ودققت فيما يجري بها رأيت انه لا سيادة للقانون والنظام في كل من هذين البلدين .

لقد اهتم الباحثون كثيرا في قيمة القانون حتى ان جان جاك روسو يدعى (مبالغا) في كتابه (العقد الاجتماعي) ان الانسان بالاصل لم يكن انسانا اجتماعيا بل كان يعيش كأكثر الحيوانات لوحده ولكن ضعفه ومصلحته وخوفه من التعديات الجأه الى تأليف الحياة الاجتماعية وان الحياة الاجتماعية هي اتفاق بين الافراد على احترام القوانين والانظمة التي يضعها الافراد لمصلحة مجموعهم . كما ان (مونتسكيو) يعطي لمفهوم الحرية في كتابه (روح القوانين) انها تنشأ من احترام القانون . فالانسان لا يشعر حينما يرى المحاكمات: تودي بالرؤوس وتؤدي للسجون ولا يحس عندما يرى سيادة القانون والقضاء وراءهما اقول لا يحس بالخوف او بخنق الحريات بل بالعكس بالحرية والاطمئنان والامن والامان والسلامة لانه يشعر بحماية القانون له ولحقوقه فيمارسها مطمئنا .

ولا بد لنا من التلميح عن الروح القانونية التي تحلى بها الدكتور ادوار بنيش رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا فقد كان هذا الرجل عدوا للشيوعية ولكن عداوته لها لم تسمح له باستغلال منصبه لمحاربة الشيوعية ولما اشتد التيار الشيوعي في تشيكوسلوفاكيا واصبح اكثر اعضاء المجلس النيابي شيوعيين ووضعوا مشروع تشييع البلاد ، هبت دول العالم الدمقراطي تعرض

المساعدات على بنيش من جميع الانواع المالية والحربية والاقتصادية لسحق الشيوعية ولكنه لم يقبل هذه المساعدات بل اكتفى بمحاولة اقناع العالم التشيكوسلوفاكي بعبادته ولما لم يكن من فائدة من جميع محاولاته وقع قانون تشييع البلاد واستقال وخطب خطابا تاريخيا صفق له جميع سكان تشيكوسلوفاكيا وقد قال فيه بما معناه :

« الدمقراطية هي ارادة الاكثرية واذا كانت الامة بعد كل محاولاتي لاترضى الا بما اعتقده خطأ فانني سوف اوافق على ما تريده لان رئيس البلاد هو خادم البلاد وحتى ولو انها لا ترضى بعد كل محاولاتي الا بعبادة الاصنام فانني اكون مضطرا للموافقة على رغبتها عندما اعجز عن اقناعها »

وقد تمسك بهذا الرجل جميع احزاب تشيكوسلوفاكيا وطلب منه الشيوعيون بعد تشييع تشيكوسلوفاكيا ان يبقى اذا اراد على منصة الرئاسة ولكنه لم يقبل وقال : ان مبادىء الدمقراطية لا تسمح لي بتسلم زمام البلاد التي اصبح نظامها شيوعيا .

اما الجنرال دوكول عدونا في عهد الانتداب ، فاننا لا يسعنا الا ان نذكر مدى احترامه للقانون في بلاده ، يعتقد الجنرال دوكول ان الشيوعيين خونة ويجب محاكمتهم ، ولكنه لم يستغل مركزه لمحاربتهم وطلب من المجلس النيابي الافرنسي عدة مرات وضع قانون لتجريمهم حتى يتمكن من ملاحقتهم ولكن المجلس الافرنسي لم يوافقه على رغبته، وقد جرت انتخابات تأسيسية في عهده وكانت هذه الانتخابات انتخابات قانونية نزيهة بريئة مئة بالمئة .

ولما كان دوكول عدوا شريفا للشيوعية فلقد انتخبه المجلس التأسيسي الفرنسي بالاجماع (ما عدا صوتا واحدا) ولم يستنكف النواب الشيوعيون عن انتخابه بل انتخبوه ايضا بالاجماع، انه عدوهم ولكن احترامه للقانون وشخصيته

الاخلاقية فرضت احترامها على اعدائه الشيوعيين .

ولقد اعتقد دوكول بمن تعاونوا مع الريخ الثالث بانهم خونة فاتهم الجنرال بيتان (قريبه واستاذه) بالخيانة ، وانتهى الامر ببيتان الى السجن المؤبد .

الافرنسيون امة تحترم القانون في بلادها احتراما مثاليا ونرجو من العالم العربي ان يتجه بشعبه وزعمائه هذا الاتجاه فلعلنا نتقدم بخطى سريعة في سلم الرقي اذا احترمنا القانون .

ومما يجدر ذكره عن دوكول انه خرج من الحكم بعد ما استقال ثلاث مرات ولكنه خرج ولم يهرب ولكنه خرج لا يملك غرشا ولكنه خرج اشد فقرا من الوقت الذي دخل به الحكم ، فذهب الى بيت اخ له وسكنه مع عائلته .

العالم العربي بحاجة الى مثل هؤلاء الرجال ولقد غص تاريخ العرب بمثلهم وباحسن منهم فكان عمر قانونيا حتى انك ترى في بعض متاحف اوروبة صورا له كتب تحتها رب العدل . والى اخره .. والى اخره ..

فهل لنا ان نحترم القانون افرادا وامة ودولة ؟؟ ان اكثر الهزات الاجتماعية التي حدثت في العالم العربي تعود الى اختراق حرمة القانون او انتهاك كرامة الدستور ، فتنبه ايها العالم العربي واذكر دائما واضعا نصب عينيك هذه الجملة: لا امة بدون قانون .

ولا بد لنا من التلميح عن اعمال الثورة الفرنسية ورجالها فلقد حوكم الملك محاكمة ثورية دامت عشرات الايام وما يلفت النظر في هذه المحاكمة ان اعداء الملك كانوا في بدايتها كثرا ولكنهم ما زالوا يتناقصون ويزداد عدد العاطفين عليه حتى اصبح هناك تعادلا تقريبا بالاصوات بين من يريدون ان يعدموه ومن لا يريدون ذلك ، ولكن صوت مجلس الثورة على اعدامه ونفذ به الحكم ولما كانت

نفسية الشعب بل نفسية اكثر الشعوب حتى اليوم : اقرأ روح الثـــورات (كوستاف لوبون) متقابلة وكذلك نفوس زعماء الشعب اثناء الثورة غالباً، فلقد اضطرت الثورة الافرنسية الى اجراء محاكمات كثيرة ادانت بها رجال الثورة فترى اليوم قائداً من قواد الثورة يحاكم وينفذ حكم الاعدام بقائد اخر ، وبعد عدة ايام ترى القائد الذي حاكم غيره يقاد الى المحاكمة ويدان وتحكم عليـــه المحكمة بالاعدام وتنفذ به الحكم .

« فكان الثورة حين تشتعل تأتي على من الهبها ايضا كما يقول «مونتين» وكان من يأخذ بالسيف فــبالسيف يؤخذ كما يقول السيد المسيح ولكن ذلك كان يعني في نظر الحركة الثورية تطبيق القانون فالثورة الافرنسية ثورة شرعية (وسنبحث بها بعد قليل) ومحكمتها اذن محكمة شرعية وكل من لا يحترم غاية الثورة او يستثمرها لصالحه يجب ان يحاكم ويجب ان ينفذ فيه الحكم . وهذا ما كان يحدث احيانا (اقول احيانا لا دوما) في عصر الثورة الفرنسية . وهل من جملة افصح في البيان عن قيمة العقاب من الآية التالية :

« ولكم في القصاص حياة » «القرآن»

وبالحقيقة فلقد عاش الشعب الفرنسي « ولو ان الهزات الاجتماعية سمحت بعودة الحكم الفردي مقدار قرن تقريبا بعد عصر الثورة » اقول لقد عاش الشعب الافرنسي وتعلم روح الخضوع للقانون والمحاكم الافرنسية اليوم والقضاء الافرنسي والدوائر الرسمية وكل ما يمت بصفة رسميـة للدولة الافرنسية يسير كالساعـة المنظمة .

ايها المواطن العربي

لقد اسهبت في ذكر الامثلة على احترام القانون وما ذلك الا لانني اريدك مواطنا صالحا فاغرس في نفسك ونفس الآخرين الروح القانونية حتى تتمكن

من تأليف دولة حقوقية بالعالم

ان لنا امكانيات كبيرة لتشكيل دولة مترامية الاطراف لها مركزها في العالم واني اريد ان نخدم الانسانية كما هو معروف عنا نحـــن سكان الشرق الادنى حيث هبط الوحي وحيث علمنا دروس الانسانية والرحمة والمحبة الى جميع اقطار العالم الغربي . لننتقل الان الى

القسم السابع وهو :

امثلة من جيوش العالم على احترام النظام

ملحوظة : قبل البحث في نظامية الجيوش اريد ان الفت النظر الى ان مؤلف هذا الكتاب هو رجل يدين بالانسانية ولا ينظر للقومية الا كواقع اجتماعي فقط ومؤلف هذا الكتاب يدين ايضا بالعالمية ولا ينظر للوطنية الا كشعور للفرد وعطف وحنو ناتج من تفاعل الفرد مع الارض التي يعيش عليها ورشف ماءها ، ويستنشق هواءها .

ولكننا اذا كنا كذلك فلماذا اذن نقول بتنظيم الجيش وبالجيش ، اذا كنا انسانيين عالميين .؟

الجواب على هذا السؤال هو اننا نخشى ان لايكون غيرنا من دول العالم انسانيين ويسعون لاغتصاب ربوعنا ولذلك يجب ان نوقف بقوة السلاح والجيش المنظم اذا اقتضى الامر كل اعتداء خارجي اما اذا نادت الـــدول بصدق الى الانسانية والعالمية فقد نادت المسيحية به من قبل ، وقد نادى به الاسلام واننا عندئذ انسانيون عالميون نتنازل عن الايمان بلزوم الجيش ان تنازلوا هم انفسهم عن ايمانهم بلزوم جيوشهم واننا نتنازل بقدر ماتنازلون هم انفسهم لا اكثر ولا اقل

ملحوظة : لم نرتب ذكر الجيوش ترتيبا لاحسب الاكثر نظامية ولا حسب الاقــل نظامية بــل نذكرها ونتكلم عنها دون ترتيب : فالجيش الذي سنذكره بالبداية لايعني انه اول جيش نظامي في العالم والجيش الاخير لايعني انه آخر جيش نظامي في العالم .

ملحوظة : تمـر الحكومات احيانا بفترات صعبة وازمات خانقـة فـترات يطغى فيها عليها الخطر الداخلي وفترات يطغي فيها عليها الخطر الخارجي فيقف الجيش في هاتين الحالتين ان كان نظامياً يتلقى اوامرها وينفذها بحذافيرها مهما كانت هذه الحكومات ضعيفة

وسنعني بهذه الظاهرة للجيوش النظامية اثناء ذكرنا الامثلة الاتية من جيوش العالم على احترام النظام

الجيش الالماني : اشتد الخطر الخارجي على المانيا عام ١٩١٨، وعام ١٩٤٥ وفي المرتين بقي الجيش يطيع اوامر السلطة المدنية العليـا « سلطة الملك غليوم عام ١٩١٨ وسلطة المستشار هتلر ، ووزرائه عام ١٩٤٥ — »

ونكتفي بشرح المرة الاخيرة فقط : لقد احتل الجيش الاوربي في حرب « ١٩٤٠ - ١٩٤٥ » كل اوربة المعادية له تقريباماعدا روسيا؛ وشعر بقوته واخذته سكرة النصر فراح يتغنى بانتصاراته وعرقه واصله ولما آن للحلفاء بمساعـدة الولايات المتحدة غزو القارة الاوربية بدأ الوضع يتبدل واخذت ترجح كفة الحلفاء على كفة المحور

وبدأ الجيش الالماني ينكسر في اكثر المعارك ولم يتمكن ان يقف حتى موقفا دفاعيا الا في بعض المناطق والى (حين فقط) وجعل هذا الجيش يتقلص الى ان اصبح كله في برلين وضواحيها بعدما كان منشورا ومحتلا في جميع انحاء اوروبا تقريبا .

وضحت الحقيقة ، وبزغت الشمس وتبين حتى للجندي الالماني بانه لا مفر من الانكسار وحاصر الجيش الروسي برلين ووقف عن كثب منه ، الجيش الاميركي والجيوش الحليفة (وذلك بموجب اتفاقية حربية انعقدت قبل انتهاء الحرب) ولكن الجيش الالماني بقي ثابتا خاضعا لاوامر السلطة العليا فكأنه آلة لاروح له الا النظام والخضوع والطاعة واخيرا دخل الجيش الاحمر برلين ووقعت في برلين معركة لا عهد للتاريخ بها وفي هذه الفترة العصيبة كان الضباط الالمان لا ينامون لا ليلا ولا نهارا الى ان جفت دماؤهم وهم على كراسي القيادة ووصل بهم الامر الى ان بعضهم باتوا لا يقدرون على الكلام فصاروا يعطون الاوامر بالكتابة والاشارات .

واخيرا تحطم الجيش الالماني وانتهى امره ولكن الحياة النظامية بقيت فيه مئة بالمئة والعالم اليوم باسره حتي الحلفاء وقادتهم يكبرون بهذا الجيش الروح النظامية التي يتحلى بها .

وقد فتش الحلفاء عن هتلر (وطبعا لا ليقتلوه) ولكنهم لم يروه ، واكبر الظن انه مات بالمعركة .

ونلاحظ انه لم يمر بتاريخ الجيش الالماني ولا قبلا بتاريخ الجيش البروسي فترة اخترق بها الجيش حرمة النظام بتاتا . فالجيش الالماني من حيث النظام انسان بلا عقل وعقله السلطة العليا بالبلاد انه آلة يقودها الرئيس الاعلى .

لقد عزلت القيادة العليا كثيرا من الضباط الكبار اثناء الحرب الاخيرة

ولكن العزل لم يؤد بأحد منهم لاحداث انقلاب

والجدير بالذكر ان زعماء الحزب النازي وهتلر، ورجال الدولة كلهم مدنيون ومن الشعب ومع ذلك لم يحدث في المانيا انقلاب على هتلر واعوانه بل بقي واعوانه في السلطة العليا حتى توارو من هذا العالم بذبح الحلفاء ان محاولات لاغتيال هتلر من قبل متآمرين من الجيش والحكومة قد حدثت ولكن دون جدوى، قد يكون الحزب النازي مخطئا وقد يكون هتلر مجرما، ولكن موضوعي ليس هنا وانما في الروح النظامية التي يتحلى بها الجيش الالماني .

الجيش القيصري الروسي :

بعدما انكسرت روسيا في الشرق الاقصى واحس الناس بالاستبداد تمردت جميع الطبقات الاجتماعية في روسيا واعتصب حتى موظفوا الخطوط الحديدية والبريد والبرق وانقطعت وسائل النقل والمراسلة بين اجزاء تلك الامبراطورية العظيمة ؛ فاشرفت الحكومة الروسية على الهلاك ولكن الجيش القيصري بقي بجانبها رغم ضعفها وانهزامها خارجيا ولم ينقلب عليها الاجزء بسيط من الجيش والاسطول

وكذلك ايضا هبت الثورة الروسية عام ١٩١٧ وجعلت تنحت في مؤخرة الجيش الروسي بينما كان الجيش الالماني يحاربه من الامام فتفكك هذا الجيش الروسي في الجبهة الالمانية ورجع افراد كثيرون منه الى القرى والمدن يحرقون وينهبون ويعيثون في الارض فسادا ولعل اكثرهم كان حاقدا على المدنيين الذين ثاروا على الحكومة في ذاك الوقت العصيب حيث كانت روسيا بحالة حرب وحيث كانت المانيا تهدد سلامة روسيا . وهكذا ادت هذه الثورة الى ضعف الحكومة القيصرية فسقطت وذهب عرش آل رومانوف وحل محله في بادىء الامر حكومة (كرنسكي) الاشتراكية ثم اكتسحت البولشفية سريعا هذه الحكومة الموقتة بزعامة (نيكولا لينين) الذي لم يقبل بكرنسكي وحكومته ولا بمبادئه وحطمه

شر تحطيم .

نعم لقد تمكن الحزب البولشفي في هذه الثورة من استمالة بحارة الاسطول الذين فتكوا بمعظم ضباطهم وانضم الى الحزب ايضا افراد من الجيش ولكن اكثر الضباط واكثر افراد الجيش الروسي بقوا في جانب الحكومة تقريبا الى النهاية

لقد كان الجيش الروسي القيصري على العموم جيشا نظاميا يطيع الاوامر والنظام رغم ضعف سلطان القيصر الاخير وحكومته (ولم يقم بانقلاب ضده رغم ضعفه وهذا ما نريد ان نقوله قبل كل شيء) .

الجيش السوفيتي في عهد لينين :

اسس لينين الدولة الشيوعية فقامت في وجه جميع الدول الاوروبية على الاطلاق وحاولت تأليف جيش اوروبي لتحطيم الشيوعية ، وجعلوا يدسون بين صفوف لينين لاحداث انقلاب عليه وللتخلص من النظام الماركسي ولكن الجيش الروسي السوفيتي بقي بجانب الحكومة يطيع اوامرها ولم يفكر في احداث انقلاب ضد لينين واعوانه .

الجيش السوفيتي في عهد ستالين :

تنازع ستالين مع تروتسكي فادى النزاع الى نفي تروتسكي الى المكسيك (وقتله اخيرا فيها) لقد قام ستالين بعمليات تطهيرية في روسيا لتثبيت الحكم وتوطيده ولكن الجيش الروسي السوفيتي لم يتدخل في ذلك مطلقا بل بقي آلة بيد السلطة العليا بدون عقل .

الجيش السوفيتي في عهد مالينكوف:

تكررت المأساة التنازعية ، اذ طمع بالحكم على الاقل شخص آخر غير مالينكوف جورج ، وهو بيريا فادى هذا النزاع الى اتهام الاخير بالخيانة الوطنية فحوكم واعدم ولكن الجيش لم يتدخل بالامر ولم يفكر في احداث انقلاب

والجدير بالذكر انه منذ تأسيس الدولة الشيوعية الروسية حتى اليوم نرى الحزب الشيوعي هو المسيطر في روسيا كما هو الحال في الدولة الهتلرية حيث كان مسيطرا الحزب النازي :

والحزبان ، النازي في المانيا وحكومة المانيا ، والشيوعي في روسيا وحكومة روسيا ، هما حزبان مدنيان مع انهما يقودان الحكومة والجيش و كل شيء ولكن أنى ليتسنى لهما ذلك لو لم تكن هناك في نفوس الروس والالمان اسس نفسية عميقة لاحترام النظام وطاعة السلطة العليا .

والتاريخ القريب لايعرف لروسيا عهدا حدث به انقلاب عسكري وانما بالعكس يبقى مسطورا بالذهب ذاك الموقف العظيم الذي وقفه الجيش الروسي السوفيتي والشعب الروسي في وجه الجيش النازي على ابواب موسكو حيث صمد الاسدان و كلاهما نظاميان حيث صمدا وصمدا الى ان تلقى الاسد الالماني الاوامر بالانسحاب

الجيش الفرنسي في عهد الثورة الفرنسية

هبت الثورة الافرنسية عام ١٧٨٩ وبدأت المعارك في باريس وخارجها بين الملك وبين الشعب الافرنسي الا ان الجيش بقي بجانب الملك ولم ينسحب منه شيء يذكر في باديء الامر ولكن لما عمت الثورة امتنع الجنود عن الدفاع عن الملك اهتماما و ماعدا البعض ، وتركوا الملك فريسة للثائرين (اذا لم نقل للشعب الثائر) انما نلفت النظر الى ان هذا الجيش الفرنسي الملكي في عهد لويس السادس عشر لم يفكر في احداث انقلاب على الملك ، وزعماء الثورة هم الذين قادوها لا الجيش ، اذن ليس هناك انقلاب عسكري في عهد ثورة ١٧٨٩ الفرنسية (وهذا ماتريد ان نقوله)

وعلى العموم ، لقد لعب في وراثة العرش الفرنسي العرف والتقاليد والقوانين

الاجتماعية الخاصة في وراثة العرش ولم تلعب به على العموم الانقلابات ، نعم لقد تتالت في فرنسا وفي دول اوروبا ايضا سلالات حاكمة واسر قوية و كانت على العموم تتبدل اما بموجب الاصول المتبعة في وراثة العروش واما بثورة شعبية اما الجيش والجيوش الاوروبية فلم اعرف انها كانت ذوات شأن دائم في تبديل ملوك الدول الاوروبية الا بالماضي البعيد في عهد الفرنكيين مثلا ، وعهد نابليون لاول والثالث بصورة استثنائية ،

عهد نابليون الاول

يمكن ان نعتبر الهزات الثورية الافرنسية التي اعلنت الجمهورية الاولى عام ١٧٩٢ والتي سبقت نابوليون سببا من الاسباب التي مهدت لهذا الرجل العسكري من الوصول للحكم المطلق تقريبا ولو بصورة تدريجية عن طريق قلب حكومة الادارة اولا ثم تحوير حكومة القنصلية والانتهاء بذلك الى الحكم المطلق عام ١٨٠٤ فلقد مل الشعب الفرنسي من الاعمال الثورية وعدم الاستقرار وراح يبحث عن السكينة فانشدها في شخص قوي مثل نابوليون .

لقد كثر البحث بنابوليون بونابرت وانقسم المؤرخون (على العموم) الى قسمين كبيرين قسم يمجده بدون روية وقسم ينتقده بدون روية ولا حدا وسطا بينهما (لدى اكثر المؤرخين) .

وفي عهد نابوليون كان للجيش مواقف غير نظامية منها انه بعد ما نفي الى جزيرة البا حدثت مؤامرة عسكرية لارجاعه ولما عاد خفية لفرنسا عن طريق طريق خليج جوان ارسل الملك لويس الثامن عشر جيشه للقبض عليه ولكن الجيش لم يتمالك شعوره وحبه لقائده الاسبق نابوليون فانقلب على لويس الثامن عشر وجاء بجانب نابليون .

عهد نابليون الثالث

وتكررت المأساة اذ ان نتائج ثورة عام ١٨٤٨ قضت ايضا باعلان الجمهورية الثانية عام ١٨٤٨ ولكنها لم تدم الا قليلا كالجمهورية الاولى فقد قام نابوليون الثالث بعد مامضى ثلاثه اعوام على تسلمه رئاسة الجمهورية بانقلابه عام ١٨٥١ ثم الغى الحكم الجمهوري واعلن نفسه امبراطورا عام ١٨٥٢ ويمكن القول ان تدخل نابليون الاول وطمعه بالامبراطورية اثر في ذاكرة الشعب الفرنسي فبقيت هذه الذاكرة تحمل في تلافيفها امكانية التدخل العسكري حتى عهد نابوليون الثالث الذي كرر مأساة نابوليون الاول باحداث انقلابه المدني المستند على قوة الجيش فكان الحكم الجمهوري في فرنسا لم يتوطد الا على مراحل وبمحاولات (وليس بمحاولة واحدة وهذا يخالف ما حدث بالولايات المتحدة حيث لم يقع انقلاب عسكري ولا مدني منذ اعلان الجمهورية في ولاية ماساشوست عام ١٧٨٧ حتى اليوم) ولكن نابليون الثالث شعر بضعفه امام الشعب منذ عام ١٨٦٠ تقريبا وبدأ بصورة تدريجية يطبق الحياة الشبه دستورية الى ان انتهى الامر اثناء حرب ١٨٧٠ (مع المانيا) وبعد انكسار فرنسا ، الى انتخاب مجلس اعلان الجمهورية في الثالثة عام ١٨٧٠ ثم وضع دستورا تم عام ١٨٧٥

ان التدخلات العسكرية في عهد نابوليون الاول ونابوليون الثالث قد اخرت في تطور الحكم الجمهوري وتأصيل الروح الجمهورية في نفوس الافرنسيين طيلة ثمانين سنة تقريبا كما انها ادت الى ايقاع الدولة الافرنسية في كوارث خارجية سببها طموح نابليون بونابرت ومهما يكن من امر هذا الرجل فأقل مايقال به انه اتى على خيرة شباب الدولة الافرنسية الذين قضوا نحبهم في الحروب وارهق الشعب بالضرائب فلقد طمح نابوليون لاخضاع كل اوروبة وتحويلها لدولة

سياسية واحدة فتألب عليه العالم الاوروبي عدة مرات واخيرا حطمه فخرجت فرنسا خاسرة من الناحية الخارجية وخاسرة من الناحية الداخلية .

ان لنابوليون عبقرية تركها له وكان عليه ان يبقى بالثكنة ويترك الحكم المدنيين حتى يورث الشعب الفرنسي عبقريته الحربية فقط لاغير اما ان يورثها عبقرية الحرب وجنونه ايضا ومصائب الحكم العسكرى فذلك ما لاتقبله لفرنسا الا ان الفرنسيين عرفوا بعد اعلان الجمهورية الثالثة عام ١٨٧٠ كيف يحافظون على الحكم المدني ومنذ ذلك الحين حتى ١٩٤٠ اى حتى انكسار فرنسا امام الجيش الالماني لم يحدث في فرنسا انقلاب عسكري ولا مدني واحد ولما تبوأ الجنرال بيتان عام ١٩٤٠ منصة الحكم في عهد الاحتلال الالماني لفرنسا وتفاهم مع هتلر اعتبر الفرنسيون هذا العمل خيانة وطنية وحاكموا فيما بعد بيتان وحكموه بالاعدام ثم ابدلو الحكم بالسجن المؤبد وقد شددوا هذه المرة على معاقبة المتعاونين مع حكم بيتان العسكري كما سيجيء ولم يعترفوا على شرعية حكمه ولو انهم اعلنوا الجمهورية الرابعة عام ١٩٤٤ وانتخبوا مجلسا تأسيسيا جديدا واعادوا انتخابه ووضعوا دستورا جديدا تم عام ١٩٤٦ وفرنسا اليوم من ارقى الدول الجمهورية في الدستورية وهي من اشد الدول احتراما للقانون لانها اخذت درسا تاريخيا من تدخل الجيش بالحكم في عهد نابوليون الاول ونابوليون الثالث كما ذكرنا .

الجيش الاسباني

كثير من الناس هم الذين يضربون مثلا بفرنكو على الحكم العسكري وموافقة الشعوب له .

ولكن هناك فارقا كبيرا بين ثورة فرنكو الشعبية وبين الانقلابات

العسكرية التي حدثت ببلادنا :

لقد بدأ الحكم الجمهوري مستتبا باسبانيا عام ١٩٣١ لاول(١) مرة ويظهر ان الشعب الاسباني لا يتقبل مثل هذا الحكم او انه حتى الان غير مستعد لممارسته ففي عام ١٩٣٦ شبت الثورة الوطنية بقيادة الجنرال فرنكو ضد الحكومة الجمهورية وكان المحور تدخل بذلك وكان الجيش بجانب الحكومة لا بجانب الوطنيين، واخيرا وبعد حرب مدني دامت سنتين ونصف انتصر فرنكو والوطنيون عام ١٩٣٩ على الحكومة التي التجأت الى فرنسا فأدي ذلك الى استلام فرنكو الحكم الذي اصبح تقريبا دكتاتور اسبانيا فانت تري ان الشعب الاسباني قام في وجه الحكومة والشعب سلطة شرعية وهو تقريبا كل شيء في الدولة وقد نجح في ثورته ، اما الجيش الاسباني فقد كان نظاميا وقد بقي الي جانب الحكومة حتي تركت البلاد تقريبا ولم يقم باحداث انقلاب عليها وهذا ما نريد ان نقوله قبل كل شيء اخر اذن لا يمكن تمثيل انقلاباتنا العسكرية بالثورة الاسبانية الاهلية . التي هي ثورة شرعية لانها ثورة الشعب وثورة قوية لانها حطمت الحكومة والجيش تقريبا .

الجيش الاميركي:

لا توجد في الولايات المتحدة روح عسكرية بالمعنى الصحيح ؛ وقوة الاميركيين ليست في نظامهم العسكري بل في حضارتهم المادية .

ولكن الاميركيين رغم كل ذلك قد الفوا جيشا ضخما في التاريخ تألف

---

(١) اعلنت مرة الجمهورية عام ١٨٧٣ في اسبانيا ولكنها لم تتطبق بل ابطلت عام ١٨٧٤ .

نواتة الاولى بمساعدة الفرنسيين في بادىء الامر من المواطنين الاميركيين الذين ثاروا في وجه الاستعمار الانكليزي وحرروا منه بلادهم بالنصف الاخير من القرن الثامن عشر ثم نما هذا الجيش بعد استقلال الولايات المتحدة وحارب الاميركيون به عدة مرات وكان النصر حليفهم في كل مرة وجدير بالذكر ان تاريخ الولايات المتحدة لا يعرف انقلابا عسكريا ولا مدنيا واحدا فيها .

الا ان الحالة الراهنة في العالم ليست طبيعية والامم تستعد اليوم الى حرب ضروس ولذلك رأى اولي الامر في العالم الاميركي تسليم زمام الحكم الى رجل عسكري حازم فرشح المذكورون الجنرال ايزنهاور لرئاسة الجمهورية فنجح وهو اليوم رئيس اعظم دولة في العالم . ولكنه لم يتوصل للحكم بواسطة انقلاب عسكري بل بالطريقة الشرعية وبارادة الامة .

الجيش اليوناني

اليونان دولة عريقة بالمجد والحضارة ، ولها تاريخ مفعم بالابهة والعظمة وقد لعبت دورا عظيما في البحر المتوسط بالماضي ، الا انها اليوم دولة صغيرة تحاول النشوء من جديد ونلاحظ انه عندما احدث بعض الضباط الاتراك من زعماء و افراد جمعية الاتحاد والترقي في تركيا انقلابهم العسكري فكر الضباط اليونانيون عن طريق العدوى ان يقلدوا الضباط الاتراك ويغيروا الحكومة اليونانية عن طريق انقلاب عسكري ولكن الفكرة لم تتحقق لذلك لا مجال للبحث بها .

وقد هبت باليونان ثورة شديدة منذ عدة سنوات ودامت وتكررت و كانت الحكومة اليونانية ولا تزال ضعيفة الى اليوم الا ان الجيش اليوناني بقي بجانبها ولم ينقض عليها على العموم بل بقي بعيدا عن الانقلابات يتحلى بالروح النظامية حتى هذه اللحظة .

اما الجيش العثماني فقد كان نظاميا في عصر الفتوحات العثمانية ولما جاء عصر الانحطاط واخذت الدولة العثمانية تتقهقر وتقلص ظلها ، رافق هذا العصر فوضى بالجيش العثماني ، وحدثت فيه انقلابات ومازالت تتكرر حتى زالت الدولة العثمانية ولم يبق لها اثر يذكر . فهل يريد احد ان تكون جيوش بلاده على هذه الشاكلة ؟

واخيرا جاء انقلاب مصطفى كمال باشا ، فتأسست دولة تركية جديدة على انقاض الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الاولى ولا يهمنا من الدولة التركية الا الدولة العثمانية في عهد الانحطاط وخصوصا في آخر ايامها حيث كانت تحتضر وحيث رافق هذا الاحتضار انقلابات عسكرية .

الجيش الصيني في عهد الجنرال شان كاي شيك رئيس جمهورية الصين السابق

هبت الثورة الشيوعية منذ عدة سنوات في الصين ، و كانت ثورة عنيفة وقد اشترك بها قسم كبير من الشعب الصيني ولكن الجيش الصيني الرسمي وقف (على العموم) في جانب الحكومة رغم ضعفها حتى النهاية تقريبا . —

الجيش الايراني :

يقوم الجيش الايراني بانقلابات عسكرية في هذه الايام من وقت لآخر ، كما هو الحال في الشرق الادنى .

وايران في حالة غير استقرارية وتعاني الآن ازمة كبرى من جراء هذه الانقلابات وربما سيطيح ذلك بما تبقى لها من الحرية والاستقلال .

الجيش العراقي

الجيش العراقي جيش نظامي ولكن العراق مرتبط مع انكلترا بمعاهدات ولذلك فاننا

نعتبر هذا الجيش غير حر .

الجيش اللبناني

يمكننا ان نقول نسبيا ان الجيش اللبناني هو بالدرجة الاولى من حيث الروح النظامية بين جيوش العالم العربي . نعم انه جيش صغير ، ضعيف ، ولكنه لم يقم حتى الان بانقلاب عسكري من جهة وانما تدخل لحفظ الامن بالاونة الاخيرة لما اضربت شوارع بيروت وطرابلس وبعض المدن الصغرى واقفلت مخازنها وطالبت باستقالة رئيس الجمهورية اللبنانية السيد بشارة الخوري الذي استقال والحالة هذه بينما كان الجيش يحفظ الامن حرصا على الامن وخوفا من اندلاع ثورة اهلية (وقد تكون هذه الحوادث التي سبقت استقالة بشارة الخوري مناورة لاكراهه على الاستقالة ؛ فالشعب اللبناني غير قادر وغير مستعد في هذه الايام على القيام بثورة وشروط الثورة غير متوفرة فيه ، ولكن كيفما كان الحال يمكن القول ان الجيش اللبناني لم يتدخل تدخلا ظاهرا بتاتا .

ولقد التزم الجيش السكينة بعد استقالة السيد بشارة الخوري من رئاسة الجمهورية فاثبت بذلك روحه النظامية واثبت انه لا يرمي الى تسيير دفة الحكم لا بواسطة انقلاب ولا بدون انقلاب .

الجيش المصري

اما الجيش المصري فلقد اساء لسمعة مصر ولقد استغل سوء تصرف الملك فاروق واعوانه ووزرائه واحدث الانقلاب المعروف بانقلاب محمد نجيب وهو اليوم تارة يضع محمد نجيب خارج منصة الرئاسة ، وتارة يعيده وفي كل يوم يصدر مجلس الثورة قرارات جديدة وقراراته كيفية لا ترتكز على منطق ولا على قانون وان مجلس الثورة المصري بعيد عن الثورة بعد السماء عن الارض

فالثورة تعني شعبا مدنيا ثائرا على الظلم والاستبداد لا جيشا يتنكر لاعتبارات الامة ويحاكم المناضلين فيها في سبيل تحرير مصر ؟ الثورة لاتعني جماعة من الضباط العسكريين المتآمرين على خنق الحريات العامة واستبدال الحكم الدستوري بحكم جمهوري بالاسم .

ان الحالة في مصر لن تدوم على ماهي عليه الان وقد بدأت بالفعل نار الثورة تستعر بالشعب المصري وانه بلا شك صاحب الحق في كل قضيـــة تخص مصر وسوف يضطر الجيش لامحالة للرجوع الى الثكنة وترك الحكم لارادة الشعب المصري التي هي فوق كل ارادة ، سوف يعود الجيش الى الثكنة شاء ام ابى وان غدا لناظره قريب .

ولا بد لنا من التلميح الى ان جميع ضباط الثورة في مصر ، عافيهم محمد نجيب هم من المرتزقة في هذا الجيش المصري ، لامن رجال السياسة ولا يدركون منها اكثر مما يدركه أي شخص بسيط ولو كانوا عقلاء في حركتهم التي رمت الى اخراج فاروق من مصر لساروا وراء الشعب لا امامه ولكلموه من تحت ، لا من فوق ولفعلوا على الاقل مثلما فعل الجيش اللبناني ، اذ انه كان بامكانهم على الاقل ان يسلوا من يسعى لتهييج المواطنين للتظاهر والاضراب والطلب من فاروق ان يتنازل عن العرش للشعب ويغادر البلاد حتى اذا ما حدث ذلك تدخل الجيـش المصري بحجة حفظ الامن وطلب ايضا وردد مطاليب الشعب وهي ان يتنـازل فاروق عن العرش ويغادر البلاد فاذا ما تنازل وغادر ، طلب الجيش من الشعب ان يتسلم بنفسه مقاليد الحكم لانه مصدر السلطات والسلطة العليا بالدولة

هذا ما كان يجب على الجيش المصري ان يفعله ويعود لثكنته ، اما ان يتسلم الحكم ويتهم الابرياء والمناضلين ويلقي الرعب في نفوس الاهلين والزعمـاء وينشر الارهاب في جميع انحاء مصر ويخنق الحريات و . . و . . ويسعى لمصالحه

الخاصة دافنا تحتها مصالح مصر العامة فذلك مالا نقبله لمصر ومالا نقبله ان يصدر في اية حكومة من حكومات العالم العربي وما نحتج عليه احتجاجا شديدا .

تلك هي الحالة الراهنة في جيوش العالم العربي التي تتنازع مع الاحرار من رجال الحكم او مع الطبقة الحاكمة القديمة او مع الملك فتقوم باسقاطهم بصورة غير شرعية وتحل محلهم وهي تعود بذاكرتنا التاريخية الى عهد الانحطاط في الدولة العباسية حيث كان ضباط الجيش، ورجال قصر الخليفة والعبيد، والغلمان والخدمة والحشم ، يأمرون الخليفة ويجعلونه عبدا مطيعا حتى اذا ماظهر منه مالايعجبهم ؛ او اشتموا منه رائحة ما ، فقؤوا عينيه ، او قتلوه ؛ او عزلوه ؛ ونصبوا غيره وقد وصفهم شاعر عربي بهذين البيتين :

خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول ماقالا له كما تقول الببغا

ومن البديهي ان لايقبل الاحرار في العالم العربي بمثل هذا النفوذ العسكري وبديهي ان يصطدموا مع الجيش ولكن الغلبة لهم وحدهم .

القسم الثامن وهو : بيان خطأ من يضربون الامثلة على صلاح الحكم العسكري

وقد يضرب بعض الناس امثالا على صلاح الحكم العسكري بالماريشال تيتو ومصطفى كمال باشا ، والجنرال بيتان والجنرال دو كول والجنرال « شيانج كاي تشيك» ويضيفون الى هذه الاسماء خطأ «بورون» ويدعون بذلك قابلية الشعوب لهذا النوع من الحكم .

ولكن هذه الادعاءات واهية خاطئة للاسباب الاتية : اولا اتاتورك :

لنلمع الان لمحة عن العصر التركي الخاص بحياة المناضل كمال باشا ولنسهب في هذه الكلمة قليلا لان تركيا دولة مجاورة لسوريا ونخشى ان تتسرب العدوى الى بلادنا خطأ . استقالت حكومة الاتحاد والترقي في ٧ تشرين الاول في عهد السلطان محمد السادس (وحيد الدين) وذلك عام ١٩١٨ لما ا رتبكت الدولة

سقط سهوا الملحق التالي فالرجاء قراءته بعد السطر «١٣» من الصفحة «٥٨» تماما :

ملحق بالقسم السابع ؛ المتضمن : امثلة من جيوش العالم على احترام النظام :

نختم حديثنا عن نظامية الجيوش بهذا الملحق المتضمن الملحوظات التالية :

١ - تبقى الجيوش نظامية ،عند هبوب الثورات بالحالات التالية :

أ - اذا بقيت بجانب الحكومة حتى النهاية .

ب - اذا انضمت او انضم قسم منها الى الحركة الشعبية الثورية عندما تعم. « يجب ان تسبق ثورة الشعب عصيان الجيش ». ج - اذا وقفت الجيوش على الحياد.

اما اذا ثارت الجيوش لنفسها وسبقت ثورة الشعب فان عملها هذا هو عمل اجرامي وتكون بذلك قد خرجت عن الروح النظامية التي يجب ان تتحلى بها.

٢ - يظهر ان اكثر الثورات التاريخية لم تتم الا بعد ما دعمها فريق كبير من الجيش او الجيش برمته او بعد وقوفه على الحياد على الاقل . فالثورة الفرنسية عندما عمت لم تلبث ان ايدها الجيش مع ان الثورة المسيحية مثلا دامت قرونا دون ان تتم لعدم تاييد الجيش لها ؛ الثورة بحاجة لقوة مادية حتى تنجح ولكن مساعدة الجيش ليست ضرورية وكذلك ان وقوفه على الحياد ليس ضروريا ايضا « بصورة مطلقة » فقد استطاعت بعض الثورات الانتصار على الحكومات وقلبها بدون مساعدة الجيوش بل ان بعض الثورات الشعبية تمكنت من سحق الحكومة والجيش معا وقد يحدث ذلك عندما يملك الشعب حضارة مادية عظيمة ، ويوجد فيه حزب قوي منظم او عندما تساعد دولة اجنبية الشعب وتمده بالمؤن والذخائر .

٣ - اذا قام الجيش وثار من تلقاء نفسه واحدث انقلابا فان الدولة على الغالب ستكون في خدمة الجيش والحكومة تحت نفوذه :

وقد حدث ذلك مرارا بالتاريخ وخصوصا في اواخر الدولة الرومانية حيث تفوقت طبقة الجند فكان امبراطرة الرومان تحت امرة الجنود وصار هؤلاء يرفعونهم على العرش وينزلونهم حسبما يريدون ، وحدث ذلك في عهد

انحطاط الدولة العباسية، وفي عهد انحطاط الدولة العثمانية والى آخره .. والى آخره..

وتتمكن على الغالب الحركات العسكرية من قلب الحكومة او تغييرها بسهولة كما هو الحال في الجمهوريات الاميركية ـ الاسبانية وفي البرتغال ـ وفي تركية الاتحاد والترقي ولكن مثل هذه الثورات (على الاصح الانقلابات) لا تكون ذات نتائج عظيمة على الارجح الا اذا صدرت عن استياء عام وآمال كبيرة، وكان القائم عليها يحسن التدبير واهلا للاصلاح.

ولقد كانت حركة حسني الزعيم ملائمة في سوريا اذ ان الشعب كان مستاء وكان حسني يصور الامال ولكن هذا الرجل لا يصلح لقيادة امة. وكما سيجيء، كما ان هذه الحركات العسكرية تؤلف خطرا تاريخيا فلربما يعتاد الجيش على القيام بمثلها في كل مناسبة. زد على ذلك كونها مبدئيا غير شرعية في اي نظام سياسي في العالم اليوم.

٤ ـ لما حدثت الثورات بالامم الحديثة: كفرنسا واسبانيا والنمسا وايطالية وبلجيكا والبرتغال وبولونيا وتركيا «ثورة الاتحاد والترقي» واليابان وغيرها لم يعد الجيش يد المعونة للحكومات ولم يقم بوجه هذه الثورات الا نادرا والا قليلا وفي البداية فقط وبالعكس فالجيش هو الذي قام بالثورات في البرتغال «وتركيا الاتحاد والترقي» وفي الجمهوريات اللاتينية الاسبانية الاميركية ولكن هناك نقطة هامة جوهرية وهي ان الثورات بدأت على الغالب من غير ان يكون للجيش دخل بها فهكذا هبت ثورة عام ١٨٣٠ وثورة عام ١٨٤٨ ثم ثورة عام ١٨٧٠ بفرنسا بينما بالعكس تحدث اليوم الانقلابات العسكرية في بلاد العرب دون ان يكون للشعب على الغالب دخل بها.

وتهب الثورات الحديثة بغتة وتوجب فجأة على الغالب انقلاب الحكومات كما هو الحال بالثورة البرازيلية، والبرتغالية، والتركية، والصينية «كوستاف لوبون» «انتهى الملحق» ويمكنك الان ان تستأنف قراءتك بالكتاب فالرجاء العودة الى الصفحة «٥٨» واستئناف القراءة فيها من السطر «١٤» حيث يبدأ القسم الثامن».

العثمانية ان تتحطم اذ ان هذه الحكومة التي اعلنت الحرب على الحلفاء حاولت حينما اتضح لها انها خسرت الحرب ان تعقد صلحا شريفا معهم عن طريق ويلسون رئيس جمهورية الولايات المتحده فلم تفلح فاستقالت وتركت المكان الى فئة من رجالات تركيا الذين لم يشتركوا بالحرب

وبعد محاولات استطاعت الحكومة الجديدة ان توقع بتاريخ ١٩١٨/١٠/٣٠ على عقد هدنة لم يكن لها فيها الخيار مطلقا بل حررتها حكومة لندن وقد عرفت هذه الهدنة بهدنة (موندروس التي وضعت حدا للحرب العظمى فيما يخص بتركيا وقد وقعها الطرفان على ظهر الدارعة البريطانية « اكاممنون » التي رست في مرفأ (موندروس) في (ليمنوس) وتألفت هذه المعاهدة من ٢٥ مادة واهم مافيها فصل المناطق الغير التركية وبعض المناطق التركية الصرفة مثل كليكيا عن جسم الدولة العثمانية وحرمان الامبراطورية من الاسطول والجيش وتسليم نقاط الدفاع الطبيعية كالمضايق وانفاق طوروس الى الحلفاء واعطاء الحلفاء حق احتلال اية نقطة محصنة حربية دون تعيين في ذلك ، وحق استعمال سفن الامبراطورية وسككها الحديدية ، وهكذا نرى ان الدولة العثمانية المترامية الاطراف سابقا ، الدولة العثمانية ذات المجد والسؤدد قد تحولت الى مستعمرة اوربية بموجب شروط معاهدة الهدنة .

وكان كمال باشا قائدا لجيوش « الصاعقة » في الجيش العثماني انئذ في سوريا

---

١) اقرأ لعمر ابو النصر : « مجلة الحرب العظمى وما بعدها » الاعداد (١ - ٢ - ٣ - ٤) عن تركيا الجديدة ؛ اقرأ لامين محمد سعيد ، وكريم خليل ثابت : سيرة مصطفى كمال باشا « وتاريخ الحركة التركية الوطنية في الاناضول »

فراد ان يخلص تركيا من براثن الذئاب فاصطدم مع الصدر الاعظم المقيم في العاصمة عن طريق الهاتف والمراسلات واخيرا اصبح كمال باشا من جراء انتقاداته واعتراضاته واعماله متمردا على الدولة العثمانية ، فالغت الدولة قيادته وشلت عمله واعادته الى الاستانة ومنذ ذلك الحين بدأ اتاتورك نضاله وقد ساءه استلام الحلفاء في تركية مستودعات الاسلحة والذخائر والمرافيء والمضايـــق وذلـك تطبيقـــا لمعـاهدة الهدنـة ويدخلون استنبول دخول الفاتحين وشاركه الشعب في الامة على بلاده حتى ان الشعب صار يكره الجيش ويبغض كل شيء يمت الى الجيش بصلة فقد استولى ايضا في بدء عام ١٩١٩ الفرنسيون على انفاق طوروس واطنة وكليكيا وكان الانكليز بنفس التاريخ يقتربون من الكوكاز بعد ارضروم وكان الطليان يستولون على اضالية ويتجهون بقواتهم لاحتلال قونية ، واهم حدث في الدولة العثمانية هو احتلال اليونان لازمير وضواحيهـــا في ١٣ مايو ١٩١٩ ولا يجب ان ننسى هجوم الارمن في شرق الاناضول وطموحهم لتأليف الجمهوريـــة الارمنية في كليكيا .

وهكذا نرى ان الدولة العثمانيه اصبحت مقطعة الاوصال فلقد انهزمت من المعارك وخسرت الحرب وافلتت منها البلاد الغير التركية كبلاد العرب والمغرب واحتل الحلفاء بلادها وتفرقوا هنا وهناك في انحاء تركيا الاصلية، وعمت الفوضى تقريبا في جميع انحاء الدولة العثمانية . فتشكل في البلاد جميات مختلفة كجمعية (الدفاع من حقوق الوطنيين والاقسام الشرقية) في ارض ارضروم والعزيز وكجمعية (تراقيا وباشا علي) وكان هدف هذه الجميات الدفاع المحلي فقط لا انشاء وطن حر ، الذي اصبح خرافة في خيال الاهلين الاتراك ولكن هذا اليأس تحول الى ثورة عامة وخصوصا بالاناضول حينما احتل اليونان ازمير كما ذكرنا ،

فالاتراك تقبلوا احتلال الدول الكبرى لبلادهم بصورة موقتة ولكنهم لم يطيقوا تعديات دولة محاربة صغيرة لا شأن لها في منظرهم ولا هي من اندادهم .

وشاءت الاقدار عام ١٩١٩ في ايار ان تقذف الحكومة العثمانية بكمال باشا الى الاناضول باعطائه وظيفة مفتش عام للجيش الثالث تخلصا منه ومن انتقاداته حين كان بالعاصمة فكان طيلة وجوده باستنبول لايشغل وظيفه رسمية ولا مهنة له الا اتهام الحكومة بالتقصير ، بما فيها، ونقدها نقدا لاذعا واتهامها باضاعة الدولة بكاملها لتساهلها مع الاجانب .

جاء اتاتورك الى الاناضول فلم ير ، لاجيشا ثالثا بالمعنى الصحيح ولا غير ثالث وكل ماراه شرزمة صغيرة من الجنود ؛ فقد كره الشعب الجيش كما قلنا وترك الجندية اكثر الافراد وانصرفوا .

جاء اتاتورك الى الاناضول فوجد بعض الاحرار من الشباب الوطنيين يؤلفون وخصوصا على مقربة من ازمير جمعيات لرد المحتلين اليونان .

وعادت الروح النضالية العسكرية في الجيش التركي التي ايقظها احتلال اليونان لازمير وتألفت العصابات واعلنت استعدادها للقتال بجانب الجيش ولكن جيش الاتراك الرسمي لم يحارب اليونان بل استسلم معظمه لهم بموجب الامر العسكري المعطى من قيادة الموقع العسكري الى الجنود بالاستسلام الى اليونان فاضطرت هذه العصابات والجمعيات الى التوغل في قلب الاناضول .

نقول اخيرا جاء اتاتورك الى الاناضول فجمع البقية الباقية من الجيش الذي يؤيد فكرته والذي ابى ان تضيع البلاد وضم اليه الجمعيات والعصابات والافراد الوطنيين المخلصين ، وجعل يعقد الاجتماعات ويصدر المنشورات ويخاطب الجماهير والمواطنين ويطلب منهم الاحتجاج لدى حكومة العاصمة ولدى ممثلي الدول على الاحتلال والاغتصاب فقام الشعب ينظم المظاهرات في كل مكان وقد

استعمل كمال باشا جميع الاساليب لايقاظ الشعور والنضال وجمع شمل الاتراك ونذكر من هذه الاساليب زيادة على ماذكرنا : الاساليب الدينية لتحميس الشعب على النضال ضد الاحتلال ومن اجل الاستقلال والحرية ، فلقد حمل على ظهره مع الحاملين الرجل الديني المعروف « بالسانوسي » وراح يجوب به بلاد الاناضول وهو يخطب بين الجماعات لتشجيعهم على تخليص البلاد ونذكر ايضا اساليب الديمقراطية اساليب المؤتمرات الوطنية لصبغ حركة النضال بصبغة شعبية شرعية فقد كان يعلم انه لابد يوما من ترك وظيفته الرسمية وانه لايمكنه ان يثار على عصيان استانبول كفرد وانه يجب انشاء مجلس تمثيلي للامة فدعا لمؤتمر أماسيه ، فشعرت الدولة العثمانية بخطره عليها فحاولت عبثا اقناع كمال باشا بالرجوع عن اعماله ولما لم يرتد عزلته بتاريخ ٢٣ حزيران ١٩١٩ ؛ وانما من الممكن ان تكون الاتصالات بينه وبينها تكررت بعد تاريخ عزلة لانه قدم لها ايضا في ٨ تموز استقالته من الجيش وحكومة السلطان وانطلق حرا يواصل النضال لانقاذ الوطن كفرد من افراد الشعب فدعا ببيان الى عقد مؤتمر سيواس الاول الذي لم ينعقد بسيواس لضغط اتباع سلطة استنبول وانما انعقد فيما بعد بارضروم في تاريخ ٢٣ تموز ١٩١٩

وهكذا ترى ان مصطفى كمال اخذ يناضل لتحرير بلاده نضالا مدنيا فترأس جمعيات الدفاع عن المضايق في ارضروم حال استقالته المذكورة من وظيفته العثمانية في الجيش القديم (جيش السلطان)

ونذكر بالمناسبة ان مؤتمر ارضروم المذكور وضع مبادىء الميثاق القومي المشهورة في خمس بنود : وخلاصتها الوطن وحدة لايتجزأ ، الدفاع عن الوطن ، عدم قبول الحماية والاحتلال ، تأليف حكومة موقتة بالاناضول عند الحاجة ؛ تأليف المجلس الوطني . وبعد مؤتمر ارضروم انعقد مؤتمر سيواس وهي المدينة

الاناضولية الشديدة التأييد لاستانبول ولم يكن مؤتمر ارضروم المذكور الا خطوة تمهيدية لمؤتمر سيواس الذي كان المؤتمر الثالث في الاناضول فضم هذا المؤتمر الى مبادىء مؤتمر ارضروم الست التي الفت الميثاق القومي المؤتمر البند السادس وهو : مبدأ الدفاع ضد كل نوع من التدخل والاحتلال وبصورة خاصة ضد كل حركة ترغب في اقامة تشكيلات يونانية او ارمنية وقد عمم مؤتمر سيواس جميع مقررات مؤتمر ارضروم على جميع بلاد تركية واقسم المجتمعون في مؤتمر ارضروم ومؤتمر سيواس ان لايرموا سلاحهم الا بعد تحرير بلادهم وارسل المؤتمر انذارا الى الاستانة يستصدر فيه مرسوما سلطانيا بانتخاب مجلس نواب لتقرير مصير البلاد وحدثت الانتخابات فعلا لتأليف (مايسمى بمجلس المبعوثان) وكانت اكثرية المجلس بجانب كمال باشا فاجتمع باستنبول يوم ٢٨ كانون ثاني سنة ١٩٢٠ ووافق على الميثاق الوطني (ويقال ان هذا الميثاق كان قبلا قد وضعه النازي واعده ويقال ايضا ان واضع صيغته جلال نوري بك الكاتب التركي الشهير ولكن ذلك لايمنع صحة القول الاول) فحل السلطان المجلس بتأثير انكلترة والحلفاء واعتقل بعض اعضائه ونفاهم الى جزيرة « مالته » فما كان من اتاتورك الا ان نقل المجلس الوطني الى قرية نائية في الاناضول « انقرة آنئذ » فاجتمع فيها بعض النواب الاتراك الذين حل مجلسهم السلطان ، اجتمعوا ايضا مع بعض المنفيين (الى جزيرة مالته منذ احتلال الحلفاء للاستانة) ومع نواب جدد ، فلقد اجري كذلك اتاتورك انتخابات جديدة بالاناضول اقول اجتمعوا بتاريخ ٢٣ نيسان ١٩٢٠
بانقرة وانتخبوا مصطفى كمال باشا رئيسا للمجلس واصدر هذا المجلس قرارا الغى به كل الاتفاقات المعقودة بين السلطان والحلفاء ؛ وأسست الحكومة « الوزارة » الوطنية الجديدة في ٣ مايس ١٩٢٠ وقد تسمى هذا المجلس او هذا

المؤتمر الذي يتألف مما ذكرنا باسم (المجلس الوطني الكبير) » ويسمى ايضا المؤتمر القومي الرابع او الثالث في انقرة »

ان اتاتورك ، وان هذا المجلس ، (منذ انعقاده) ، هما اللذان حكما تركيا وناضلا ، واوصلاها الى الحرية

وقد وضعت هذه الحكومة وهذا المجلس دستورا لحكومة المجلس الوطني الكبير في كانون ثاني ١٩٢١ « ودام هذا الدستور » حتى اعلان النظام الجمهوري عام ١٩٢٣ »

وهكذا انفصلت الاناضول عن الاستانة منذ ١٩٢٠/٤/٢٢ نهائيا بموجب المجلس الوطني الكبير المنعقد في انقرة كما نرى ولما رأى الحلفاء هذا الوضع عجلوا بمعاهدة الصلح فوضعوها ووقعها السلطان محمد السادس بتاريخ ١٠ - ١٥ آب ١٩٢٠ وهي معاهدة تردد السلطان في توقيعها مدة لانها ذهبت بسيادته وذرت بالبلاد الى الحضيض : (معاهدة سيفر) وقد اهتاج العالم التركي باسره لفظاعة هذه المعاهدة التي تؤدي بالدولة الى الحضيض وقام المجلس الوطني الكبير بالاناضول برئاسة اتاتورك الذي حول الجماعات الوطنية المناضلة الى جنود نظاميين معتمدا على القوة في سبيل تحرير تركيا الجديدة وبدأ يدافع عن بلاده فيحارب الافرنسيين في المنطقة المسماة ابتذ المنطقة الشمالية « كليكيا » وفي ساحل الاناضول ويصد هجمات الارمن في الشرق ويحطم جمهوريتهم الارمنية ، ويقابل من الغرب هجمات اليونان على الاناضول الذين كانوا يرغبون بعد احتلال ازمير ان يحتلوا انقرة وسائر الاناضول فلقد الف اليونان ثلاث حملات على تركيا بعد احتلال ازمير ، وشنوا الهجوم العام ثلاث مرات ولكن اتراك اتاتورك صدوا الهجومات الثلاثة :

ففي المرة الاولى انكسروا بنهاية معركة اينونو الاولى وبالمرة

الثانية انكسروا بنهاية معركة اينونو الثانية وبالمرة الثالثة وقد اعلنوا فيها النفير العام انكسروا ايضا بنهاية معركة سقاريا وتراجعوا ، وكانوا في كل مرة يربحون بداية المعركة فقط ثم يخسرون نهايتها رغم قوة عددهم وكثرة عددهم وعبقرية القائد العام اليوناني الجنرال باپولاس الذي ابدى في بداية الهجوم الثالث كفاءة مشهودة في ادارة المناورات وانقاذها وسرعة الهجوم التي الزمت الاتراك وبدء الهجوم الثالث ، على الفرار من امام كوتاهية الى سقاريا (الا ان الفرنسيين عادوا فاوقفوا الحرب ، لسبب النزاع الكائن بين فرنسا وانكلترة) ولقد احس الحلفاء بقوة النفسية التركية ورباطة جأشها وثباتها مع رئيسها المناضل اتاتورك منذ فشل الحملة اليونانية الاولى في معركة اينونو الاولى التي وقعت بتاريخ ١١ يناير سنة ١٩٢١ فاجتمع في لندن ممثلوا السلطنة العثمانية وممثلوا الحكومة الوطنية مع ممثلي الدول الحليفة في شباط - اذار سنة ١٩٢١ ولكن هذا المؤتمر المسمى بمؤتمر لندن لم يأت بنتيجة فقام لويد جورج يحرض اليونان على استئناف الهجوم على الاناضول فكانت الحملة الثانية والهجوم الثاني وكان انكسار اليونان بمعركة اينونو الثانية التي وقعت باواخر اذار ١٩٢١ ثم كانت الحملة الثالثة والهجوم الثالث وانكسار اليونان بمعركة سقاريا التي بدأت في ليل ٢٣ اغسطس ١٩٢١ وقد اعطى المجلس الوطني الكبير الى مصطفى كمال رتبة مشير ولقب غازي في ايلول عام ١٩٢١ واخيرا هاجم الترك اليونان في ٢١ اغسطس عام ١٩٢٢ وكان قد تسلم القيادة اتاتورك بدلا من عصمت اينونو في الجبهة الغربية بعد هزيمة الترك من امام كوتاهية (بداية الهجوم اليوناني الثالث) الى سقاريا اقول واخيرا هاجم الترك اليونان وكسروهم بحيل فنية حربية ومناورات تطويقية تسحر العقول واجلوهم عن الاناضول وازمير ودحروهم وقذفوا بهم

لى البحر (١) ولكن اليونان احرقوا قسما من ازمير قبل مغادرتها وكان ذلك في ايلول عام ١٩٢٢ فاصبح اتاتورك والحالة هذه امام امرين: اما ان يستأنف النضال ويهاجم الحلفاء لتحرير بلاده واحتلال المضايق واستنبول واما ان يلجأ الى الطرق الدبلوماسية وقد خابر مندوبوا الحلفاء باستنبول قوات انقرة بانهم يعتبرون المضايق منطقة حياد لايحق للقوات دخولها (وبالحال ارسل الانكليز نجدات الدفاع عن المضايق) . ولكن الحلفاء اختلفوا ، وهم مختلفون من قبل، ففرنسا ايدت تركيا ، واخلت ساحل الاناضول بنفسها ، وايتالية لحقت بفرنسا اما انكلترة فقد حاولت بلسان لويد جورج معاكسة اتاتورك وتأييد اليونان ولكن عادت انكلترة لاسلوب المفاوضات الذي اسفر عن عقد معاهدة المدنية باستنبول في ١١ تشرين اول سنة ١٩٢٢ بين الحلفاء وحكومة انقرة التي مثلها عصمت اينونو باشا ثم دخلت الجيوش التركية الوطنية الى استنبول بتاريخ تشرين ثاني ١٩٢٢ فقرر المجلس الوطني الكبير اضافة لقب الصاعقة اي (يلديرم) الى القاب كمال باشا واخيرا الف اتاتورك وفدا تركيا وسلم رئاسته الى عصمت (اينونو) باشا (٢) لعقد معاهدة الصلح في مدينة لوزان فكانت معاهدة لوزان انتصارا لحقوق الاتراك والحرية وقد وقعت عليها تركيا والحلفاء في لوزان بتاريخ ٢٤ تموز سنة ١٩٢٣ اما قضية الخلافة فقد اجتمع (قبل عقد معاهدة

---

(١) انك اليوم اذا ذهبت الى الاناضول فانك ترى اكثر من تمثال لاتاتورك يشير بيده الى البحر ويعني بذلك قذف اليونان الغزاة اليه .

(٢) قائد جيوش الحدود الغربية .

لوزان) المجلس الوطني بتاريخ ١ تشرين ثاني سنة ١٩٢٢ وفصل الدين عن السياسة بموجب قانون قضى بان تكون الصلاحيات الزمنية في قبضة المجلس الوطني ابتداء من ١٦ اذار سنة ١٩٢٠ واما مركز الخلافة نفسه فقد ابقاه المجلس المذكور في ظل آل عثمان ولكن على ان يتعين الخليفة بمعرفة المجلس الوطني الكبير فما كان من الخليفة وحيد الدين الا ان ولى الادبار في ٧ تشرين ثاني سنة ١٩٢٢ اذ ركب الدارعة الانكليزية (ملايا) الى مالته و وفي حديث اخر ان حكومة المجلس الوطني الكبير اعلنت خلع السلطان محمد السادس في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ ، ثم ابرق السياسي مصطفى كمال باشا الى الامير عبد المجيد يعلمه ان المجلس قد انتخبه خليفة للمسلمين وان اختياره هذا قد تمم على كافة المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ولكن المجلس الوطني عاد في ٢ اذار سنة ١٩٢٤ فالغى الخلافة الغاء نهائيا ولم يبق لآل عثمان شيء من صلاحيتها التي انتقلت للمجلس المذكور كما انه قضى على بني عثمان بمغادرة البلاد التركية (ولكن هذه الخلافة كانت قد اصبحت وهمية ولاشأن لها وليس لها من الخلافة الا اسمها والسخرية) اما الجمهورية فلقد اعلنت في ٢٩ تشرين اول سنة ١٩٢٣ وقد بقي اتاتورك برئاسة الجمهورية يتجدد انتخابه كل دورة حتى وفاته عام ١٩٣٨ وفي عام ١٩٣٤ تلقب باتاتورك (اي أب الاتراك) وهو رئيس حزب الشعب (حزب الخلق) القومي الذي الفه عام ١٩٢٢-١٩٢٣ وقد قام باصلاحات معروفة في بلاده ، وقد وقفت تركيـة في حرب ١٩٤٠-١٩٤٥ على الحياد تقريبا

اما وقد انتهينا من هذه اللمحة فلنلخص ما رويناه عن اتاتورك ولنظهر رأينا فيه بالحديث التالي: لما تحطمت الدولة العثمانية واحتضرت تقريبا وطمعت بها الدول الاجنبية وحتى ببلادها الاصلية ؛ وبالمضيقين واشتد النزاع وكثرت التعديات بين اليونان

المحتلين والاتراك ، وتمركز قسم من جيوش الحلفاء في تركيا وعمت الفوضى فكانه ليس هناك حكومة في ذلك الوقت ، قام القائد التركي مصطفى كمال باشا وناشد المواطنين الاتراك لتحرير البلاد من الاجانب وقد استعمل جميع الطرق حتى الاساليب الدينية لتحميس الشعب على النضال ضد الاستعمار والخزلان فلقد حمل كما ذكرنا على ظهره مع الحاملين ، الرجل الديني المعروف (بالسانوسي) وراح يجوب به بلاد الاناضول وهو يخطب بين الجماعات لتشجيعهم على تخليص البلاد من ربقة الاستعمار .

وهكذا جمع اتاتورك مناضلين مدنيين وقسما من الجيوش ، وتمكن بواسطتهم من ان يلقي باليونان الى البحر وان يقف وقفة جبارة امام الجيوش الحليفة ويفرض احترام بلاده عليها فرضا فانسحبت الجيوش الاوروبية لتنازع الدول بعضها البعض وتركت الدولة التركية لمصطفى كمال وانصرفت .

ففي الظرف العصيب اذن قام اتاتورك وحرر البلاد وفي هذا الجو من النضال المدني ناضل مصطفى كمال ومع ذلك ، لم يقف عند هذا الحد بل اعلن الحكم الجمهوري الذي بذر بذاره منذ بدء نضاله وطلب من الشعب ممارسته . ولكنه بقي رئيسا حتى وفاته .

وكان مصطفى كمال باشا ايضا رئيسا لحزب الشعب القومي التركي الذي اسسه وقد انتخبه الشعب رئيسا للجمهورية عام ١٩٢٣ وتسمى او سمى نفسه عام ١٩٣٤ ابا الاتراك (اي اتاتورك بالتركية) وقد بقي رئيسا للجمهورية حتى وفاته عام ١٩٣٨

لقد استأثر الجنرال اتاتورك بالحكم مدة طويلة فكان من حيث الحقيقة دكتاتورا ولكنه دكتاتور محبوب وخصوصا في هضاب الاناضول حيث انبعث بواسطته النضال من اجل تحرير الدولة التركية .

اننا نعتبر حكمه شرعيا لانه بالحقيقة لم يتسلم الحكم باحداث انقلاب، انه لم ينتزع لاحكما ولا ملكا من وحيد الدين السلطان العثماني او سواه، فبالحقيقة لقد تنازل السلطان للحلفاء عن كل سيادته ، بموجب معاهدة الهدنة التي وقعها، ومعاهدة سيفر التي وقعها ايضا ، اما اتاتورك فقد ناضل مع الشعب واسترد الحكم والبلاد من الحلفاء الطامعين باملاك الرجل المريض الذي تحول بفضل اتاتورك الى شاب نشيط يشع منه بريق الحياة ، اقول اننا نعتبر حكمه شرعيا لانه خلص البلاد من الاجانب لامن السلطان ولانه ناضل من اجل ذلك مع الشعب ومع قسم من الجيش فقط الامر الذي يجعلنا نعتبر نضاله شرعيا مئة بالمئة لان الشعب مصدر السلطات كلها واخيرا لانه التجأ الي حكم الشعب بعد تحرير تركيا فانتخبوه رئيسا لجمهوريتها واذا كانت الحقيقة ان كمال باشا يتصف بالصفة الدكتاتورية فان هذه الحقيقة كانت تأخذ شكلا جمهوريا شرعيا دمقراطيا لا شكلا انقلابيا غير شرعي

ثانيا : المارشال تيتو :

يتشابه وضع تركية بعد الحرب العالمية الاولى ، مع وضع يوغوسلافيا بعد الحرب العالمية الثانية كثيرا ؛ فلقد احتل الالمان بالحرب الاخيرة يوغوسلافيا (١٩٤١-١٩٤٤) فقام جوزيف بروز تيتو ؛ المارشال اليوغوسلافي وناضل مع رفاقه من اجل تحرير بلاده ولما تحررت يوغوسلافيا ، صار تيتو رئيسا لحكومة الجمهورية اليوغوسلافية عام (١٩٤٥) ولقد صبغ ايضا تيتو مثل مصطفى كمال باشا شخصيته بالنضال المدني الشرعي وخلص البلاد من الاجنبي وتوجه لارادة الشعب بعد تحرير البلاد وهو لايزال الي اليوم يحكم يوغوسلافيا انه بالحقيقة دكتاتور

ولكن هذه الحقيقة اخذت شكلا جمهوريا شرعيا دمقراطيا لاشكلا انقلابيا غير شرعي .

ثالثا ـ الجنرال دو كول :

اما وضع الجنرال دو كول فهو وضع مثالي قل ان تجد مثله في تاريخ الامم فلقد ناضل هذا الرجل اثناء احتلال المانيا لبلاده ، ولما تحررت وكان دو كول سيد الموقف ، رأيناه يعلن ان فرنسا لاتزال كما كانت وجمهوريتها قائمة كما هي منذ عام ١٩٤٠ اي منذ بدء الاحتلال ، ولقد التجأ دوكول الى ارادة الشعب ثم استقال فكان دوره في حياة فرنسا الحديثة دور ارجاع الحياة الشرعية الى حالها دورا انتقاليا فقط وسوف يسطر له تاريخ فرنسا موقفه بحروف من الذهب اما بيتان ، فلقد رأيت كيف ان الشعب الافرنسي حاكمه وحكم عليه (بعد تخفيف الحكم) بالسجن المؤبد .

وسوف ترى بعد قليل كيف تصفت احوال حكومة بيتان المزعومـــة واوضاعها وكيف عوقب الاف بل اكثر من مليون افرنسي وهـــم الذين اشتركوا ، أو استفادوا ، او دافعوا من الفرنسيين عن عهد حكومة بيتـان الغير الشرعي .

رابعا : الجنرال ايزنهاور :

اما الجنرال ايزنهاور فلقد رشح نفسه لرئاسة الجمهورية الامير كية كسائر الناس فنجح ولا يمكن ابدا ان نقول ان الحكم في الولايات المتحدة هو حكم عسكري بتاتا ونحن العرب ، نقبل من كل رجل عسكري يرى في نفسه الكفاءة

لرئاسة الجمهورية ان يرشح نفسه لها فهي ليست ملكا لاحد وهي من حق كل فرد سوري ضمن النطاق الديمقراطي الجمهوري

خامسا : شيانج كاي تشيك :

اما رئيس الجمهورية الصينية الجنرال شيانج كاي تشيك فلابد لنا من اظهار لمحة عن كيفية وصول هذا الرجل الى منصة الرئاسة :

اصبحت الصين جمهورية لاول مرة عام ١٩١٢ نتيجة للثورة الشعبية الصينية التي هبت عام ١٩١١ والتي قام بها اتباع الدكتور (صن- يات -سن) مؤسس النهضة الحديثة الوطنية في الصين ، ومؤسس الجمعيات السرية والحزب الشعبي الوطني المسمى باللغة الصينية حزب (الكومنتانج) (١) وقد عاد الدكتور المذكور الذي كان منفيا من الصين عام ١٩١٢ الى بلاده وتسلم رئاسة الجمهورية لاول مرة في تاريخ الصين الا ان الجمهورية هذه لم تعمر الا قليلا لان الروح القديمة المحافظة بالصين لم تكن قد ماتت فاضطر الدكتور (سن) المذكور الى التخلي عن الحكم لاحد رجال العهد القديم وهو (يوان - سي - كاي) وقد انحل ايضا البرلمان ولكن الزعيم (سن) اعلن الثورة من جديد على من خانوا الثورة وسالت الدماء التي روت ارض الصين من دماء ابنائها ؛ ولم تعد امبراطورية الصين وانما حل محلها حكم دكتاتوري وكان موقتا ايضا ففي عام ١٩١٥ قدمت اليابان ٢١ طلبا الى حكومة « يوان » تجعل من الصين مستعمرة يابانية ان تحققت فأثار ذلك الحنق على حكومة « يوان » الذي لم يتمكن

---

(١) هذه الثورة هي التي اودت بعرش اسرة (مانشو) الحاكمة بالصين قبلاً .

من ترطيد حكمه الرامي الى ارجاع امبراطورية الصين القديمة وكانت الريح الشيوعية تبدأ بالهبوب وبقعها الحمراء آنئذ تتسع في ارض الصين وكانت النار تحت الرماد ، ومات (يوان) في هذا الجو وخلفه حاكمان احدهما دمقراطي ، والثاني لايؤمن بهذه السفاسف الدمقراطية (على حد تعبيره) فما كان من ضباط « يوان » بعد وفاته في هذا الجو المصيب الا ان استقل كل منهم بمنطقة طامعا بشيء وادعى آنئذ كل من رجال الاقطاع السيادة ، فاسس حكومة وقيادة لنفسه محاولا احداث انقلاب لمصلحته ؛ ويمكن تصوير الصين في تلك الآونة باتون يلتهم بعضه بعضا .

وفي هذا الجو الاسود ناضل الدكتور (سن) وتلميذه «شيانج كاي شيك ويهمنا شيانج كاي شيك فقط :

لقد ناضل هذان الرجلان نضالا شعبيا لتوحيد الصين ، فأسسا الجمعيات السرية اولا ليبدأ الثورة الشعبية من جديد .

وقد توفي الدكتور (سن) اثناء هذا النضال بتأثير مرض السرطان عام ١٩٢٥ واستلم شيانج كاي شيك قيادة الجيش الوطني « اي جيش الثورة وتحرير الصين وتوحيدها) « وهو بالحقيقة مجموعة من المدنيين الذين تطوعوا في سبيل نهضة الصين الحديثة» ، ولكن تحول هذا الجيش فيما بعد الى جيش نظامي لحكومة الصين الوطنية ، وبعد فترة قصيرة استلم شيانج كاي تشيك رئاسة الحزب الشعبي الوطني ايضا ، وقد احتل شيانج كاي شيك الزعيم الصيني والجنرال بسرعة كثيرا من المدن ولكن بعد مدة من النضال تطورت الاوضاع اذ ان الشيوعية تسربت للشعب الصيني وجعلت تفسر مبادىء الدكتور « سن » الراحل تفسيراً يساريا وتتهم « شيانج كاي تشيك » بالخروج على مبادىء زعيم النهضة ولكن

شيانج لم يأبه لهذه الانتقادات واعلن الحرب على الشيوعيين ايضا ثم غزت اليابان منشوريا وغيرها من بلاد الصين وجعلت ترغب في القضاء على شيانج وبسطت اليابان خطرها على الصين قاطبة على الشيوعيين والوطنيين معا فاتصل الضباط الشيوعيون بالصين بالضباط الوطنيين واقترحوا التعاون ضد العدو المشترك الخارجي واخيراً وقع شيانج في مدينة «سيان» اسيرا لخيانة احد ضباطه المخلصين ولكن المداخلات حالفت الشيوعيين والوطنيين فاستلم القيادة الجنرال الزعيم شيانج ضد اليابان وكانت سنة ١٩٣٧ واعلن الحرب على اليابان ولما انكسرت اليابان عام ١٩٤٥ وانتهت الحرب العالمية عادت الفوضى الداخلية بالبلاد واشتدت الحروب على قدم وساق ولكن بين شيانج والشيوعيين فقط الذين اسسوا حكومة في مدينة (هانكو) وقد ناضل الجنرال شيانج في سبيل تأليف الصين وتوحيدها ولكنه عاش عمره بالحرب والثورات كما ترى تقريبا دون ان تستقر الصين الا بالآونة الاخيرة حين رجحت كفة الشيوعيين عليه وانكسر شيانج واستقال من رئاسة الجمهورية الصينية وغادر البلاد .

اذن ان الجنرال شيانج لم يكن في خدمة حكومة الصين الاولى الاصلية ولم يحدث انقلابا عسكريا في اليابان كما يوحي اسمه بل انه رجل مدني بنضاله الثوري والحربي « نعم لقد دخل المعاهد الحربية اولا بالصين وثانيا باليابان ، وخدم بالجيش الياباني يتعلم فنون الحرب ولما آن الاوان نزع سيفه وبدلته العسكرية عنه وارسلهما بالبريد الى القيادة اليابانية التي تركها والتحق بالثورة الصينية التي نشبت عام ١٩١١ » كل هذا صحيح ولكن شيانج كان في الصين رجلا مدنيا ولم تكن له صفة رسمية (بل كان حاذقا بالامور العسكرية) كان ثوريا من الدرجة الاولى منتسبا للجمعية السرية التي اسسها الدكتور (صن)

ولقد ناضل مع الشعب ولم يزل يناضل لنهضة الصين وتوحيدها حتى افل نجمه مع افول الحكم الوطني الدمقراطي بالصين لذلك لا يمكن ابدا قطعيا اعتبار حكم هذا الرجل حكما عسكريا بل حكما شرعيا ثوريا شعبيا مدنيا زد على ذلك ان الصين لا تعرف الاستقرار في عهده بتاتا بل كانت اما في حالة حروب داخلية او حالة حروب خارجية او الاثنتين معا : فلقد ناضل لتوحيد الصين مع زعيمه الاول الدكتور «سن» من «١٩١١ - الى ١٩٢٥» على الاول .. توفي سان عام ١٩٢٥» ومن ١٩٢٥ الى ١٩٣٦ كان يسعى لتوحيد الصين وسحق الشيوعيين ولكنه كان لا يتعرض في هذه الفترة الا قليلا لتعديات اليابان وتدخلاتهم لانه كان يرمي من من وراء ذاك الى ان تتحطم القوتان اليابانية والشيوعية امام عينيه دون ان يخسر شيئا ثم يغار هو عليها ويسحقها .

ومن ١٩٣٧ الى ١٩٤٥ كان هو والشيوعيون يحاربون اليابان ومن ١٩٤٥ الى ١٩٤٩ عاد شيانج الى النزاع الداخلي ضد الشيوعيين الذين كسروه فاضطر الاستقالة عام ١٩٤٩ ومغادرة البلاد .

لقد انتخب الشعب الصيني شيانج رئيسا للجمهورية الصينية واحتراما لهذا النضال» عام ١٩٤٣ واعيد انتخابه عام ١٩٤٦ ولكنه استقال عام ١٩٤٩ مضطرا وترك البلاد للشيوعيين .

ونلاحظ ان عهد ١٩١١ - ١٩٤٩ بالصين هو عهد الفوضوية، وابرز صفة من صفات الفوضوية بدأت عام ١٩١٥ حيث استقل كل قائد عسكري وكل اقطاعي بمنطقة والف له حكومة واخذ يسعى الى احداث انقلاب لصالحه .

اذن ان تاريخ الصين الحديث يؤيد ان تدخل الضباط العسكريين في الحكم يؤدي

للفوضى او يزيدها » نشير بهذا الكلام ، الى ازدياد الفوضى التي احدثها الضباط العسكريون والاقطاعيون » . « لا الى شيانج ولا الى الجيوش المدنية »

سادسا : بورون :

اما جان دومينكو الملقب « بيورون » فهو رجل دولة ، في بلاد الارجنتين وله نضال قديم ومبادئ، معروفة وهو وان كان قائدا عسكريا الا انه لم يكن في خدمة الجيش الرسمي لما ثار في وجه حكومة الارجنتين وقد ناضل بورون في سبيل مبادئه وفي سبيل نهضة الارجنتين نضالا مدنيا وقد ساعده الجيش في مؤامراته ونضاله ولكنه كان هو القائد والزعيم لا الجيش وقد ادى نضاله هذا الى استلام رئاسة الجمهورية الارجنتينية عام ١٩٤٦

وألاحظ ان الارجنتين دولة متوسطة الرقي ، وهي احدى دول اميركا الاسبانية التي تكثر بها محاولات احداث انقلابات لان روح الجنس فيها ضعيفة فلقد انحلت روحها الاسبانية التي لعبت دورا عظيما بالتاريخ وتذكر بالمناسبة ماقاله لوبون من ان امر حكم سكان اميركا اللاتينية الاسبانية اصبح متعذرا

وقد استطاعت الارجنتين ان تقف على الحياد بالحرب العالمية الثانية وهو موقف صعب لا يستطيع ان يقفه الا فطاحل الدول اليوم بالعالم او الدول الراقية جدا واذا كانت تركيا قد تمكنت مثل الارجنتين ان تقف على الحياد في الحرب الاخيرة ، ، فانها مدينة بهذا الوقوف للمضيقين الى حد بعيد اذ ان جميع الدول توافق على ان لا يحتل المضيقان احد منها ، بل تمانع كلها في ان تحتل احدى الدول هذين المضيقين .

سابعا : فرنكو :

اما فرنكو فلقد قلنا ان نتائج ثورة الشعب الشرعية على الحكومة الاسبانية هي التي ادت به لحكم البلاد .

فمن الممكن ان نعتبره دكتاتور اسبانيا ؛ لانه يحكمها حكماد كتاتوريا ولكنه لايجوز ابدا ان نطلق على فرنكو انه حاكم عسكري او ان نظام الحكم في اسبانيا هو نظام عسكري ولو كان فرنكو جنرالا . ولقد تمكن هذا الرجل من ان يقف على الحياد في الحرب العالمية الاخيرة وهو موقف صعب كما قلنا .

ملحوظة :

اننا اهملنا في ابحاثنا السابقة التدخلات الاجنبيـــة في مصـــير الشعوب والحكومات كالمساعدات التي تقدمها الدول الاجنبية مثلا لهذه الدول التي بحثنا فيها ، فلقد ساعد المحور ثورة فرنكو وساعدت الحلفاء حكومة اسبانيا الجمهورية كما هو الحال اليوم في كوريـا حيث يسود النفوذ السوفييتي بالشمال والنفوذ الاميركي بالجنوب ؛

وكما كان الحال في الصين منذ عام ١٩٤٥ حيث ساعد الاتحاد السوفييتي الثورة الشيوعية وحيث ساعد الحلفاء حكومة شيانج كاي شيك « ولكن المساعدة الاخيرة كانت دون جدوى » فلقد انتهى امر شيانج عام ١٩٤٩ كما ذكرنا ؛ وكما هو الحال اليوم ايضا في الهند الصينية حيث تساعد حكومة الصين الشيوعية ثوار الهند الصينية وحيث تساعد فرنسا والحلفاء حكومة الهند الصينية الفرنسية .

لقد اهملنا هذه الناحية الخارجيـة لان موضوعنا ليس التاريـخ وليس

تحليل الحوادث التاريخية من جميع الوجوه بل ان موضوعنا في هذه الصفحات هو بيان الروح النظامية بالدول الاوروبية ونفي صلاح الحكم العسكري بصورة عامة واستنكاره وبيان عدم شرعيته الا في بعض الاحوال كما سيجيء، وذكر امثلة تاريخية من الماضي او الحاضر على كل ذلك .

ولا يسعنا هنا ان نذكر جميع الجيوش النظامية والغير النظامية، وانما اكتفينا بذكر قسم كبير من الاولى وقسم من الثانية للتدليل على رأينا فقط .

اما وقد انتهينا الان من بيان خطأ من يضربون الامثلة على صلاح الحكم العسكري فلننتقل الى البحث بالثورات والانقلابات :.

القسم التاسع

الثورات والانقلابات

قد يكون احيانا تعريف الالفاظ من اصعب المواضيع بخلاف ما يظن الكثيرون من انه موضوع بسيط. اذن :

الفصل الاول تعريف الثورات والانقلابات

ولما كنا ندرس بهذا القسم الثورات والانقلابات كان لابد من بيان صفاتهما وصفات النفسية السائدة ايام الثورات والانقلابات واعطاء لمحة تاريخية عنهما وبيان شروط شرعيتهما واسبابهما كما انه يقتضي درس شخصياتهما (اي زعمائهما) واخيرا بيان اثرهما في ذاكرة المجتمع اذن :

الفصل الثاني : صفات الثورات والانقلابات

الفصل الثالث : صفات النفسية السائدة ايام الثورات والانقلابات

الفصل الرابع : تاريخ الثورات والانقلابات (بايجاز)

الفصل الخامس : شرعيتها

الفصل السادس : اسبابهما

الفصل السابع : شخصياتهما

الفصل الثامن: نتائجهما واثرها

ولكننا حتى لانطيل الموضوع سنقتصر في دراسة الفصول (٦،٧،٨) على العالم العربي ، فلا نبحث هذه الفصول الا ضمن نطاقه فقط وانما لايمنعنا ذلك من ذكر عموميات اولى قد تنطبق على اكثر المجتمعات او عموميات ثانية قد تنطبق على اكثر الشخصيات الذين قاموا بثورات او بانقلابات في مختلف الدول او عموميات ثالثة قد تنطبق على نتائج كثير من الثورات والانقلابات .

ولقد اطلعنا على ترجمة السيد محمد عادل زعيتر لكتاب روح الثورات لكوستاف لوبون، فاستفدنا من بعض الجمل التي اجاد بترجمتها وقد وضعناها بالحرف الواحد في كتابنا هذا ونلاحظ ان كوستاف لوبون وهو فيلسوف معاصر لم يقبل باراء المؤرخين ولا باراء الفلاسفة الباحثين في الثورة الفرنسية وغيرها وقد اضاع كوستاف قسما كبيرا من حياته في دراسة الثورات في العالم وكانت نتائج دراسته ان حاول قلب تفسير التاريخ الثوري رأسا على عقب وقد ارتكز ببعض دراساته على البسيكولوجيا الاجتماعية ولكنه ادخل الاراء والتكهنات ايضا في ابحاثه شأن كل طامح وفيلسوف

ومهما يكن من امر هذا الفيلسوف فلقد اظهر نواحي اثرت تأثيرا عنيفا بمجرى الثورات ، لاسيما النواحي التي غفل عنها اكثر الفلاسفة والمؤرخين .

لقد اصاب كوستاف بعض الهدف وغزا بدراساته بعض مواطن الحقيقة الثورية بالتاريخ ، والعالم اليوم مدين له بما اصاب ، ولكن كوستاف غالى في نظراته لحد بعيد ونحن لم نقبل منه هذا الغلو وستراتا بعد (بحث صفات الثورات ، وصفات النفسية السائدة ايام الثورات) نذكر تارة بعض التحفظات ؛ ونوضح احيانا بعض القضايا التي اهملها كوستاف ونشرح طورا بعض نظراته الخاطئة ولكن كل ذلك لايحط من قدر هذا الرجل وانه بلا شك من اعظم الذين بحثوا في الثورات والتاريخ ونحن مدينون له الى حد كبير في اخراج المقطع الاول: (صفات الثورات) من الفصل الثاني، والمقطع الاول: (صفات النفسية السائدة ايام الثورات)، من الفصل الثالث من القسم التاسع من الكتاب الاول من مؤلفنا هذا .

الفصل الاول : تعريف الثورات والانقلابات المدنية والعسكرية

اذن مقطعان : المقطع الاول تعريف الثورات المقطع الثاني تعريف الانقلابات المدنية والعسكرية

المقطع الاول : تعريف الثورات

١ ـ التعريف اللغوي : الثورة تعريفا لغويا هي تبدل فجائي وعنيف يحدث في اشياء العالم او في الاراء او (وخصوصا) في ادارة الدول : كالثورة في العلوم

العملية ، وكالثورة في الصناعة وكالثورة في الزراعة وكالثورة في التجارة وكالثورة في الفنون (من نوع الثوراة في الاشيا) وكالثورة في المقول : « في العلوم النظرية ، في الدين ؛ في المعتقدات ؛ في القوانين ، في التقاليد ، في العادات) (من نوع الثورة في الاراء) وكالثورة في السياسة : « ثورة على الاستعمار مثلا » « من نوع الثورة في ادارة الدول » وكالثورة العامة الافرنسية عام ١٧٨٩ مثلا (من نوع مركب من الثورة في الاشياء ، والثورة في الاراء والثورة في ادارة الدول » .

ملاحظة : يشمل هذا التعريف جميع الثورات على الاطلاق ما عدا واحدة اختص بها التعريف الاتي : الثوره تعني ايضا رد فعل لاحساس او شعور طبيعي واخلاقي فهي هنا بهذا التعريف تقترب من الاهتياج او الهيجان المصادم (émotion-choc.) « كالغضب وغيره » ان غاية الثورة عندما تتحقق كليا اوجزئيا في مادة ما تسمى انقلابا كليا او جزئيا في المادة التي حدثت بها الثورة

٢ - التعريف السياسي للثورة : هي خروج الشعب (او قسم منه) على الحكومة فقط لقلبها (كالثورة على الاستعمار مثلا) (ولا فرق في النتائج كان تألفت بعد الثورة حكومة اخري او لم تتألف .

ان غاية الثورة السياسية عندما تتحقق كليا او جزئيا تسمى انقلاباسياسيا كليا او جزئيا الا ان الثورة السياسية قد تنقلب بعد حدوثها او بعد تحقيقها الى ثورة اجتماعية وتسمي غايتها عندئذ ان تحققت كليا او جزئيا انقلابا اجتماعيا كليا او جزئيا .

٣ - التعريف الاجتماعي للثورة : الثورة الاجتماعية هي خروج الشعب

(او قسم منه) على اوضاع حقوقية- اجتماعية : اوضاع اقتصادية ، كالزراعة او الصناعة او التجارة ، واوضاع سياسية « كالاوضاع الاستعمارية مثلا »، واوضاع دينية ، او تاريخية ، او فنية ، او علمية ، والى آخره .. ، خروج من اجل قلب هذه الاوضاع عن طريق القوة لا عن طريق الاساليب الدستورية او القانونية او العرفية او ما شاكلها .

وللثورة الاجتماعية شدة وهي تبلغ اوجها حينما تقلب جميع الاوضاع الاجتماعية بدون استثناء « ويقترب مفهوم الثورة الاجتماعية من المفهوم الديالكتيكي للصراع الطبقي في المجتمع الرأسمالي عند ماركس ولكن دون ان ينطبق عليه »

ان غاية الثورة الاجتماعية عندما تتحقق كليا او جزئيا تسمى انقلابا اجتماعيا كليا او جزئيا

لا نستطيع في هذا الكتاب الصغير تحليل كل هذه التعاريف لاننا نرغب ان يكون كتابنا كتابا صغيرا .

ملحق بالمقطع الاول الخاص بتعريف الثورات :

ملاحظة : قد تقوم الحكومات مقام الشعب او مقام الثائرين في الثورات فتثور الحكومة ثورة سياسية او اجتماعية او الى آخره .. ولكن هذا النوع من الثورات لن نبحث به وسنضمه على حدة ، كما اننا نفضل تسمية هذه هذه الثورات الحكومية باصلاحات بدلا من كلمة ثورات . ونحتفظ بكلمة ثورات لحركات الشعوب او الثائرين دون الحكومات ومهما كان طابع الحكومة سواء اكانت حكومة محافظة قديمة ام حكومة جديدة انبثقت مثلا عن ثورة الشعب او الثائرين .

المقطع الثاني : تعريف الانقلابات المدنية والعسكرية :

١ - تعريف الانقلاب المدني : هو خروج سلطة مدنية على الحكومة وقلبها ولو بقوة السلاح والحلول محلها بالذات او بالواسطة وذلك عن طريق انتهاك حرمة الاساليب الدستورية او القانونية او العرفية (او ما شاكلها)

٢ - تعريف الانقلات العسكري : هوخروج سلطة عسكرية على الحكومة وقلبها ولو بقوة السلاح والحلول محلها بالذات او بالواسطة وذلك عن طريق انتهاك حرمة الاساليب الدستورية او القانونية او العرفية (او وما شاكلها)

ملحوظة : يفرق علماء الحقوق الدستورية بين الانقلاب المدني الذي يسمى بالفرنسية coups d,état وبين الانقلاب العسكري الذي يسميه البعض من علماء الحقوق الدستورية بالكلمة الاسبانية الاصل وهي : « برونونسيا مينتو » pronunciamiento ؛ الا ان هذه الكلمة تعني باللغة الاسبانية غير ما يقصد هؤلاء البعض :

انها تعني بالاسبانية بالحرف الواحد : عملا ترفض به سلطة « وبصورة عامة قائد عسكري » الطاعة للقانون .

ونلفت النظر الى ان هذا التفريق بين الانقلاب المدني والانقلاب العسكري ضروري جدا لان القوة التي يتصرف بها الانقلاب الثاني وهي اعظم قوة في الدولة قد تضغط على الامة وترهق النفوس وتخنق الحريات العامة فلا نسمع لها صوتا بخلاف قوة الانقلاب المدني التي لاتشكل خطرا ان كانت قوية لانها اذا كانت قوية فانما تستمد قوتها من الشعب والجيش على الغالب اما اذا تآمرت مع السلطة العسكرية فيكون الانقلاب المدني المزعوم انقلابا عسكريا لااكثر ولا اقل « فالانقلاب العسكري يكون اما بالذات او بالواسطة كما ذكرنا »

ملحوظ ٢ : يجب ان لانخلط بين مفهوم الانقلابات المدنية والانقلابات العسكرية من جهة وبين مفهوم الانقلابات الناتجة احيانا عن الثورات من جهة اخري وقد بحثنا عن هذه الانقلابات الاخيرة في الفقرات الاخيرة من تعاريف الثورات .

«انتهى تعريف الثورات والانقلابات وهو الفصل الاول»

الفصل الثاني : صفات الثورات والانقلابات

اذن : المقطع الاول صفات الثورات

المقطع الثاني : صفات الانقلابات .

المقطع الاول : صفات الثورات

كثيرا ماتغلب على الثورة صفة اوصفات غائية دون غيرها

اذن القطعة الاولى : تقسيم الثورات من حيث الصفات الغائية المتغلبة عليها.

وان اهم الصفات الثورية الغائية التي اشتهرت بالتاريخ هي : الصفة العلمية ، الصفة السياسية ، الصفة الدينية ، اذن :

القطعة الثانية : الثورة العلمية

القطعة الثالثة : الثورة السياسية

القطعة الرابعة: الثورة الدينية

ولما كانت الصفة الغائية للثورات السياسية على الاقل هي قلب الحكومات فاننا نستحسن دراسة موقف الحكومات وشأنها في الثورات .

اذن : القطعة الخامسة : موقف الحكومات وشأنها في الثورات .
وحيث ان بعض صفات الامة تساعد وتسبب احيانا الثورات او تمنعها كان طبيعيا ان نقوم بدراسة : شأن الامة بالثورات ـ اذن :
القطعة السادسة : شأن الامة في الثورات

القطعة الاولى : تقسيم الثورات من حيث الصفات الغائية المتغلبة عليها:
يقسم كوستاف لوبون الثورات الى ثلاثة اقسام ، ثورة علمية ، ثورة سياسية ؛ ثورة دينية ، ويقول ان هذا التقسيم هو بالنسبة الى الغاية التي تتوخاها الثورة . ولكن هذا التقسيم لايشمل جميع الثورات كما يتضح من تعريف الثورات اللغوي او الاجتماعي وانما كوستاف لوبون أصاب حينما تجنب تقسيم الثورات بالاستناد الى عناصرها . لان كثيرا من هذه العناصر هو مشترك بين اكثر الثورات

لندرس بصورة خاصة الثورة السياسية وبصورة عرضية الثورة العلمية ، وبصورة كافية الثورة الدينية نظرا لكون كثير من عناصرها هومشترك بينها وبين الثورة السياسية
القطعة الثانية ـ الثورة العلمية

وهي تحصل في ميدان العلم والعقل فتغلب عليها النزعة العلمية العقلية ويقول كوستاف لوبون « وبما ان مرتع هذه الثورات العلمية هو عالم الافكار فليس للمشاعر والمعتقدات سلطان عليها وعلى المرء ان يعانيها من غير ان يجادل فيها لانه لما كانت التجربة هي الباحثة عن نتائجها فقد اصبحت لاتنالها يد النقد » وتوحي الثورة العلمية الى تحطيم العقائد الاجتماعية التي تؤخر في سير العلم ومعرفة الحقيقة فتوهب الثورة العلمية بذلك الجو الى الثورة السياسية والثورة الدينيـــة ونذكر من

الثورات العلمية نظريات داروين التي احدثت انقلابا في علم الحياة ، ومكتشفات باستور التي احدثت تطورا فجائيا في علم الطب واليوم نرى نظرية انحلال المادة وتفكك الذرة تبدأ باحداث انقلاب عظيم في العلوم وخصوصا الكيمياء .

القطعة الثالثة - الثورة السياسية

وهي تحصل في عالم السياسة فتغلب عليها الصفة السياسية يقول كوستاف لوبون ان المعتقد السياسي هو ايمان اينسع في عالم اللاشعور وليس للعقل سلطان عليه رغم ظواهر الامور والثورات السياسية تنشأ عن معتقدات تأصلت في النفوس ولكنها من الممكن ان تنشأ عن اسباب كثيرة اخرى تجمعها كلمة استياء فمتى يعم الاستياء في البلاد يتألف حزب قادر على مكافحة الحكومة فلقد قامت ثورة كرمويل بانكلترة في وجه مليكها في وجه الحكومة

فهي ثورة سياسية قبل كل شيء ،ولقد هبت الثورة الفرنسية عام (١٧٨٩) في وجه الحكم الملكي ونتج عن ذلك مانتج فهي ثورة على الاوضاع السياسية كيف ما كانت النتائج ، : انها ثورة سياسية ، وكذلك ثورات عام ١٨٣٠ ، وثورات عام ١٨٤٨ ، في اوروبة والثورات القومية بالنصف الاخير من القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين ، فهذه الثورات هي كلها ثورات سياسية .،

اما العالم العربي فان اكثر حكوماته لاتتكيف مع التطورات التي اخذت تتراكم وتتكثر حتى تكهرب الجو في اكثر بلدان هذا العالم واخذت التهيجات الشعبية تتكرر على تصرفات الحكومات وبدأت الجموع تتأهب للثورة على هذه الحكومات ، وتتصف الثورة بانها حادثة مستمرة مرتبطة بما بعدها وما قبلها ، اسرعت في تطورها فتقترب بذلك من معنى التطور عند داروين ومن معنى الصراع الطبقي عند ماركس ولكن لوبون الذي

يؤمن بان الثورة حادثة مستمرة يستدرك فيقول : « ولكن جميع الثورات الحديثة وقعت بغتة كانها منفصلة عما قبلها واوجبت انقلاب الحكومات فجأة كالثورة البرازيلية ؛ والثورة البرتغالية والثورة التركية والثورة الصينية » .

ويقول ايضا ان الامم المحافظة (اي التي تحرص على تقاليدها واوضاعها) هي التي تعرف اشد الثورات خلافا لما يظنه البعض .

القطعة (٤) الثورة الدينية .

وقد تكون الثورة في ميدان الدين لصالح دين ضد آخر اولاصلاح دين معين فالثورة المسيحية على الوثنية في عهد الرومان هي ثورة دينية والثورة البروتستنتية هي ثورة دينية والثورة الوهابية هي ثورة دينية والثورة المحمدية على قبائل عرب الجاهلية هي ثورة دينية .

ويلاحظ كوستاف ان شأن العقل ضئيل في انتشار المعتقدات وان الاضطهادات عديمة التأثير وان التسامح بين المعتقدات المتباينة مستحيل وان اشد القساوات والملاحم تصدر عن تصادم العقائد المختلفة وأنه يستحيل تحويل الناس عن عقيدتهم قبل تحويل كيانهم .

ويسهل الاضطهاد انتشار المعتقدات الدينية وهذه المعتقدات لاتنتشر عن طريق العقل بل عن طريق العدوى النفسية والتلقين والتكرار والتوكيد والنفوذ .

القطعة الخامسة : موقف الحكومات من الثورات وشأنها فيها :

اذا تكيفت الحكومة حسب مقتضيات التطور فقد لا تموت اما اذا وقفت في وجه التطور فقد تهب الثورة في وجهها فاذا وقف

الجيش على الحياد على الاقل فانها سرعان ما تتقوض اركانها وتحطم وينتهي امرها.
ان كثيراً من الامم الحديثة :

كفرنسا واسبانيا وبلجيكا وايطالية والنمسا وبولونيا وتركيا والبرتغال عانت امر الثورات التي حدثت غالبا فجأة وقلبت الحكومات ويعلل حدوث الثورة الفجائي بسرعة العدوى النفسية التي تنشأ عن طرق النشر والاذاعة في الوقت الحاضر ويقول ان الجيش لم يعد في الثورات المذكورة يد المعونة للحكومات ولم يقم بواجباته وعاً وقع العكس فالجيش هو الذي قام بالثورات في البرتغال وتركيا. « يقصد لوبون بالثورة التركية هنا الانقلاب الذي احدثته جمعية الاتحاد والترقي عام ١٩٠٧ لا الانقلاب الكمالي » والجيش هو الذي تمت على يده الثورات العديدة في الجمهوريات الاميركية اللاتينية الاسبانية .

ولكن الثورة تبدأ غالبا من غير ان يكون للجيش دخل فيها ثورات عام ١٨٣٠ ، وعام ١٨٤٨ ، وعام ١٨٧٠ في فرنسا

وقد تنهض الحكومات وتحاول ان تقوم باصلاحات فجائية تشبه الثورات ويتحدث البعض احيانا عن ثورات الحكومات على الاوضاع الاجتماعية اي عن سعيها لقلب الاوضاع الاجتماعية وابدالها باوضاع جديدة ويتحدثون عن اصطدام الحكومات مع مجتمعاتها من اجل هذا التجديد الا ان هذه الطريقة بالكلام وهذا التجديد الذي يسمونه ثورة الحكومة على الشعب لادخل له بمفهوم الثورة بالمعنى الذي قصدناه اثناء تعريف الثورة تعريفا سياسيا ولا دخل له اذن بموضوعنا ويلاحظ لوبون ان رسوخ الروح القومية قد يجعل الثورات عاجزة عن نسف الاوضاع القديمة او قسم منها وهكذا قد تكون الاوضاع الجديدة عاجزة عن الثبات فتتحطم امام الروح القومية القديمة او يتحطم جزء منها، ولو ان الحكومة القديمة سقطت على يد الثورات ،فقد تقلب ثورات الامم الحكومات التقليدية

القديمة التي يرتكز نظامها السياسي على تقاليد راسخة بالشعب (اي على العنصر) ولكن قد تكون الحكومة الجديدة عاجزة عن عدم السير على منوال الحكومة المخلوعة احيانا وقدلا تتألف حكومة جديدة عندئذ يلتفت الشعب الى الوراء : قام الفلاحون بثورة(١) قديمة منذ مئات السنين بانكلترة في وجه الاقطاعيين والحكام والملك؛ وكانت تلك الثورة ثورة عنيفة جدا فقتل الفلاحون من قتلوا من الطبقة الحاكمة، وهرب الباقي الى اوروبة ولم يبق في انكلترة آنئذ اقطاعي واحد . ولكن الشعب الانكليزي عجز عن تسيير دفة الحكم وعرف نفسه انه غير مستعد لتبديل تقاليده واوضاعه الاجتماعية الراسخة به فما كان منه الا ان سعى بنفسه لارجاع الهاربين واحضار امثالهم من الخارج واعادة المياه الى مجاريها

وهكذا يتأيد قول لوبون بان رسوخ الروح القومية قد يجعل الثورات عاجزة عن نسف الاوضاع القديمة او قسم منها .

القطعة السادسة ـ شأن الامة في الثورات

للامة صفات قد تمنع حدوث الثورات وصفات اخرى ان اشتدت فيها ونمت قد تجعلها امة ثورية من الطراز الاول . ويمكن جمع الصفات الاولى بكلمة مرونة الامة وجمع الصفات الثانية بكلمة متانة .

فالمتانة تفيد الروح المحافظة في الامة والاستمرار على ماهي عليه من الاوضاع والمرونة تعني الروح المجددة والتطور والتكيف حسب الظروف

يقول كوستاف لوبون :

---

(١) هذه الثورة هي غير (ثورة كرومويل ، التي بدأت عام ١٦٤٢)

اذا اشتدت المتانة في الامة فالامة سائرة الى الانقراض والهلاك لامحالة
واذا اشتدت المرونة فالامة تنساق الى القيام بثورات متوالية والى « الانحلال والميوعة »
والامم القابلة الاستمرار بالحياة هي التي عرفت ان توازن بين هاتين الصفتين
كالرومان في التاريخ والانكليز اليوم .

وهناك نقطة يجب تبيانها : الامة المرنة تكثر بها الثورات ، الامة المتينة المحافظة
الراسخة الروح لاتحدث بها ثورات الا نادرا ولكن الثورة التي تحدث بها
عندئذ تكون شديدة . اذن :

ثورات الامة المحافظة شديدة ولكنها نادرة
ثورات الامة المرنة اقل شدة . ولكنها مألوفة و كثيرة الوقوع .

وهكذا يكون عنصر المتانة او عنصر المرونة في الامة ذا شأن عظيم

ويتجلى لنا شأن العنصر في مصير الامم عند البحث عن تاريخ الثورات الاميركية-
الاسبانية الدائمة ، ان الامم الاميركية الاسبانية موحدة اي عبارة عن اناس
تفككت عرى اخلاقهم بتأثير الوراثة المتباينة وقد حرمهم ذلك روحا قومية ثابتة
وجعل امر حكمهم متعذرا

ان هذا العنصر هو عنصر تاريخي موروث متألف من افكار الامة
ومشاعرها وتقاليدها واوهامها

ونلاحظ ان للزعماء شأنا كبيرا في نفوذ الروح الثورية الى الامة
فالزعماء هم الذين يديرونها ويحركونها ولكن الثورة لاتبدأ الا عندما
يمس الضرر الافراد .

وعندما تصبح الثورة واقعا فان الامة الثائرة لاتدرك غاية الثورة الحقيقية

(الا فيما بعد) ولا تعم مبادىء الثورة وتدخل في قلب الامة الا رويدا رويدا وبالتدريج»

ان الثورة نفسها قد تحدث بسرعة ويجب ان تستند مبادىء الثورة الى خلق التدين والى العاطفة حتى تتغلغل بسرعة في نفوس الجماعات وحتى تكون هذه المبادىء قوية ومؤثرة .

لذلك وجب على الزعماء تصوير مبادئهم بايمان جديد متولد من المنافع العملية الظاهرة يفتح امالا جديدة للامة ، حتى يتمكنوا من تحريك النفوس واستخدامها والزعيم او الزعماء لايقومون غالبا وحدهم بتسيير الثورة فللمبادىء الثورية شأن في تسييرها وللجيوش ايضا شأن وللجموع ايضا شأن وكذلك للاحزاب والاندية شأن ولكن كل ذلك هو بالحقيقة وسائط يستخدمها الزعيم او الزعماء الذين يحركون الامة ويقودونها فلا ثورة بدون زعيم

واخيرا هل الامة نفسها التي تثور ام قسم منها واذا كان الثائر هو قسم منها فمما يتألف هذا القسم ؟

من هم هؤلاء الابطال الذين يشكلون جيش الثورة المدني ؟

يقول كوستاف ان الفلاحين والتجار وجميع انواع العمال وبكلمة واحدة اولائك الذين بحاجة الى السكينة والنظام ليقوموا بمهنتهم لايقومون بالثورات بتاتا وهم يعيشون عيشة عناء وسكون وهم يؤلفون اكثرية الامة .

اذن فمن هم الذين يقومون بالثورة ؟؟؟

انهم ثمالة اجتماعية هادمة ذات نفسية اثيمة ، انهم اناس يؤلف مجموعهم جيوشا متمردة تحولت بتأثير البؤس وتعاطي الكؤول الى لصوص وصعاليك واشقياء وعمال سفلة ذوي بطالة ويلحق بهم البطالون والاخلياء بدافع العدوى ويسيرون بالتلقين الى ما يرغب الزعماء دون ادراك الغاية الصحيحة وهم اشبه بالجراثيم اكل عصيان

ويقول كوستاف: ان شأن هؤلاء السوقة لم يعظم في دور من ادوار التاريخ كامتداده ايام الثورة الفرنسية .

والخلاصة ، جيش الثورة المدني ليس الا الطبقة السافلة ؛ والسوقة ، ورعاع الامة والصعاليك فقط لاغير تقريبا اما جماعة الشعب الحقيقي، والاكثرية الساحقة منه فهي محافظة تقليدية لاتقوم بالثورات وقد يرتاب منها رجال الثورة وهي نواة الامة الثابتة وهي مدار بقائها وقوتها ويؤثر عليها الخوف ويجعلها مطيعة للزعماء فيقودونها بنفوذهم

ولكن سرعان ما تضجر هذه الطبقة المحافظة من الثورات فتندفع بروحها التقليدية الى الوقوف امام الفوضى عندما تستفحل باحثة عن رئيس قادر على اعادة النظام .

فغاية هذه الطبقة هي الهدوء والسكينة والامان ،لتتمكن من العمل باطمئنان فتراها عندما تضجر من الثورات والفوضى تسعى لسيادة الحكم المطلق ولذلك يقوم دوما الحكم المطلق بعد الفوضى .

وهكذا ترى ان للامة شأنا كبيرا بالثورات ولكنه ليس كما جاء في كتاب الاقاصيص .

المقطع الثاني : صفات الانقلابات :

نتبع هنا نفس المنهاج الذي اتبعناه في تقسيم بحث المقطع السابق المتعلق بصفات الثورات اذن :

القطعة الاولى :

تقسيم الانقلابات من حيث الصفات الغائيه المتغلبة عليها .

القطعة الثانية : الانقلاب العلمي .

القطعة الثالثة : الانقلاب السياسي

القطعة الرابعة: الانقلاب الديني

القطعة الخامسة: موقف الحكومات وشأنها في الانقلابات ،

القطعة السادسة : شأن الامة في الانقلابات .

ولكننا سوف نختصر البحث في هذا المقطع لسببين اولهما ١ - هو تشابه المقطع السابق مع هذا المقطع ٢ - وثانيهما هو عدم شرعية اكثر الانقلابات على الغالب.

القطعة الاولى : تقسيم الانقلابات من حيث الصفات الغائية المتغلبة عليها :

يتضح من بحث تعريف الانقلابات ان هنالك ثلاثة انواع من الانقلابات وهي
١ - الانقلاب المدني ٢ - الانقلاب العسكري
٣ - الانقلاب الناتج احيانا عن الثورات . ولا علاقة لنا بالنوع الثالث وانما نقتصر على النوعين الاولين

تغلب على الانقلابات المدنية والعسكرية الصفة والغاية السياسية ، وقد تغلب عليها الصفة والغاية الدينية ولكن نادرا ، اما الصفة والغاية العلمية فلم تغلب بل لم تتصف بها ولم تقصدها الانقلابات بتاتا في مجرى التاريخ حتى اليوم وعليه يمكن تقسيم الانقلابات من حيث الغاية الى انقلابات سياسية وانقلابات دينية اما الانقلابات العلمية :

القطعة الثانية: « الانقلابات العلمية » فلا وجود لها حتى اليوم الا بمعنى الانقلابات العلمية وغيرها الناتجة عن الثورات « وبصورة خاصة عن الثورات العلمية » وهذا ما استثنيناه وما ذكرناه سابقا . فقد تمهد الثورات العلمية على

حد سواء للثورات الاخرى او الانقلابات الاخرى بما تحدثه من تطـــورات واكتشافات تؤثر في مفاهيم ومعتقـــدات البشر وتبدل فيها وتجعلها غير قابلة بالاوضاع القديمة وساعية بالقوة الى تبديلها .

القطعة الثالثة : الانقلابات السياسية

وهي تحصل في عالم السياسة فتغلب عليها الصفة السياسية وتنشأ الانقلابات غالبا حينما يكون الشعب او اكثريته مستاء من الحكومة او الملك او الحاكم فيستثمر احد او بعض القواد العسكريين او احد او بعض رجال الحكومة او البلاط او القصر هذا الاستياء ويقومون بالانقلاب السياسي بسهولة كما فعل الطاغيه حسني الزعيم وهناك اسباب كثيرة ادت بالتاريخ الى احداث الانقلابات ولا نستطيع في هـــذا الكتاب الصغير شرحها وذكر امثلة عليها . والاحظ ان اكثر الانقلابات حدثت بالتاريخ لتبديل الحكومة او الملك او الملكة او الوصي ، بحكومة او ملك اخر ، او ملكة أخرى او وصي آخر . وقلما تحدث لابدال نظام الحكم بنظام حكم آخر .

القطعة الرابعة: الانقلاب الديني

وهو يحصل في عالم العقائد الدينية فتغلب عليه الصفة الدينية ولكن نردد ما قلناه وهو انه ما من ثورة او انقلاب الا ويتصف بعدة صفات وليس بصفة واحدة وخصوصا الانقلاب الديني الذي هو انقلاب سياسي ايضا بآن واحد .

فقد يندفع الجيش او هيئة حكومية بتأثير العقائد الدينية ولكن اول عمل يقومون به هو قلب الحكومة انهم يحدثون الانقلاب السياسي قبل كل شيء من اجل تحقيق غاياتهم الدينية .

وقد تكون العقيدة الدينية التي يتصف بها الانقلاب ليس الا خديعة لارضاء الشعب لا اكثر ولا اقل واقناعه باسقاط الحكومة او الملك والى آخره.. ولكن قد تكون العقيدة الدينية صحيحة ايضا فيكون الانقلاب السياسي الناتج عنها ليس الا وسيلة لتحقيق الغايات الدينية. عندئذ يمكننا ان نسمي الانقلاب بانقلاب ديني لكون العقيدة الدينية فيه هي: الاساس والمحرك الاول بالاشخاص الانقلابيين وتتشابه الانقلابات مع الثورات في كثير من الامور. ولذلك لن نطيل فيها الحديث واذا كان الجيش يساعد الثورات غالبا او لا يعارضها على الارجح فان الشعب كذلك قد يؤيد الجيش في حركاته الانقلابية كما حدث في سورية اثناء انقلاب الطاغية حسني الزعيم وقد يسكت الشعب احيانا على الانقلاب كما حدث ايضا في سورية اثناء انقلاب الطاغية اديب الشيشكلي.

القطعة الخامسة: موقف الحكومات وشأنها في الانقلابات

لا تستطيع الحكومة او الملك والى آخره.. ان تقف في وجه الثورة العسكرية وتراها تتداعى بسرعة البرق، ولا يبقى لها أثر والحكومات التي قاومت حركة الجيش ووقفت في وجهه مستندة على الشعب لا وجود لها الا في القصص والروايات ولكن قد تهرب الحكومة او الملك الى خارج البلاد والى مكان قصي فيها مثلا، وتنتظر الظروف المؤاتية تنتظر انقسام الجيش مثلا او ثورة شعبية مثلا او سلطة اجنبية تساعدها على استعادة وضعها وسلطاتها المسلوبة.

القطعة السادسة: شأن الامة في الانقلابات:

لا يكون للامة بتاتا علاقة مباشرة بالانقلابات،

ذلك لان الانقلابات تحاك وتدبر بالخفاء فان كانت مدنية فان رجال السلطة الراغبين بالانقلاب يخشون من الحاكم او الحكومة او الملك او الجيش ولذلك يعملون بالخفاء وان كانت الانقلابات عسكرية فان رجال الانقلاب العسكريين يخشون ان تعزلهم الحكومة وتسجنهم قبل قيامهم بانقلابهم فيدبرون امره ايضا في الخفاء وهم من جهة ثانية اقوياء يستخدمون قوة السلاح عند الحاجة. والنظام العسكري المغمور بالطاعة العمياء يساعدهم في مهمتهم ولذلك تراهم لايشركون الشعب معهم لانهم ليسوا بحاجة اليه وحتى لايشركون ولا يطلعون احدا من المدنيين على مؤامراتهم الانقلابية الا نادرا والا قليلا . وانما تؤثر الامة بالانقلابات بصورة غير مباشرة احيانا ؛ فلقد قلنا انها حينما تستاء من رجال الحكم فان بعض رجال السلطة المدنية او رجال الجيش قد يستغلون هذا الاستياء وينتفضون على الحكومة او الملك ويقلبونه بسهولة . ولا من يشد ازره وان وجد احد فلا يستطيع عمل شيء اثناء الانقلاب واذا استطاع فانما يستطيع بالمستقبل وحين تصبح الظروف مؤاتية .

وللروح النظامية شأن كبير في الانقلابات العسكرية فان كانت ضعيفة فان هذا الجيش يكون مستعدا لاحداث الانقلاب في اكثر المناسبات .

ملحوظة: ان جميع ماذكرناه عن صفات الثورات ينطبق على الانقلابات وانما الخلاف في شدة هذه الصفات اوضعفها فقط، مع تحفظ واحد وهو ان الصفة العلمية لم تغلب قط على الانقلابات المدنية او العسكرية والتاريخ لا يعرف انقلابا علميا منذ اقدم الازمنة حتى اليوم ، وبالعكس فان كثيرا من الافراد المدنيين العلماء احدثوا ثورات علمية (في النواحي العلمية) مهدت كثيرا لاحداث الثورات الفكرية او السياسية او الاجتماعية والى اخره .. والى احداث الانقلابات العسكرية او المدنية

الفصل الثالث : صفات النفسية السائدة ايام الثورات والانقلابات.

اذن مقطعان :

المقطع الاول : صفات النفسية السائدة ايام الثورات

المقطع الثاني : صفات النفسية السائدة ايام الانقلابات

المقطع الاول : صفات النفسية السائدة ايام الثورات.

نشاهد تقلب الخلق ايام الثورات اذن القطعة الاولى :

تقلبات الخلق ايام الثورات.. وتغلب على بعض الافراد صفة التعقل ولوظاهرا فقط وعلى البعض الاخر صفة التدين وعلى فئة ثالثة صفة الثورة ، وعلى فئة رابعة صفة الاجرام

اذن

القطعة الثانية : النفسية العقلية

« ٣ النفسية الدينية

« ٤ النفسية الثورية

« ٥ النفسية المجرمة

وتتخذ الجموع الثورية روحا تختلف تماما عن روح الافراد المؤلفة منهم وكذلك روح المجالس الثورية .

اذن :

القطعة السادسة : روح الجموع الثورية .

القطعة السابعة : روح المجالس الثورية.

القطعة الاولى : تقلبات الخلق ايام الثورات .

يقول كوستاف :

«يوجـــد عند كل انسان ، : الى جانب نفسية ثابتة « مادامت البيئـــة لاتتحول » :

شؤون خلقية متحولة قد تظهرها الحوادث وتتكون ذاتية الانسان الخاصة من اجتماع ذاتيات ارثية عديدة وينشأ عن اختلاط هذه الذاتيات موازنات تبقى ثابتة ما دامت البيئه لاتنقلب . فمتى تقلبت هذه البيئة كثيرا ، وذلك كما يقع ايام الفتن والثورات فان هذه الموازنات تتداعى ويتكون من انضام العناصر المنحلة ذاتية جديدة ذات افكار وعواطف ومناهج تختلف جدا عما كان مشهورا عند الاشخاص انفسهم »

«وتتشكل الذاتية الجديدة بعد انحلال الذاتية الاعتيادية بوسائل كثيرة اهمها حيازة معتقد قوي فيوجه هذا المعتقد جميع عناصر العقل والتمييز كما يحول الحجر المغناطيسي ذرات المعدن المغناطيسي الى منحنيات منظمة » .

فكأن الثورة رجل كيميائي بارع يؤثر على العناصر فيحولها ويؤلف منهـا جسما جديدا ، يؤثر على ذاتية الفرد فيحولها وقد يقلبها رأسا على عقب ولكن الذكاء يبقى هو هو وانما الذي يتغير هو المشاعر ،والخلق يتكون من انضـمام المشاعر بعضها الى بعض .

تنمو في ايام الثورات المشاعر المكبوحة ،المشاعر المكبوته وتنطلق من عقالها عند هدم الزواجر اي عند ما تصبح السلطة الحاكمة ضعيفه او عاجزة عن حفظ الامن او متلاشية .

وهنـاك زواجر اجتماعيـة قائمة على القوانين والتهذيب والتقاليـد والعادات،زواجر داخلية في النفس تسقط ايضا ولكن تبقي منها على الغالب بقية باقية رغم الثورات والانقلابات وما يبقي منها قد يوقف فيما بعد ثوران

المشاعر المشتملة على الخطر والمهددة لسلامة الدولة .

وأهم الزواجر الخفية هي روح الجنس التي تسبب الادراك المشترك والشعور المشترك والعزم المتماثل فتسبب بذلك عادة ارثية

ومهما تحولت سطحية النفوس اثناء الثورات فان تأثير الجنس يحدد هذه التحولات فالواقع ان ظواهر الامور هي التي تتغير وحدها فقط ونمو الحقد والخوف والحرص والحسد والزهو والحماسة وغيرها من العناصر العاطفية ايام الثورات فيساعد هذا النمو على تغيير ذاتيات الافراد والجماعات وتتأثر جميع ثورات التاريخ على الاطلاق بنمو هذه العناصر العاطفية فتجعل من الثورة قطعة من النار تلتهم أمامها المغلوبين على امرهم . بلا رحمة ولا شفقة وتظهر هذه العناصر في اربع نفسيات على العموم وهي النفسية العقلية والنفسية الدينية والنفسية الثورية والنفسية المجرمة على ان هذه العناصر التي تفعل بالافراد والجماعات تظهر بنفسيات معقدة ومركبة من عاطفة وعقل ودين وثورة واجرام وتأثير الجماعات وغير ذلك وهذا التقسيم الى اربع نفسيات هو غير صحيح ولكن هناك بعض النفسيات التي يغلب عليها التعقل فنسميها عقلية مع العلم انها تتأثر بالدين والثورة والاجرام وغير ذلك ايضا فنسميها بالنفسية العقلية لتغلب عنصر العقل عليها فقط لا لكونها عقلية بحتة فالحقيقة ان النفسية العقلية ايام الثورة هي نفسية دينية وثورية واجرامية وغير ذلك ايضا في آن واحد ولكن تغلب عليها صفة العقل .

وما نقوله عن النفسية ، العقلية نقوله عن النفسية الدينية التي يغلب عليها عنصر التدين وتشترك بها سائر العناصر الباقية ايضا من عقل وثورة واجرام وغير ذلك وما نقوله عن النفسية العقلية والنفسية الدينية نقوله ايضا عن النفسية الثورية والنفسية الاجرامية ، فكل نفس من هذه النفوس الاربع تغلب عليها صفة واحدة ولكن

تشترك بها وتنفصل بها كل واحدة من الباقي من الصفات الاربع : العقلية ، والدينية ، والثورية ، والاجرامية . وصفات اخرى ايضا اذن هذا التقسيم هو طريقي méthodique فقط لا حقيقي .

القطعة الثانية : النفسية الدينية : وهي نفسية المعتقدين المتدينين الذين تأخذهم الحمية الدينية ؛ نفسية السواد الاعظم من البشر ماضيا وحاضرا وهي على الاخص نفسية زعماء ورجالات الثورات الدينية وتشترك الى حد ما حتى في تأليف نفسية المقلين والبيوريين فنرى حتى زعماء الثورة الفرنسية اليعقوبيين وحتى روبسبيير وماكسيميليان وامثالهما يظهرون ماعندهم ايضا من الروح الدينية في بعض الاعمال الدقيقة . ويؤثر بالنفسية الدينية المنطق العاطفي والمنطق العقلي ومنطق الجماعات وسائر العناصر ولكن العنصر المسيطر فيها هو المنطق الديني المؤلف من عناصر التدين .

تتصف روح التدين باسنادها قدرة عظيمة الى موجودات وقوى علوية تمثلت بشكل اصنام او انصاب او الفاظ او صيغ . والروح المذكورة هي اساس لجميع المعتقدات الدينية وكثير من المعتقدات السياسية وكثيرا ماتتلاشى المعتقدات السياسية اذا جردت عن عناصر التدين التي هي اركانها الحقيقية .

والمنطق الديني مشرب بالمشاعر والدوافع العاطفية ، والثورات والفتن تستمد قوتها منه في التاريخ وفي العصر الحاضر .

واذا كان الناس لايبذلون حياتهم في سبيل المعقولات الا قليلا (العلماء منهم) فانهم يفدونها طوعا في سبيل خيال ديني اصبح معبودا والمنطق الديني لايعرف التسامح والانسانية بتاتا مع اعدائه اثناء الثورات . ولا تقوى الثورات في التاريخ الا اذا انتشرت مبادئها بمنطق ديني وليس ضروريا ان تكون مبادىء الثورة مبادىء دينية وانما الضروري ان تكون هذه المبادىء مصوغة بقالب ديني وان تكون حميتها حمية دينية وهكذا تتغلغل بسهولة في الجماعات وتجعلهم يثورون

وينقادون للزعماء ولقد صبغ ما كسيميليان دعوته الثورية بصباغ ديني في الثورة الفرنسية وكذلك كان شأن الزعماء : كوتون ، سان جوست ، دانتون ، روبيسبير وغيرهم .

والنفسية الدينية نفسية عتيقة تضع الشفقة والرحمة والانسانية والتسامح جانبا عندما تصطدم مع اعدائها اثناء الثورات ولا تتأخر لحظة عن الزام الناس بعبادتها اذا قدرت ، وهي تحكم بالموت احيانا على من لا يدين بعبادتها . وليست شخصيات الثورة الفرنسية والثورات القديمة وحدها هي التي اصطبغت بالمنطق الديني بالنفسية الدينية فحسب بل ان ابعد الثورات عن الدين كالثورة الشيوعية قد سلكت في طريقها المنطق الديني فلقد كانت المبادئ الشيوعية ولا تزال دينا يدين به كل شيوعي فكثيرا ما تحطمت اصنام بالتاريخ ولكن لا كرها بها بل لانشاء وعبادة صنم جديد ولما انتصرت الروح الشيوعية تطبق النظام المقارب لها ولم يتأخر زعماء الشيوعية لحظة عن تطبيق النظام على الناس وقتل كل من لا يدين بدينهم أو عدم تشاجرهم معه وقد كانت حميتهم حمية دينية ولو انها حطمت الكنائس والمساجد في بادئ الامر ، واعدمت وقتلت ذلك لان التأثير الديني ايضا لا يعرف التسامح كما ذكرنا اثناء اصطدامه مع اعدائه . يقول كوستاف لوبون لا يمكن ادراك هذه الثورات اذا ظن ان مصدرها العقل فالمعتقدات التي اقامت العالم واقعدته سواء أكانت دينية ام سياسية مصدر واحد وكلها تسير على سنة واحدة وهي انها لم تتم بالعقل وكثيرا ما تمت خلافا لكل عقل ، نعم ، يظهر ان البوذية ، والنصرانية والاسلام والاصلاح الديني البروتستنتي ، والسحر ، واليعقوبية « اي العقلية » والاشتراكية والمذهب الروحاني معتقدات متباينة ولكنني اكرر قولي بان لها دعائم عاطفية ودينية واحدة ، تتبع منطقا لا قرابة بينه وبين المنطق العقلي

وقوتها ناشئة عن ما للعقل من التأثير الضئيل في تكوينها وتحويلها »

ولما كان سلطان العقل ضئيلا على المعتقدات الدينية فان من اللغو ان نجادل كما يفعل البعض فيها للمبادىء الثورية والسياسية من القيمة العقلية .

القطعة الثالثة : النفسية العقليه :

وهي نفسية زعماء ورجالات بعض الثورات السياسية كالثورة الفرنسية ولكن هذه النفسية ليست نفسية عقلية صرفة بل تتداخلها عناصر التدين وغيرها كما سيجيء

وتوجد النفسية العقلية او اليعقوبية خاصة عند ذوي الاخلاق المتحمسة الضيقة وقد يتأثر بها حزب معين من دون ان تخلو نفسيته من عناصر اخرى كعناصر التدين ويتحلى بهذه النفسية بصورة خاصة بعض العلماء والفلاسفة ولكن دون ان تخلو نفسيتهم من عناصر اخرى أيضا .

وهي نفسية يغلب عليها عنصر العقل ظاهرا فقط ويشترك بها سائر العناصر وتقابل النفسية العقلية النفسية اليعقوبية في عصر الثورة الفرنسية ويزعم العقليون او اليعاقبة بتحررهم من الدين وبان العقل النظري هو الموجه الوحيد لهم .

وبالحقيقة ان زعم العقليين واليعاقبة خاطىء :

فالنفسية اليعقوبية او العقلية تتألف في عصر الثورات المعاصرة وفي الماضي بصورة خاصة من ثلاثة عناصر :

العقل الضعيف الحماسة الشديدة التدين القوي .

(ولكن مر معنا ان التدين لا يعني الايمان بدين معين فحسب بل يعني ايضا الايمان بمبدأ معين على الطريقة الدينية)

فاذا كان ذوو النفوس الدينية يصوغون الدين ويطبعونه بطابع العقل فان

ذوي النفوس العقلية يصوغون العقل بصورة لاشعورية ويطبعونه بطابع التدين فيؤمنون به كأنه دين لهم وكلا الفئتين لاتتأخر اذا عكست عن ارهاق اعدائها والحكم على كل من لايدين بمعتقداتها بالموت وكلا الفئتين لاتعرف التسامح بتاتا اثناء الثورات ، اذن : عنصر التدين يؤثر في كليهما .

القطعة الرابعة : النفسية الثورية :

وهي نفسية يغلب عليها العنصر الثوري ويشترك بها سائر العناصر واهمها عناصر التدين وهي على العموم نفسية بعض النفوس المضطربة المتقلبة الساخطة المتأهبة للتمرد على اي نظام (ولو تحققت جميع رغائبها) وتنشأ غالبا عن عدم التئام المرء مع بيئته او عن مغالاة في التدين والعاطفة كما قد تنشأ عن مزاج او عن مرض وهذه النفسية هي نفسية مخربة فمتى تندلع الثورة وتتحرر هذه النفسية من سطوة القانون تطلق العنان لغرائزها وتتزعم الفتن ولا يهمها غاية الثورة بتاتا وتسيطر الوساوس على النفسية الثورية احيانا فتقوم بالمظالم بينما تظن انها تقوم باعمال اصلاحية . ولكن النفسية الثورية ان كانت صادرة عن العقل كثورة العلماء بدلاً من العاطفة والتدين فانها تكون نافعة ومصدرا للابداع والتقدم والرقي كثورة العالم كاليله ولا فوازيه وداروين وباستور خلافا للروح الثورية المخربة السابقة المرتكزة على عناصر التدين والعاطفة ولكن النفسية الثورية ولو كانت نافعة لاتلبث ان تصبح مضرة متى لازمها الافراط والمغالاة ، متى لازمها التدين والعاطفة .

القطعة الخامسة : النفسية المجرمة .

وهي نفسية يغلب عليها عنصر الاجرام وتشترك بها سائر العناصر ، نفسية الثمالة من المنحطين وعديمي الالتئام مع مقتضيات المجتمع وذوي النقائص المتنوعة

ويتكون من هؤلاء المتشردين والصعاليك والمذنبين والمحكوم عليهم والسارقين والقتلة والسائلين فريق المدن الكبيرة الذي لاوازع له ولا رادع له في الازمنة الاعتيادية الا المجرم او الشرطة ، ولا يوجد ما يردعه ايام الثورات فتراه يقتل ويسلب بسهولة ويطلق العنان لغريزته وسلوكه الشرير . ومن هذا الفريق يجمع رجال الثورة جنودهم فاذا اطلقنا على هؤلاء الزمر لفظة مجرمين بالمادة فانه يجب ان نضيف اليهم فريق اشباه المجرمين او فريق المجرمين انتهازا وهذا الفريق الاخير يخاف في الظروف الاعتيادية من سطوة السلطة والقانون فاذا ما هبت الثورة وسنحت له الفرص ان يتخلص من خوفه من السلطة التي تكون قد تداعت تراه ينتهز الظرف ويتحول الى مجرم سفاك .

يقول كوستاف لوبون : ويتكون من فريق المجرمين اعتيادا وفريق المجرمين انتهازا جحفل مخل بالنظام وعليه يعتمد جميع الثوريين وجميع القائمين بالفتن الدينية والسياسية وهذا الجحفل المجرم المذكور اذا حوى من اصحاب النفوس البسيطة الساذجة الذين يسيرون حسب تحريض الزعماء فانما يحوي قسما ضئيلا جدا فقط لاغير . وليس للعقل سلطان على هذا الجحفل المجرم المخرب القاهر للعقل .

القطعة السادسة : روح الجموع الثورية :

في هذه القطعة لابد لنا من درس صفات الجموع العامة ، ولما كانت روح الجموع اثناء الثورة تثور كالزوابع وتنقلب كالدوار ؛ كان لابد من الفات النظر الى نقيضها ذي الفعالية الساكنة وهو روح العرق (الشعب) وحيث ان القائد لروح الجموع الثورية هو زعيم قبل كل شيء اخر ولو تجسمت فيه المبادىء

فاننا لابد لنا من اظهار شأن الزعيم في الحركات الثورية .

اذن :

الفقرة الاولى : صفات الجموع العامة .

الفقرة الثانية : فاعلية روح العرق (الشعب) في وضـــع حد لتقلبات روح الجموع .

الفقرة الثالثة : شأن الزعماء في الحركات الثوربة .

الفقرة الاولى : صفات الجموع العامة .

يقول لوبون :

لاتأتي الثورات بجميع نتائجها الا بعد دخولها في نفوس الجماعات ولهـذا فهي نتيجة لروح الجموع .

ان المرء وهو جزؤ من الجماعة يختلف جدا عنه وهو منفرد فذاتيته الشاعرة تفنى في ذاتية الجماعة الغير الشاعرة (الجماعة هنا هي مجموعة موقتة من الناس اجتمعت لاسباب طارئة) ولروح الجماعة التي تتشكل وقتيا مركـب خاص يتصف بتغلب العناصر اللاشعورية عليه تغلبا تاما وهذه العناصر تخضع لمنطق خاص (منطق الجماعات) وتتصف الجماعة المذكورة بالمغالاة في سرعـــة التصديق وسرعة الانفعال وعدم التبصر وعجزها من التأثر بالمعقول فلا يمكن اقناعها الا بالتوكيد والعدوى والتكرار والنفوذ ، وليس للحقائق والتجـارب تأثير فيها ويمكن حملها على تصديق كل شيء اذ لايوجد مـا هو مستحيـــل في نظرها .

وتسبب سرعة التأثر والانفعال بالجماعــة مشاعر مفرطة وهـذه المشـاعر تكون ضارة او نافعة وخصوصـا ايام الثورات حيث يكون

الافراط عظيما .

وتتلاشى الاخلاق الشخصية في الجماعات لما لها من التأثير في افرادها فيصبح فيها البخيل متلافا والمرتاب معتقدا والصالح مجرما والنزل بطلا .

وتتوحد مشاعر افراد الجماعة وعزائمهم فتتألف من ذلك الوحدة النفسية التي تعطي الجماعة قوة عظيمة

الفقرة الثانية : فاعلية روح العرق في وضع حد انقلبات روح الجموع:

تكمن روح العرق بالشعب لا بالجماعة لان الجماعة هي مجموعة موقتة من الافراد (كالمتظاهرين مثلا) اما الشعب فهو مفهوم قريب من مفهوم الامة. ويتصف الشعب بصفات ارثية مستقرة به فان كانت هذه الصفات قوية فانها تتغلب على روح الجماعة .

ويختلف الشعب عن الجماعة بتركبه من زمر (لا افراد) ذات منافع ورغائب مختلفة ؛ وبما يوجد في الجماعة من افراد (لازمر) ينتمون الى طبقات اجتماعية متباينة .

والشعب يتقلب احيانا كالجماعة ولكن تقلبه سطحي وتوجد في اعماق روحه غرائز ثابتة متأصلة تدعمها روح العرق (او على الاصح : روح الشعب) الثابتة وكثيرا ما تتغلب الروح الثابتة على روح التخريب اي كثيرا ما تتغلب روح الشعب الساكنة على روح الجماعة المتقلبة .

فيعود الشعب وينظر الى الوراء فيهدم الجديد ويعيد بناء القديم .

وتتأثر الجماعة بسهولة بالعدوى والتلقين عن طريق قادتها وزعمائها

اما (العرق) اي (الشعب) فلا يتأثر بسهولة والطرق المعروفة هي الجرائد والمحاضرات والخطب والكتب ولكن هذه الاساليب يمكن ردها الى التوكيد والتكرار والنفوذ والعدوى والتلقين المستعملة في التأثير على الجماعة .

ولا تسري العدوى النفسية مهما كان الامـــر وتشمل الشعب باسره على الغالب الا رويدا رويدا .

وفي جميع الاحوال تكون العدوى بالجماعة اسرع من العدوى بالشعب .

وتكون الروح الشعبية عند جميع الشعوب مشبعة بخلق التدين دائما فالشعب يعتقد بوجود كائنات علوية كالالهة او الحكومات او اعاظم الرجال قادرة على تحويل الامور كيفما تريد ويورث هذا الخلق عند الشعب ميلا شـديدا الى العبادة فيحتاج الى معبود سواء اكان رجلا ام مذهبا ويتطلب عندما تخيفه الفوضى مسيحاً منقذا وتنتقل الشعوب كالجماعة من العبادة الى الحقد ولكن رويدا رويدا.

الفقرة الثالثة : شأن الزعماء في الحركات الثورية :

ان كل جماعة متجانسة ام متباينة وكل مجلس ، وكل امة وكل ناد يعجز عن السير اذا لم يكن عليه سيد يقوده .

يقول كوستاف لوبون : وان روح الجماعة اللاشاعرة ترتبط بروح زعيمها فهو الذي يمنحها ارادة واحدة ويلزمها بالطاعة المطلقة .

ويؤثر الزعيم في الجماعة بالتلقين خاصة ويتوقف نجاحه على طريقة تلقينـه والتلقين بالجماعة سهل جدا . يقول لوبون : والجماعة تكون بحسب انواع التلقـين اما هادئة او هائجة او مجرمة او ذات بطولة وهذه الاحوال وان جاز ان تكون ذات مظهر عقلي فانه ليس فيها من العقل سوى الظواهر اذ انه لما كانت الجمـاعة لا تتأثر بالمعقول فان الافكار المؤثرة فيها هي المشاعر التي يؤتى بها على شكل الاخيلة

وقد يحرض الزعماء الجماعات الثورية تحريضا متناقضا ومع ذلك نرى الجماعـات تستجيب لهذه التحريضات المتناقضة فهي غير متعقلة من جهة ومن جهة اخرى

تنقاد وخصوصا بالتلقين ، لزعيمها او زعمائها . ولا تستطيع ان تسير بدونهم

القطعة السابعة :

روح المجالس الثورية :

يوجد نوعان من المجالس الثورية : المجالس الثورية الكبيرة ، والأندية :

اذن : الفقرة الاولى : الصفات النفسية للمجالس الثورية الكبيرة
الفقرة الثانية : الصفات النفسية للاندية السياسية . ولما كان اشتداد المشاعر في المجالس تدريجيا ويتصف بصفات خاصة فان لوبون افرد له فقرة خاصة :

اذن الفقرة الثالثة : ايضاح اشتداد المشاعر التدريجي في المجالس .
الفقرة الاولى : الصفات النفسية للمجالس الثورية الكبيرة
المجلس الثوري الكبير شبيه بالبرلمان وهو عبارة عن جماعة ثورية وقد يكون المجلس ذا فاعلية قليلة اذا تناقضت مشاعر ما فيه من الاحزاب فيكون شبيها بعدة جماعات متباينة ولا يتجلى فيه ناموس الوحدة النفسية للجماعات الا في كل حزب على حدة والظروف الاستثنائية وحدها هي التي تجمع بين عزائم تلك الاحزاب ويستطيع ذوو النفوس من الزعماء ان يؤثروا احيانا في جميع احزاب المجلس فيصوغون منها جماعة واحدة ويجعلونها تأتي بما يناقض اراءها من الاعمال فالجماعات تذعن في كل زمان الى الطواغيت الاشداء وتفزع المجالس من زعماء الفتن فتصوت في جلسة واحدة بما يتناقض مع المعقول خشية من اثارة فئة متحفظة يقودها زعماء طغاة ، وعندما يحصل للمجلس ما للجماعة من الصفات فانه يصبح مثلها ذا مشاعر

متطرفة ذات غلو ، ويكون عندئذ هذا المجلس ايضا متقلبا :

ويعود سبب سرعة تقلب المشاعر في المجالس الى ان هــذه الاخيرة لاتتصرف بمقادرها الا قليلا وتأتي نتائجها مخالفة لمقاصدها .

الفقرة الثانية : روح الاندية السياسية .

ان هذه المجالس (اي الاندية) التي هي جمعيات صغيرة تختلف عن المجالس الكبيرة بوحدة مشاعرها وعزائمها ، فهذه الجمعيات الصغـيرة هي ذات اراء ، ومعتقدات ومنافع واحدة .

ان الاندية تخضع لنواميس روح الجماعات ايضا رغم وحدة عزائمها الناشئة عن فقدان الاحزاب فيها فهي تستكين للزعماء ويكون تأثير الزعيم في النادي اي في الجماعة المتجانسة اكثر صعوبة من تأثيره في الجماعة المتباينة كالمجالس الثورية التي تمدد بها على الغالب الاحزاب وقد ينساق الزعيم احيانا في الاندية لرغبات هذه الجماعة .

ولكن قوة الجماعات المتجانسة عظيمة . يقول كوستاف :

ان الجماعة تؤثر في ارادة اعضائها فاذا كانت الجماعة متجانسة فيكون هذا التأثير عظيما ويكون التأثير اقل من ذلك اذا كانت الجماعة متباينة وقديكون هذا التأثير عظيما ايضا اذا تغلبت جماعة نافذة في المجلس على الجماعات الضعيفة الاقتحام او اذا انتشرت بعض المشاعر بالعدوى بين اعضاء المجلس

الفقرة الثالثة : ايضاح اشتداد المشاعر التدريجي في المجالس:

يقول كوستاف :

لو كان يمكننا ان نقيس مشاعر الجماعات قياسا رياضيا دقيقا لاستطعنا ان نمثلها بيانيا ونشرحها على خط منحني يصعد ، وكما هو مبين بالشكل في هــذه الصفحة ، اقول خط منحني يصعد من طرفه الاول ببطء ثم بسرعة ثم يهبط نحــو

طرفه الثاني عموديا ويمكن ان تسمى معادلة هذا المنحني بمعادلة تحولات مشاعر الجماعات المحرضة تحريضا مستمرا

ونرى لوبون يفرق هنا بين نتائج تحريض نفوس الجماعات تحريضا مستمرا وبين نتائج التأثيرات الميكانيكية الثابتة في علم الميكانيك فيقول :

ان .. قوة معينة ذات مقدار ثابت واتجاه ثابت تسبب ازدياد السرعة على طول الخط طوال مدة تأثيرها على جسم معين ساقط مثلا في الفضاء سقوطا حرا ولكننا اذا حرضنا الجماعات باستمرار (بعلة ثابتة المقدار مثلا) فان مشاعر الجماعات لا تزداد شدتها على طول الخط طوال مدة التحريض ، بل يأتي زمن تنعدم فيه المشاعر دون ان نقف عن تحريض الجماعات بعلة من العلل والعلة الثابتة المقدار التي ذكرناها مثلا) ذلك لان علم وظائف الاعضاء يثبت ان للذة والالم حدودا لا يمكن اجتيازها وانه متى اشتد التحريض فانه يحدث شللا في الحس فالاعضاء لا تتحمل الا كمية معينة من الفرح والالم والمجهود وعليه نخطيء اذا قايسنا بين نواميس الحوادث المادية وبين نواميس تطور عناصر العاطفة وعناصر التدين

(انتهى المقطع الاول)

ملحق بالمقطع الاول (صفات الثورات) من الفصل الثاني وبالمقطع الاول « صفات النفسية السائدة : ايام الثورات » من الفصل الثالث :

ان اكثر ابحاثنا في هذين المقطعين هي للفيلسوف كوستاف لوبون ولكن لابد من اخذ تحفظات تتعلق بها وسنذكرها بعد قليل

فلقد كان كوستاف معارضا لجميع المؤرخين تقريبا في تحليل الثورات وخصوصا الثورات الفرنسية

فلم يرض برأي دوميستر على علاته وعاكس وحارب اراء اليعاقبة ، وحمل على اراء

المؤرخين امثال: تيار، كينة، ميشلية ، الذين يقتربون في تفسير الثورة الفرنسية من مبدأ القدر التاريخي .

ولم يكتف برأي الفيلسوف والمؤرخ الكبيرتين فرددعنه ما قيل به من انه اساء الفهم ولو احسن المشاهدة ولم يكتف كوستاف من تين الذي اثبت فاعلية الرعاع والزعماء ايام ثورة فرنسا عام (١٧٨٩) بما يتفق مع اراء لوبون .

ولقد حمل لوبون حملة شعواء على احد اساتذة السوربون الاستاذ « اولار » رئيس انصار المذهب اليعقوبي ولم يعجبه رأي من يؤمنون بالقضاء والقدر في الثورة الفرنسية ، فاستنكر اراء بوسوية ، وانتقد تين من هذه الناحية لان هذا الاخير كان يميل ايضا الى القدرية وتهزأ على بقية اراء المؤرخين الاخذين برأي القدر ولم يستثن منهم احدا ، فلم يقبل لا بأميل او ليفية ، ولا بسوريل ، ولا بكيزو ، وذهب به ايمانه بصحة رأية الى القول بان مبدأ الشك بدأ يدب في نفوس المؤرخين الحديثين وانهم قد بدؤوا بتأملات جديدة واوشكوا ان يخرجوا من ضلالهم « على حد تعبيره » ، وقد استشهد في مؤلفاته ومقالاته في المجلات على دخول المؤرخين الحديثين بالشك بمعتقداتهم ومبادئهم في تفسيرالثورة الفرنسية اقول استشهد كوستاف على ذلك بجمل السيد (هانوتو) والسيد مادلين وقال ايضا انـه حتى بعض اساتذة السوربون امثال « اولار » نفسه بدأ يتطور في عقليته التي كان يفهم بها الثورة الفرنسية وكذلك قال انه حدث تطور في رأي (دويدور) ، ايضا .

ويلمح لوبون في مؤلفاته الى ان المؤرخين الاجانب وخصوصا الالمان يرون بالثورة الفرنسية بل في فرنسا امة مخربة

وهكذا ترى ان لوبون قـد اتخـذ لنفسه اسلوبه الخاص في تفسير

التاريخ وخصوصا تفسير الثورات ونحن نقبل اراءه ولكننا نأخذ بصددها التحفظات الاتية :

١ - ان من يقرأ ما كتبه لوبون عن الثورات يشعر بان كوستاف يميل الى تحقير الثورات اكثر من احترامها ولو انه يدعي في مقدماته الدراسة البريئة الوضعية الموضوعية وهو يحترم بصورة خاصة روح العرق « اى روح الشعب ، روح الامه » ولكن انتصار روح العرق لايستدعي بصورة الزامية ان نعتبره تقدما ولا يستوجب علينا ان نحترم روح العرق دوما .

٢ - لاتنطبق بعض الحقائق التي اوردها لوبون عن الثورات ، الا على بعض ثورات فقط حدثت بالماضي ، وعلى بعض ثورات معاصرة فقط ؛

اما ثورات المستقبل فتحتاج الى اعادة النظر باراء لوبون فالثورات لايمكن ان تكون مطلقة بل تتطور مع تطور نفسيات الشعوب والثائرين

٣ - يغالي لوبون في الفوارق بين العقل والعاطفة ، ولعمري اليست العاطفة والعقل ظاهرتين من ظواهر النفس البشرية .

والعقل يتأثر بالمجتمع ويتطور مع الزمان وهو في عصر الثورة خلاف ماهو اليوم ، وان بعض ما يعتبره كوستاف عاطفيا اليوم قد يكون في عصر الثورة عين التعقل فلقد تطور البشر منذ ذلك التاريخ حتى اليوم .

٤ - الثورات بالمعنى الفجائي نادرة الوقوع في الشعوب الراقية ، كالسويد وسويسرة ولكن الثورة ليست دليلا على تأخر الشعب .

٥ - لاترتكز الثورات دوما في التاريخ وخصوصا في العصر الحاضر اقول لاترتكز الثورات دوما على الرعاع والسوقة في قيامها بل كثيرا ما ترتكز

على حزب او احزاب منظمة يكثر بها المثاليون احيانا اكثر من الرعاع والسوقة خلافا لما يدعيه لوبون .

فالثورة الروسية بالقرن العشرين ارتكزت قبل كل شيء على الفلاح، والثورة الصينية الاخيرة الشيوعية ارتكزت على الحزب الشيوعي الصيني والفلاحين، قبل ارتكازها على الرعاع ،وثورة الحزب القومي في لبنان لم تكن ثورة رعاع بل ثورة قامت بها فئة من خواص العالم اللبناني السوري وثورة احمد اعرابي باشا لم تكن ثورة رعاع والى آخره والى آخره ..

واذا اتفق لبعض الثورات كالثورة الفرنسية ان يبرز بها مفعول الرعاع فان هذا الرعاع لا يؤلف وحده الجيش الثوري المدني فحسب بل ان فيه قسما كبيرا من افراد الشعب الكريمي الاخلاق وهذا القسم هو اكبر بكثير مما يتصوره كوستاف وتين وكذلك يشترك بهذا الجيش المدني الفلاحون او التجار او العمال بعدد ليس بالقليل.

٦ ـ يرتكز كوستاف في دراسة الثورات او على الاقل يدعي انه يرتكز على بسيكولوجيا الجماعات والشعوب والامم ولكن يجب ان ندرس بشكل اعمق ونبحث اسباب هذه الاوضاع البسكولوجيه التي قذفت بالشعوب الى الثورات والتي تجعلها تقوم بالثورة حسب الشكل الفلاني لا حسب غيره .

اليست هناك اسباب مادية غير التي تعرض لها لوبون ؟ اليست بيسكولوجيا الجماعات الثورية هي نفسها صدى للاوضاع الاجتماعية ،وهذه الاوضاع الاجتماعية اليست هي اخيرا صدى للاوضاع الاقتصادية المادية بالمجتمع تقريبا ؟

٧ ـ ان كثيرا من تحليلات كوستاف كتحليل روح المجالس الثورية وروح الجموع الثورية ينطبق على اكثر ثوارت الماضي لذلك فقد احسن كوستاف

الوصف الى حد ما ولكن هل ينطبق هذا التحليل على ثورات العصر الحاضر والمستقبل ؟ العالم في تطور ونفسيات الشعوب تتطور وما هو معقول في الماضي هو غير معقول بالحاضر احيانا او المستقبل الا ان كثيرا من الشعوب اليوم هي ذوات مستوى قريب من مستوى شعوب عاشت بالماضي لذلك تبقى بعض الحقائق التي تنطبق على العموم على الماضي صحيحة تقريبا بالنسبة لهذه الشعوب المعاصرة ولكن الزمان سوف ينسفها نسفا بالمستقبل .

٨ - ان ازدياد الرعاع وحملة الكؤول في ايام الثورات لدليـــل على سوء وفساد النظام الاجتماعي - السياسي - الاقتصادي ، الامر الذي يحمل الشعب على اختلاف عناصره مشمئزا من العهد فاذا صار الرعاع ولو باجسامهم فقط لقلب الحكم ، فان سائر طبقات الشعب لتكون متأثرة من سوء الحالة ويمكن اعتبارها راضية الى حد ما على الثورة ، فتكون الثورة والحالة هذه ثورة شعبية او على الاقل ثورة يرضى الشعب ولو قام بها الرعاع والفوا جيشها المدني حتى ولو وحدهم .

٩ - ان للتدخلات الاجنبية اليوم تأثيرا كبيرا في تهيىء الثورات واسنادها وتأمين الشروط المادية لوقوعها واشمالها ، كما هو الحال في الثورة الكوريـــة والثورة في الهند الصينية وكما كانت الحال بالثورة الصينية الحمراء الاخيرة . وهكذا يوشك ان يتداعى رأي لوبون من ان المشتركين بالثـــورة هم من خارج من يشتغلون ليعيشوا لان المساعدات الخارجية قد تكفي المواطنين الراغبين بالثورة مؤونة العمل فيثورون سياسيا فالخارج احيانا يؤمن لهم ولعيالهم اسباب المعيشة بمساعداته الظاهرة او السرية زيادة على ما يلزم للثورة من العتاد .

« انتهى الملحق المذكور »

المقطع الثاني : صفات النفسية السائدة ايام الانقلابات :

نتبع في هذا المقطع نفس المنهاج الذي اتبعناه بالمقطع الثاني السابق الخاص بصفات النفسية السائدة ايام الثورات اذن :

القطعة الاولى : تقلبات الخلق ايام الانقلابات .

القطعة الثانية : النفسية العقلية .

القطعة الثالثة : النفسية الدينية

القطعة الرابعة : النفسية الثورية

القطعة الخامسة : النفسية المجرمة

القطعة السادسة: روح الجموع الانقلابية

القطعة السابعة: روح المجالس الانقلابية

ولكننا سوف نختصر البحث في هذا المقطع لسببين: اولهما هو تشابه المقطع السابق مع هذا المقطع، وثانيهما هو عدم شرعية الانقلابات على الغالب

القطعة الاولى : تقلبات الخلق ايام الانقلابات :

ينمو الحقد والخوف والحرص والحسد والزهو والحماسة وغيرها من العناصر العاطفية ايام الانقلابات بصورة خاصة في نفوس رجال الانقلاب واعدائهم العسكريين واعدائهم المدنيين ويساعد هذا النمو على تغيير ذاتيات هؤلاء الافراد وتظهر هذه العناصر في اربع نفسيات على العموم: وهي النفسية العقلية والنفسية الدينية والنفسية الانقلابية والنفسية المجرمة على ان هذه العناصر التي تفعل بالافراد تظهر بنفسيات معقدة ومركبة من عاطفة وعقل ودين وثورة واجرام وتأثير الجماعات وغير ذلك وهذا التقسيم الى اربع نفسيات هو غير صحيح ولكن هناك

بعض النفسيـــات الى آخره . . . « اقرأ بداية صفحات القطعة الاولى من من المقطع السابق » .

القطعة الثانية : النفسية الدينية :

« اقرأ القطعة الثانية من المقطع السابق »

«على اننا نلاحظ ان المقطع الثاني يبحث في افراد الشعب اما هنا فاننا نبحث بصورة خاصة في العسكريين والاشخاص الحكوميين الذين قاموا بحركة الانقلاب .

فالنفسية الدينية نبحثها في شخصية هؤلاء الذين قاموا بحركتهم الانقلابية فقط ولكن قد يؤيد الشعب او بعض افراده حركة هؤلاء فيتأثرون بهم وعندئذ ينطبق هذا البحث عليهم كما ينطبق على غيرهم »

القطعة الثالثة : النفسية العقلية :

« نلحظ هنا نفس ما لحظناه عن النفسية السابقة »

القطعة الرابعة : النفسية الثورية :

«نلحظ هنا نفس ما لحظناه عن النفسية السابقة مع التحفظ الاتي وهو : ان النفسية الثورية لدى رجال الانقلابات العسكريين او الحكوميين لم لم تصدر في التاريخ حتى اليوم عن العقل بتاتا »

القطعة الخامسة : النفسية المجرمة

وقد يتصف بها رجال الانقلابات ايضا او بعضهم ولكن الاعمـــال التي يعملها صاحب هذه النفسية والتي ذكرناها بالمقطع السابق بالقطعة الخامسة منه

تأخذ لدى رجال الانقلابات واتباعهم اشكالا متسترة واشكالا جديدة . فهم بدلا من ان يسلبوا اموال الخاصة ،وهم يسلبونها احيانا ، يسلبون اموال الخزينة العامة باشكال فنية تكون غاية بالحذق والمهارة احيانا وهم يستعملون احيانا لفظة القانون ستارا لهم كما فعل الطاغية الشيشكلي واسلافه الطغاة وهم يستعملون الاغتيال احيانا بيد اتباعهم ، والى اخره ... والى اخره ...

ويكون الرجال الانقلابيون احيانا اما مجرمين بالمادة واما مجرمين انتهازيين ولكن شدة الاجرام في نفوس الانقلابيين لا تبلغ الا في القادة احيانا مابلغته شدة الاجرام في النفوس المجرمة المدنية اثناء نشوب الثورات الشعبية .

الا ان العنصر المؤلف للنفسية المجرمة هو هو اي هو نفسه . سواء بالمدنيين ام بالعسكريين ام ببعض رجال الحكومة الذين قاموا بالانقلاب .

وقد يشترك الشعب او قسم منه مع الجيش او رجال الانقلاب المدني عندئذ قد ينطبق جميع ما رويناه عن النفسية المجرمة بالمقطع الثاني بالقطعة الخامسة على رجال الانقلاب واتباعهم كما انه قد تتحقق ايضا ثورة الشعب وقد تظهر في بعض افراده النفسية المجرمة التي تحدثنا عنها سابقا . - بالمقطع السابق المشار اليه-

القطعة السادسة : روح الجموع الانقلابية .

قل ان يتحقق اثناء الانقلابات مارويناه عن روح الجموع الثورية ذلك لان الانقلابات اما ان تكون مدنية فتغلب علية المؤامرات والدسائس وتسقط الحكومة او الملك والى آخره دون حاجة غالبا الى التجمعات والجموع العامة واما ان تكون انقلابات عسكرية فلا تحتاج الى تأليف الجموع العامة بل تستند في حركتها على قوة سلاح الجيش والحياة العسكرية مهما كانت فوضوية في نظامية

الى حد معين بالنسبة للجموع الشعبية ولا تسمح بحدوث جموع انقلابية شبيهة بالجموع الثورية على الغالب الا اننا نرى فاعلية روح العرق « اي روح الشعب » الموجودة ايضا بافراد الجيش قد تضع حدا لحركة الانقلاب وخصوصا اذا كانت هذه الحركة حركة مخربة وكذلك نرى شأن الزعيم (وهو القائد العسكري في حالة كون الانقلاب عسكريا) في الانقلابات يشابه الى حد بعيد شأن الزعيم في الحركات الثورية .

القطعة السابعة : روح المجالس الانقلابية :

اما تكلمنا عنه في المقطع السابق بالقطعة السابعة منه عن روح المجالس الكبيرة قد ينطبق على روح المجالس الانقلابية الغير المتجانسة اما اذا كانت متجانسة فينطبق عليها ماقلناه، بالمقطع السابق، عن روح المجالس الصغيرة المتجانسة كالاندية .

اما ايضاح اشتداد المشاعر التدريجي في المجالس فيكون اثناء الانقلابات كما هو اثناء الثورات وقد شرحناه بالمقطع السابق بالقطعة السابعة منه

وهكذا نرى اننا اختصرنا كثيرا هذا المقطع عن صفات النفسية السائدة ايام الانقلابات لانه شبيه الى حد بعيد بالمقطع الاول السابق، عن الصفات النفسية السائدة ايام الثورات ويجدر بالقارئ اعادة مطالعة المقطع الاول السابق ووضع كلمة انقلابات فيه بدل كلمة ثورات واخذ التحفظات اي تذكر ماذكرناه بهذا المقطع الثاني من تباين بين هذين المقطعين اي بين صفات النفسية السائدة ايام الانقلابات وصفات النفسية السائدة ايام الثورات .

« انتهى المقطع الثاني وهو صفات النفسية السائدة ايام الانقلابات »

الفصل الرابع : تاريخ الثورات والانقلابات وبايجاز :

عاني اكثر الامم الحديثة امر الثورات والانقلابات وخصوصا بالنصف الاخير من القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين وتستأنف سائر الامم امر الثورات والانقلابات فلا تزال تهب هنا وهناك حتى اليوم .

وهذه هي الدول التي حدثت بها حتى اليوم ثورات او انقلابات : فرنسا ، والبرتغال ، وانكلترة ، الهند الصينية ، كوريا ، بلجيكا ، اسبانيا ، سويسرة ، ايطالية ، تركيا ، النمسا ، بولونيا ، المانيا ، اليونان ، اليابان ، روسيا ، الصين ، دول البلقان ، كوريا ، الهند الصينية ، بلاد الفيتنام ، سيام ، الجمهوريات والدول الاميركية اللاتينية الاسبانية : والمكسيك ، الارجنتين ، البرازيل ، وغيرها ، سوريا ، الحجاز ، بلاد المغرب ، مصر ، العراق ، ايران ، وغيرها ، وتكثر اليوم الثورات بالعالم فكانه في حالة انتقالية وكانه يريد ان يتمخض عن شيء جديد قد يولد حيا وقد يموت قبل ولادته .

ولا يسعنا في الطبعة الاولى من هذا الكتاب ان نبحث في هذه الثورات بصورة كافية ، وسوف نقوم بهذا العمل بالطبعة الثانية ، اما الان فنكتفي بلمحة قصيرة :

لنبحث بعض الثورات الاولية في العصور الحديثة :

الثورة الانكليزية عام ١٦٤٨ :

وهي الثورة التي بدأت عام ١٦٤٢ ، بعد اعدام سترافورد عام ١٦٤١ بالحرب المدنية بين الملك والبرلمانيين ، وقد توطدت باعدام شارل الاول عام ١٦٤٩ وباعلان الجمهورية تحت حماية كرومويل الذي اسقط اسرة مالكة ورفض تاج

الملك ، ودفنوه على طريقة دفن الملوك ، انما بعد عامين من وفاته تبدل الرأي به ، فانتزعوا جسده من قبره وقطع الجلاد رأسه وعلقه على باب البرلمان.

ان ارجاع آل ستيوارت حصل عام ١٦٦٠ باستلام شارل الثاني عرش انكلترة ولكن في عام ١٦٨٨ انزل الانكليز جاك الثاني عن العرش : ان ثورة عام ١٦٨٨ اوصلت غليوم الثالث للحكم .

اما في فرنسا فلقد حدثت اربع ثورات : ١ - واحدة عام ١٧٨٩

الثورة الافرنسية عام ١٧٨٩

لقد عجلت مطالب الفلاسفة واقتصاديي القرن الثامن عشر في حدوث الثورة الفرنسيه ، وتولدت من وجود تنظيمات سياسية كان قد تواري سببها منذ زمن بعيد . ان امتيازات الطبقة الارستقراطية وطبقة رجال الدين كانت تفسر بالقرون الوسطى بضرورة حماية الضعفاء ضد الاقوياء المتعسفين ولكن لم يعد لهذه الامتيازات سبب عقلي او لزوم لوجودها عندما جمعت الملكية في قبضتها كل السلطات الاقطاعية . انما بقيت التعسفات وياللاسف في الطبقات الامتيازية وكانت مالية الدولة ايضا موضع التبذير والبذخ والصرف بدون منفعة . وقد كان التفاوت عام ١٧٨٩ كبيرا « مقرفزا » في توزيع الاعباء العامة ، والمراقبة مفقودة تماما ، وقد وجد وزراء لويس السادس عشر الذين جربوا ان يحققوا اصلاحات طالب بها الرأي ؛ اقول وجدوا مجهودهم يتحطم ضد المقاومة الشديدة لرجال الدين والاشراف ، وكان يقتضي القيام بثورة لابدال مجتمع مبني على الامتيازات بمجتمع حيث تكون مساواة الجميع قانونا عموميا . وقد تحول مجلس الطبقات ، في فرساي الذي افتتح جلسته بتاريخ ١٧٨٩/٥/٥ الى مجلس قومي بتاريخ ١٧ حزيران من السنة المذكورة ، وبعد ثلاثة ايام اقسم نواب

الشعب عين « الاخلاص » وفي ١٤/٧/١٧٨٩ استولى الشعب على سجن الباستيل .
وفي ١٤ اب الغت الجمعية المذكورة الامتيازات الاقطاعية ونشرت « اعلان حقوق الانسان » وصوتت على الدستور الذي طبق عام ١٧٩١ ، واوجبت مساواة جميع المواطنين امام القانون وتفرقت هذه الجمعية في ٣٠/٩/١٧٩١ بعد ثلاثة اشهر من تاريخ محاولة هرب الملك الى خارج فرنسا . فحل محلها المجلس التشريعي ، وقد حاول هذا المجلس بدون جدوى ان يحكم بالاتفاق مع لويس السادس عشر الذي الزمه على اعلان الحرب على النمسة .

وفي مطلع اليوم الذي تفرق به هذا المجلس التشريعي ليترك مكانه للمجلس الثوري المسمى convention ، كانت الجيوش الفرنسية قد انتصرت في معركة فالمي ٢٠/٩/١٧٩٢ . وفي ٢٢ من الشهر المذكور اعلن المجلس القومي الجمهورية .

وقد حدثت في عهد حكومة الادارة الحملات على المانية وايتالية عام ١٧٩٦ وعلى مصر عام ١٧٩٨ الى اخره .. وفي ٩/١١/١٧٩٩ احدث بونابرت الذي جعلته انتصاراته معتبرا كالمخلص لفرنسا ، اقول احدث بونابارت الانقلاب واصبح القنصل الاول « دستور السنة الثامنة لتاريخ اعلان الجمهورية » . وفي ٢ اب عام ١٨٠٢ عين نابوليون قنصلا مدى الحياة وفي ١٨/٥/١٨٠٤ اصبح امبراطور الفرنسيين ومنذ ذلك التاريخ لم يبق من الثورة الفرنسية الا الذكرى ،

٢ - و الثورة الثانية بفرنسا حدثت عام ١٨٣٠ وهي التي اسقطت البوربون التابعين للنسب البكر وسلمت العرش للنسب الاصغر « لويس فيليب » .

٣ - والثورة الثالثة الفرنسية حدثت في ٢٤ شباط من عام ١٨٤٨ واعلنت الجمهورية الثانية التي انطفأت نتيجة لانقلاب ٢/١٢/ ١٨٥١

٤ - والثورة الرابعة الفرنسية حدثت في ٤/٩/ ١٨٧٠ وقلبت

الامبراطورية الثانية واقامت الجمهورية الثالثة ..

لقد سببت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ : ١ - الثورة الروسية عام ١٩١٧ التي قلبت النظام القيصري وذهبت بسلالة ال رومانوف ، والثورة الالمانية عام ١٩١٨ التي اسقطت « أي ازلت عن العرش » ال « هوهنزولليرن » والثورة اليونانية ، والثورة التركية « التي انتهت عام ١٩٢٤ » الى اخره ...

اما اسبانية فلقد رزحت تحت عبء ثورتين واحدة عام ١٩٣١ والثانية عام ١٩٣٦ - ١٩٣٨

الثورة الروسية : ونلاحظ ان اعظم ثورة بالعالم قامت حتى اليوم هي الثورة الروسية عام ١٩١٧ والثورة الصينية التي بدأت عام ١٩٤٥ بعد الحرب العالمية الثانية ، وقد بحثنا عنهما قليلا في هذا الكتاب

كما اننا نلاحظ ان احقر وابذل واغزر انقلابات هي الانقلابات في الحكومات الاميركية الاسبانية التي حدثت وتحدث بها الى الان ؛ فهذه الحكومات لا تعرف الاستقرار حتى الان .

« انتهى الفصل الرابع »

الفصل الخامس : شرعية الثورات والانقلابات .

شرعية الثورات : اما الثورات الداخلية فهي شرعية اذا توفر بها شرط واحد وهو : نجاحها . لا اكثر ولا اقل .

وقد تكون الثورة اما اثيمة مخطئة واما نافعة ومصيبة ولكن تبقى بالحالتين شرعية ان نجحت . وارى ان الثورة يجب ان تحدث عندما يتعطل او يتعرقل تطور المجتمع فيجمد وتجمد معه العادات والاوضاع الاجتماعية كالالة التي يعتريها « الصدى » هنا تكون الثورة وخصوصا اذا قام بها الجميع او الاكثرية ثورة

شرعية اجتماعية - اخلاقية في آن واحد .

اما الثورات على حكم غير شرعي على مغتصب داخلي مثلا فهي شرعية ولو لم تنجح .

اما الثورات على الاستعمار فهي شرعية سواء نجحت ام لم تنجح : كثورة سوريا ضد الاستعمار التي كانت دائمة تقريبا طوال مدة حكم الفرنسيين ولا بد من القول : « ان لا قيمة لثورة ويا للاسف بدون جهد وعذاب ودم »

شرعية الانقلابات :

ليست الانقلابات شرعية مهما كان نوعها مـدنية ، ام عسكرية ولكن سنبين بعد قليل في غير هذا المكان ان باستطاعة افراد الجيش الاتفاق مع المدنيين على احداث انقلاب شرعي تسبقه ثورة شعبية ولو بسيطة « اقرأ القسم الثاني عشر من هذا الكتاب الاول »

بين الثورات والانقلابات : الثورة شرعية لانها تصدر عن اكثرية الشعب او عن رضى هذه الاكثرية ان نجحت وبما ان الشعب هو مصدر السلطات اذن يكون كل عمل صادر عنه عملا شرعيا شرطان لا يزعج الجوار او العالم ويكون القسم المهم والكبير من نتائجه محصورا ضمن المجتمع الذي هبت به الثورة - اما الانقلاب فهو يصدر عن عدة اشخاص - ولهـذا لا يمكن ان يكون شرعيا . الشعب لا يستطيع ان يثور من وقت لاخر الا نادرا اما رجال الجيش مثلا فان باستطاعتهم احداث انقلاب كل لحظة بكل سهولة وذلك عن طريق استخدام قوة السلاح التي هي تحت تصرفهم ، بخلاف الشعب الاعزل على العموم ، وعليه من الممكن ان تؤدي سهولة الانقلابات للفوضى حينما تتكرر اما الثورة التي لا تحـدث الا نادرا ويقاسي الشعب فيها صعوبات فانهـا لن تسبب اعتياد الشعب على الثوران

لانها لاتتكرر بسهولة وما لايتكرر لايحدث عادة اي لايحدث فوضى دائمة اما الانقلاب فلربما تؤدي سهولته الى التكرار، ثم الي الاعتياد عليه فتعم الفوضى في الجيش ومن ثم تنتشر لجميع انحاء البلاد

ونذكر بالمناسبة ان جميع الانقلابات التي حدثت بالعالم العربي ليست شرعية ويجب على الشعوب العربية ان تقمعها ولو بالقوة حتى لاتعم الفوضى في بلادنا .

ولقد هبت حركة ثورية منذ عدة ايام في سورية لاسيما في معقل الحرية فيها ، في هذا الجبل الاشم الذي يشع منه النضال في سبيل مجد سوريا، ونثبت هنا ماذكره زعيم الجبل سلطان باشا الاطرش عن كيفية اعتداء المغتصب اديب الشيشكلي على هذا الجبل وعن وحشية اعمال المغتصب المذكور التي قال عنها سلطان انها فاقت في وحشيتها ماعمله تيمورلنك السفاح :

واليك الان مارواه سلطان للصحفيين (نقلا عن جريدة « الجريدة » البيروتية العدد ٣٥٧ المؤرخ في ١٠ آذار ١٩٥٤) ، : قال سلطان :

« ان سبب ما حدث في الجبل يعود الى مظاهرة قام بها الشباب في قريته احتجاجا على ايقاف بعض المعتقلين واتهام ابنه منصور بتوزيع منشورات تحض على الثورة ضد الشيشكلي ، وقد افاق الجبل يوم ٢٧ كانون الثاني على ازيز الرصاص وتبين ان الجيش طوق القرية ومنع الدخول والخروج منها وجلب عددا من الدبابات والمصفحات للقضاء على الدروز ومن ذلك الوقت كانت اذهان السكان خالية من اسباب هذا العمل العدواني وكل ما بدر ان الشيشكلي اعتقل جميع الزعماء السياسيين في سوريا. ومضى يقول :لقد استمر تطويق القرية ثلاثة ايام كانت خلالها قوات الشيشكلي تصلينا بنار حامية فخف الى نجدتنا اهالي القرى

المجاورة وطوقوا قوات الجيش وفكوا الحصار عنا وتقدم قائد القوات المحاصرة واعتذر عن فعلة الجيش وطلب الى السكان الانصراف الى اعمالهم وقال ان الامر سينتهي بصلح عشائري .

وبينما كان وجوه القرية يجتمعون الى اهالي القرية لابلاغهم رسالة القائد انقضت عليهم قوات الجيش واخذت تبطش بالرجال والنساء والاطفال دون تمييز واعملت بهم السلب والنهب وفتكت بالمرضى والحوامل والاطفال وكانت قوات الجيش ترتكب فظائع مماثلة في السوداء .

وذكر سلطان باشا ان الشيشكلي حلق فوق جبل الدروز في طائرة ليتأكد من تطويقه وكان يصدر تعليماته بزيادة التنكيل والقسوة وقدر عدد قوات الجيش التي حاصرت القرية بعشرة الاف جندي وذكر ان اوامر الشيشكلي أعطيت للعشائر القريبة من الجبل لغزو اراضيه وسلب امواله ومواشيه كما اعلن عن اعطاء جائزة قدرها مابة ليرة سورية لكل من يسلم درزيا للجيش. واستطرد يقول: ان عددا من رجال الجيش وقعوا اسرى في ايدي الدروز فبقوا في ضيافتهم يومين ثم اوصلوهم سالمين الى حوران. واردف يقول: ان الشيشكلي شفع ذلك بانزال الفظائع والتقتيل باهالي السويداء وكان الدروز يجنحون الى السلم والدفاع عن النفس فانهم يدركون ان الجيش جيشهم .

واكد سلطان باشا الاطرش ان لجوءهم للاردن كان حبا في حقن الدماء وقمع فتنة الشيشكلي وقدر عدد ضحايا الدروز بما يزيد على مابة قتيل بين طفل وامرأة ورجل واعرب عن اسفه لوقوع خسائر بين الجيش . وختم تصريحاته قائلا : ان مصير كل طاغية الفناء .

ولقد سبق حركة الجبل انعقاد مؤتمر حمص الذي جمع اكثر الاحزاب

السورية وقد اعتقل « الطاغية قبل هبوب حركة الجبل واثنائها وبعدها بعض رجالات البلاد والزم البعض الاخر على البقاء في مساكنهم تحت الحراسة والى آخره .. ولقد رافقت حركة الجبل حركة عامة في البلاد واستعداد للمظاهرات والاضرابات ، وقد كان الطلاب الابرار لايفتؤون في سوريا يستنكرون حكم الطاغية ويضربون ويتظاهرون ويعترضون ، ويعبرون للطاغية وللملأ ، عن رغبة الشعب في طي صفحات حكم الطاغية وكانوا لايهابون المـــوت ونذكر بالمناسبة ان الطاغية كان شديدا عليهم جدا فبينما نسمع ان هناك في المانيا الهتلرية حيث كان الحكم دكتاتوريا اصدرت الحكومة قانونا يقضي باعدام كل شرطي او دركي او جندي اطلق رصاصه على الطلاب المتظاهرين اقول بينما نرى ذلك في اشد الدول الدكتاتورية نرى بالعكس الطاغية الشيشكلي واسلافه في سوريا يقيم في عهده الارهاب ويدعي انه يحكم البلاد حكما جمهوريا ، نراه يسجن الاف الطلاب لاشيء الا لانهم عبروا عن شعورهم ، نراه يأتي بمن بنوا مع زملائهم صرح سوريا الى السجن والى اخره .. والى اخره .. واخيرا انتفض الجيش وساعد على انهاء حكم الطاغية ؛ ففر هاربا . والبلاد تنعم اليوم بعودة الحكم الدستوري ؛ وتبدأ في مصر حوادث واستعدادات مماثلة ؛ وان النار تحت الرماد وما حدث في سورية سوف يتكرر قريبا في البلاد المصريـــة . والى اخره والى اخره ..

الفصل السادس : اسباب الثورات والانقلابات :

ان الاسباب ، والشرائط ، هما لفظان مترادفان تقريبا من الناحية العلمية ، لذلك ستراننا بالفقرات التالية تارة نقول اسبابا وتارة نقول شرائط . « ولا فرق

تقريبا في استعمال احد اللفظين محل الاخر، كان السواد الاعظم من هذه الشرائط او الاسباب هو مشترك بين الثورات والانقلابات لذلك ندرجها دون تفريق بينها كما يلي :

أ ـ تأثير الثورة العلمية : الثورة العلمية عامل ممهد يؤثر على الجماعات ، بما فيهم افراد الجيش ، ويبدل من مفاهيمهم وقد تحولهم الى اشخاص لايطيقون الاوضاع الاجتماعية او السياسية او الاقتصادية القديمة فيشلون الثورة لتحطيمها او يتآمرون لاحداث انقلاب عسكري او مدني .

ب ـ العدوى : ان ثورات عام ١٨٣٠ باوروبة ، وثورات عام ١٨٤٨ فيها شيء من العدوى الاوروبية والثورات ضد الاستعمار ، بالنصف الاخير من القرن التاسع عشر ، وفي القرن العشرين فيها شيء من العدوى العالمية . والانقلاب المصري فيه شيء من عدوي الانقلابات السورية .

حـ ـ المؤامرات الخارجية : هل للدول الاجنبية علاقة بالانقلابات الحادثة في بلاد العرب ؟ هل هي على اطلاع بها قبل الانقلابات او اثناء حدوثها او بعدها فقط . ان الجواب على هذه الاسئلة لن ينحل الا بعد الحرب العالمية الثالثة الاتية ، حينما يظهر لنا التاريخ وثائق سرية او اثباتات ، ولكن قد يكون للدول الاجنبية علاقة بهذه الانقلابات ، فالاوروبيون يرغبون في قيادة معسكر دولي ضد روسية والدول الشيوعية ولهذا يعملون اليوم الى اقامة انظمة عسكرية في جميع انحاء العالم الدمقراطي رغبة في سرعة التنفيذ لمشاريعهم الاستعمارية ورغبة في الاسراع بتوقيع الاتفاقات والاشتراك بالحرب الاتية وخوضها بجانبهم بسرعة البرق عند اللزوم فلقد مر معنا ان النظام الدمقراطي لايصلح لايام الخطر تماما وخصوصا في بلاد مثل بلادنا فهو بطيء التنفيذ والسرعة من لزوميات

الحرب والدكتاتورية من لزوميات الحرب والنضال ، واميركا نفسها انتخبت جنرالا رئيسا لجمهوريتها من اجل استثمار عقلية التكتيك الحربي وعقلية السرعة بالتنفيذ ، وذلك زيادة على صلاحيات رئيس الجمهورية الاميركية المنصوص عنها بالدستور الاميركي ذي النظام الرئاسي .

د ـ استثمار الضباط لكراهية الشعب للحكام نظر الاستبداد هؤلاء واعمالهم الغير اللائقة وتمسكهم بالحكم وجشعهم وسوء تصرفهم وتنازعهم مع الضباط احيانا ، وقد يستثمر بعض اشخاص حكوميين هذه العوامل ويقومون باحداث انقلاب مدني .

هـ ـ ضعف الروح القانونية والنظامية بالشعب وخصوصا بالجيش .

و ـ شراء اصوات الناخبين فعندما يجري مثل هذا الشراء يشعر المخلص في المجتمع بلزوم تبديل جهاز الحكومة بثورة او انقلاب .

ز ـ وهناك اسباب عميقة تؤدي ان تحققت الى احداث الثورات او الانقلابات : وهي جمود التقاليد والعقائد الراسخة وعدم تكيفها حسب مقتضيات التطور .

ح ـ الاستياء من الحكومة وعهدها ، من الاوضاع القانونية وعدم صلاحها ، الامل عن طريق الثورة او الانقلاب بتحسين هذه الاوضاع . تصوير غاية يسعى اليها رجال الثورة واتباعهم او رجال الانقلاب واتباعهم . التنظيم الثوري : فالتنظيم الثوري اثره في احداث وانجاح الثورة اما اثر هذا التنظيم في احداث الانقلاب العسكري فلا لزوم له لان قادة الجيش الذين يقومون بالانقلاب يجدون القوة بيدهم والتنظيم العسكري كافيا لاحداث الانقلاب فلايسعون الى مزاوجة هذا التنظيم العسكري

بتنظيم ثوري اخر من اجل احداث الانقلاب .

ط ـ وجود زعيم قوي راغب بالثورة او الانقلاب يسيطر على الجماهير او على قسم من رجال الحكومة ويقودها اثناء الثورة او الانقلاب المدني والا فتذهب المساعي ادراج الرياح اولا تولد الثورة بتاتا.

اما الانقلاب العسكري فلا يحتاج على الغالب لمثل هذا الزعيم لان قائد الانقلاب يحل محله .

ي ـ الظروف المؤاتية : فكارثة فلسطين مثلا ظرف مهد لتقبل انقلاب حسني الزعيم الذي صفق له بالبداية كل الشعب تقريبا والاحوال الاقتصادية والمالية في عهد لويس السادس عشر بفرنسا مهدت لتقبل ثورة عام ١٧٨٩

وسكوت شيانج كاي تشيك على غزو اليابان للصين طمعا في ان تتقاتل مع الشيوعيين مهد لاعتقاله المؤقت واضعافه ولانتشار الشيوعية بالصين واخيرا هبت الثورة الشيوعية بعد الحرب الاخيرة فذهبت بشيانج وحكومته .

ك ـ ومن الاسباب العميقة جدا والجوهرية لاعلان الثورة : عدم ملاءمة النظام الاقتصادي لدرجة تطور المجتمع ، بحيث يشعر المواطن بانه سابق بكثير لهذا النظام فيسعى لتحطيمه بالانقلاب او الثورة اذا لم يتمكن من تبديله بالطرق المشروعة .

ل ـ الى اخره .. الى اخره ...

م ـ وقد تحدث الثورة بشكل رجعي تخرج به على الجديد وقد تكون قوية فيكون سببها الجوهري خوف الطبقة القديمة الثائرة ، على مصالحها وعقائدها ومفاهيمها وسائر اوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

لنتساءل الان : هل يتأهب العالم العربي الى ثورة شعبية ؟ بعد ما تأهب وتحقق به انقلابات عديدة ؟ نعم ، ولكن لم تتحقق شروطها بعد ولن تندلع الثورة في القريب العاجل. ان هناك كثيرا من الاسباب التي ذكرناها والتي لم نذكرها، آخـــذة بالنمو وفي المستقبل سوف تشتعل النار الموجودة الان تحت الرماد فهل يقلع رجال السياسة والحكومات في بلاد العرب عن انانيتهم ، ويسيرون الى المجد متحدين ؟؟؟

انهـــم يهيئون الظروف المؤاتية للثورات « والانقـــلابات » بتصرفاتهم ، ويهيئون عقول بعض العامة عن غير قصد الى تقبـــل الحـــكم الدكتاتوري او العسكري هربا من مهاتراتهم ومنازعاتهم، وتصرفاتهم وانانياتهم وتكتيكهم القديم اننا نمر كما يمر العالم باسره بطور انتقالي فهل يقلع الحكام عن اساليبهم الـــتي تجعلنا نتذكر اساليب عهد فاروق بمصر ، وعهد شكري القوتلي بسوريا ؟ فلينتبهوا

الفصل السابع : شخصيات الثورات والانقلابات :

نقصد بكلمة شخصيات هنا كلمـة زعماء . يقول لوبون « ان روح الجماعة اللاشعوريه ترتبط بروح زعيمها الشاعرة فهو الذي يمنحها ارادة واحدة ويلزمها بالطاعة المطلقة » لاتستطيع الثورة ، « ولا الانقلاب » ، ان تنجح بدون زعيم ، ويذهبان ادراج الرياح مهما كانا عنيفين فهذه الحركات تقتضي قائدا يوجهها ويأمرها ويؤثر بها باسلوب يدعـــوه كوستاف « التلقين » ، ويحتاج الزعيم ليتمكن من القيـــام بمهمته بصفات الزعامة ، كالاخلاق العالية ، والبلاغة في التعبير . والقـــدرة على التأثير في الجماعات . ويقول لوبون : « ان نجاحه يتوقـــف على طريقة تلقينه »

وعندما تتوفر بالزعيم هذه الصفات نرى الجماعة الثورية او الانقلابية تطيعه الى حد بعيد والى آخره ...

ويعمل الزعيم غالبا بالخفاء في بادىء الامر . - لننتقل الان الى البحث في الاشخاص الذين قاموا بسوريا ومصر بالثورات والانقلابات:

سوريا : اننا نلاحظ في تاريخ النضال الثوري السوري من اجل الحرية والاستقلال اثناء الانتداب زعماء توفرت بهم صفات الزعامة امثال : هنانو ، هاشم الاتاسي ؛ يوسف العظمة،فوزي القزي ، عبد الرحمن شهبندر ، سعادة ، الى آخره ..

من هم الاشخاص الذين قاموا بالانقلابات في سوريا :

انهم بلا شك لا يستحقون ان نبحث باخلاقهم بالتفصيل ، وعليه سنبحث عنهم بالشكل العام :

فحسني الزعيم ، واديب الشيشكلي (وعدد آخر) عاشوا في ثلاثة عهود : الدولة العثمانية ، والدولة الفرنسية ؛ والدولة السورية المستقلة ؛ وهم من المرتزقين بجميع الجيوش التي خدموا بها فبعضهم خدم بالجيش العثماني ، والجيش الفرنسي والجيش السوري وهم من الاميين تقريبا وليس باستطاعتهم ادارة قرية صغيرة كما يجب ان تدار ؛ ولقد قاموا بانقلاباتهم الغير الشرعية التي قد تؤلف فوضى في ذاكرة الجيش التاريخية فيقوم ابناؤنا بالمستقبل ويعيدون الكرة، فيهزون البلاد ويهدمونها .

الحياة الاجتماعية تقتضي السير على قواعد واصول وقوانين وانظمة وعرف، ومنصة الحكم لها باب شرعي وتشبه القصر الذي له باب معين للدخول ولا يجوز

لقاصد القصر ان يدخله من النافذة بتاتا وحتى ولا من الباب بدون استئذان من مالكه الشرعي ومالك منصة الحكم هو الشعب مصدر السلطات ، وقد التجأ ايزنهاور الجنرال الاميركي الى ارادة الشعب حينما اراد الوصول الى هذه المنصة فدخلها من الباب الشرعي .

وهؤلاء الانقلابيون هم نكرات وهم لايعملون الا لجيوبهم الخاصة وراحتهم وزهوهم ولا يصلحون لشيء وماضيهم الخاص اسود غير اخلاقي ، ونحترس عن ذكره حتى لايتشوه كتابنا ، وكذلك من هم الاشخاص الذين قاموا بانقلاب مصر؟

انهم نكرات ؛ كزملائهم السوريين ولم نسمع بصوتهم منذ خلقنا حتى تاريخ انقلابهم الاسود . وبما انهم يشبهون زملاءهم طغاة الانقلابات السورية الى حد بعيد فاننا نكتفي بهذه الاشارة عن الحديث عنهم .

الفصل الثامن : نتائج الثورات والانقلابات :

المقطع الاول : نتائج الثورات

القطعة الاولى : نتائج الثورات السياسية : آ – النتائج الخاصة :

١ – الفئة او الحزب المتغلب يسعى لتنظيم المجتمع حسب مقتضيات مصالحه .

٢ – فان كان رجعيا فانه يعيد بناء ماتقوض من المجتمع القديم وان كان مجددا فانه يحطم من مابقي من هذا المجتمع القديم مالا يستسيغه او يتطرف فيحطم كل شيء من تراث الماضي فيكون انقلابه هذا انقلابا اجتماعيا عاما شاملا

٣ – يضطهد المغلوبين .

ب – نتائج الثورات السياسية عموما :

اكثر الثورات تقوم لتغيير رجال الحكومه ، او الملك ، او الملكة ، او

الوصي اوماشا كل ذلك .

القطعة الثانية : نتائج الثورات الدينية وآثرها :

وينتج عنها غالبا انقلابات اجتماعية اعظم بكثير من الانقلابات الاجتماعية الناتجة احيانا عن الثورات السياسية وهي قسمان :

١ - النتائج الحسنة : آ - تهذيب الناس وتقويم نفوسهم ، وتوحيد الشعب ادبيا (وحدة ادبية) وايجاد التجانس .

ب - تبديل العواطف الثابتة نوعا ما ، بالامة (ثورة المسيحية على الوثنية في عهد الرومان) .

ج - تأثيرها في التاريخ ، في سير الحضارة واثرت المسيحية الفي سنة ، واثر الاسلام الفا واربع مئة سنة تقريبا ،.

د - واثرت بعض الاديان الهندية - الصينية اكثر من ذلك .

٢ - النتائج السيئة :

آ - وضع الرحمة والشفقة والتسامح جانبا والجهاد من اجل افناء المغلوبين على امرهم عن بكرة ابيهم (ثورة الاصلاح الديني) وثورة الكاثوليكية على الاصلاح الديني ،

ب - التسامح يكون ضئيلا او معدوما اذا كانت المعتقدات قوية في الامة والامم المتعددة الآلهة ذوات الارباب المتعددة ، والامم ذوات الفرق الدينية المتعددة والامم ذوات الاديان المتعددة كانت في الماضي وهي في الحاضر ضعيفة وهي متسامحة الى حدما كالامم المشركة في التاريخ القديم وكالانكليز والاميركان في العصور الأخيرة

المقطع الثاني : نتائج الانقلابات :

ونذكر هنا بصورة خاصة بعض ماتنتج من الانقلابات السورية والاثر الذي احدثته :

١ — فمن النتائج التي حدثت بسوريا وتحدث الان بمصر تنازع الضباط الكبار بين بعضهم البعض .

٢ — سيطرة طبقة الجند وحكم البلاد حكما عسكريا دكتاتوريا كاد ان يأتي عليها ، اذ اوقف تطور الامة ، واقام حكما استبداديا دائما ، وخنق الحريات ، وضيق نطاق التعليم والى آخره ... والى آخره ... وكل طابع دمقراطي نيابي دستوري يقوم به رجال الانقلاب العسكري هو محض مورفين لتخدير الشعب فهم لم يحكموا الا حكما دكتاتوريا .

٣ — زهو زعماء الانقلابات ومرضهم النفساني بالكبرياء وحب العظمة والاطراء والى آخره ... واحيانا شعورهم بانهم رسل الانسانية مع انهم رسل الضلال .

٤ — ولقد اثرت الانقلابات في نفوس قسم كبير من السذج : قالت ام لجارة تحادثها بامر ولدها : انني سوف ارسله الى الجندية بعد نيله الشهادة الثانوية حيث يكون له مركز وشنآن ، وسوف يحدث انقلابا ويصير زعيم البلاد .

٥ — ولقد ساعد تأثير الانقلابات والحكم العسكري على فقدان الشعب ثقته بنفسه ويأسه ونفاذ حيويته وضعف رابطته ، ومن هنا لايذكر تلك الحيوية والرابطة والثقة التي كانت تغمر العالم العربي ايام الانتداب ايام كان يناضل من اجل الحرية فهل تعود قوة هذا العالم الى ما كانت عليه من قبل ؟

والحقيقة ان التدخل العسكري قد اضعف مع غيره من العوامل الشعور العام والشعور القومي جدا جدا . ونتذكر ذاك الشعور وتلك القوة التي كانت فينا ايام الانتداب ، ولقد كاد اليأس ان يعم : فلا اكتراث لدى الكثير بالمصالح العامة ، ولا موجه للنفوس على الغالب الا الجشع ، ولا بالنفوس الا الضعف ،

ونذكر هنا بصورة خاصة بعض مانتج من الانقلابات السورية والاثر الذي احدثته :

١ ـ فمن النتائج التي حدثت بسوريا وتحدث الان بمصر تنازع الضباط الكبار بين بعضهم البعض .

٢ ـ سيطرة طبقة الجند وحكم البلاد حكما عسكريا دكتاتوريا كادان يأتي عليها ، اذ اوقف تطور الامة ، واقام حكما استبداديا دائما ، وخنق الحريات ، وضيق نطاق التعليم والى آخره ... والى آخره ... وكل طابع دمقراطي نيابي دستوري يقوم به رجال الانقلاب العسكري هو محض مورفين لتخدير الشعب فهم لم يحكموا الا حكما دكتاتوريا .

٣ ـ زهو زعماء الانقلابات ومرضهم النفساني بالكبرياء وحب العظمة والاطراء والى آخره ... واحيانا شعورهم بانهم رسل الانسانية مع انهم رسل الضلال .

٤ ـ ولقد اثرت الانقلابات في نفوس قسم كبير من السذج : قالت ام لجارة تحادثها بامر ولدها : انني سوف ارسله الى الجندية بعد نيله الشهادة الثانوية حيث يكون له مركز وشنآن ، وسوف يحدث انقلابا ويصير زعيم البلاد .

٥ ـ ولقد ساعد تأثير الانقلابات والحكم العسكري على فقدان الشعب ثقته بنفسه ويأسه ونفاذ حيويته وضعف رابطته ، ومن هنا لايذكر تلك الحيوية والرابطة والثقة التي كانت تغمر العالم العربي ايام الانتداب ايام كان يناضل من اجل الحرية فهل تعود قوة هذا العالم الى ما كانت عليه من قبل ؟

والحقيقة ان التدخل العسكري قد اضعف مع غيره من العوامل الشعور العام والشعور القومي جدا جدا . ء تذكر ذاك الشعور وتلك القوة التي كانت فينا ايام الانتداب ، ولقد كاد اليأس ان يعم : فلا اكتراث لدى الكثير بالمصالح العامة ، ولا موجه للنفوس على الغالب الا الجشع ، ولا بالنفوس الا الضعف ،

ولا امل بنهضة البلاد الا كبصيص يكاد لا يرى بالمجهر ، ولقد عم التذبذب والتقلب حتى كادت الامة تفقد هويتها فلقد بدأ يتقلب حتى بعض الزعماء، ويتاجرون بالمبادىء ، وبدأت النفوس تستثمر العهود الغير الشرعية بشراهة كأن هناك فرصة يجب اغتنامها ولقد لقيت النكرات اذنا صاغية لدى الحكم العسكري الغاشم الضعيف مدنيا ، و كثر الانتهازيون ساعين لتأمين مصالحهم وراحوا يشرطون للسير مع العهد العسكري الحظوة بالوظيفة ، والعمل ، وتأييد المشروع الفلاني، او نيل الوزارة او المركز المعين و .. و .. و .. وهناك آثار اخرى . — الى آخره .. الى آخره ...

« وزاد البلاطينا» تأليف الشيشكلي لحركة التحرير المزعومة وهي احدى شعوزاته فقويت الانتهازية و كثر المستثمرون الانتهازيون الذين تنكروا لمن خدموا البلاد اكثر من الجميع وساهموا في نشر حرياتها واذاع الشيشكلي واذنابه في كل بلد عن جبل الدروز اخبارا كلها كذب وبهتان وجعلوا يصبغونه بصابغ الخيانة والعصيان ، بينما انه من اقدس الاراضي في سورية واول من هاجم « بعد الطلاب السوريين» طاغية البلاد وصفحتها السوداء . « انتهى القسم التاسع»

ملحق بالقسم التاسع وهو :

موقف الشعب « ١ » والاحزاب من الانقلابات العسكرية في العالم العربي :

لابد لنا هنا من ذكر موقف الشعبين السوري والمصري وموقف الاحزاب من الانقلابات .

أ ـ ب ـ : ان موقف الشعب السوري من انقلاب حسني الزعيم يشبه الى حد بعيد موقف الشعب المصري من انقلاب محمد نجيب ، ففي بادىء الامر ايد الشعب السوري « على العموم » انقلاب حسني الزعيم وايدته ايضا بعض الاحزاب ثم لم تلبث ان بدأت الجموع الشعبية تعلن استنكارها لحكم الطاغية واعماله

« ١ » لاتزال اكثرية الشعب السوري حتى اليوم غير متحزبة كاكثر بلاد العالم

وكذلك في مصر ، فلقد ايد الشعب المصري «على العموم» انقلاب محمد نجيب بادىء الامر ثم لم تلبث ان ابتدأت روح المعارضة والتنكر تدب بالشعب المصري.

اما في الانقلابات السورية التالية فقد كان الشعب السوري يسكت بادىء الامر ثم ينقسم على نفسه : فئة تحطى وفئة لاتحظى ، فئة تؤيد وفئة لاتؤيد العهد القائم وقد كان الامر كذلك تقريبا ايضا بعد مـــدة من حكم الطاغية حسني الزعيم .

ت ـ موقف الاحزاب السياسية في سوريا من الانقلابات :

«١» الحزب الوطني : ان اول حزب وقف وقفة شريفة ، فقاطع كل العهود الغير الشرعية هو الحزب الوطني ، ومع انه هو الذي اساء في سياسته الداخلية في عهد السيد شكري القوتلي فساعد على تهيئة الجو لحدوث الانقلابات السود الا اننا نلاحظ انه كان الحزب الوحيد الذي شعر بخطر الانقلابات فحرص في جميع المراحل على عدم الاتصال برجالها ولما حدث انقلاب الحناوي رأينا حزب الشعب يوافق على استلام الحكم .

فجاء السيد هاشم الاتاسي وتسلم مقاليد الحكم الفعلي وقام بدور انتقالي واعيدت على يده الحياة الدستورية دون ان يشترك بها الوطنيون . ويظهر ان الحزبين انئذ لم يكونا متفقين واظن ان سبب الخلاف كان في تمسك الوطنيين بعودة الحكم الشرعي ولو بصورة موقتة ، لا باقامة حكومة فعلية ، جديدة تقوم بالدور الانتقالي كما حدث ، واظن ان الخلاف ايضا كان في فكرة تصفية عهد حسني الزعيم او عدم تصفيته . وعلى كل حال فلقد كان يجب على الاقل تصفية عهد حسني الزعيم تصفية تامة حتى لاتتكرر مثل هذه المآسي ، ولو تصفت اوضاع حكومة حسني الزعيم على يد الحكومة الموقتة التي ترأسها السيد هاشم انئذ وعلى يد المجلس التأسيسي ـ النيابي فيما بعد لكانت تلك التصفية ربما كفتنا شر الانقلابات لهذا

كله ارى ان الحزب الوطني هو اول حزب وقف موقفا نبيلا من جميع الانقلابات فقاطع زعماءها ورجالها وفصل عن نفسه كل عضو فاسد .

٢ - حزب الشعب : ولقد قاطع حزب الشعب جميع العهود الانقلابية ايضا منذ البدء رغم عدوانه للحزب المغدور ، الحزب الوطني الذي اتى عليه انقلاب حسني الزعيم . فاثبت حزب الشعب بذلك شيئين :

آ - تفضيل المصلحة العامة على المصلحة الخاصة (طبعا في اطار قضية الانقلاب فقط) .

ب - عداوة شريفة للحزب الوطني ، فهو لم يأنه من الوراء ولم يتعاون مع من بطشوا فيه ، الا اننا نعيب على حزب الشعب عدم قيامه بتصفية عهد حسني الزعيم عندما تسلم الحزب المذكور الحكم الفعلي برئاسة السيد هاشم الاتاسي ، في بادئ الامر ثم الحكم الشرعي الذي نتج عنه دستور عام ١٩٥٠

٣ - الحزب الشيوعي : الحزب الشيوعي تاريخ نضال في جميع انحاء العالم ضد كل عهد دكتاتوري او عسكري ، ولقد اثبت في جميع المراحل الدقيقة التي مرت بها سوريا انه لايقبل الا بحكم الشعب واضطهدته دون جدوى جميع الحكومات الانقلابية .

انما نعيب عليه خطأه الطريقي فقط (لا الفاني) في محاولته الاشتراك بانتخابات الغادر الشيشكلي المزيفة (غاية الحزب من الاشتراك ليست التعاون مع الشيشكلي بل فضحه وفضح مؤامراته وتوجيه الشعب وقيادته)

٤ - الحزب العربي الاشتراكي ، وحزب البعث العربي ، قبل تاريخ توحيدهما وبعده : (سترى في هذه السطور رأيا غريبا للمؤلف ثم لاتلبث بعد اندهاشك ان تعود فتطمئن الى رأينا بعد مانوضحه لك):

ان هذين الحزبين حاولا الاصطياد في الماء العكر ، ولم يحاربا العهود الغير الشرعية الا بعد ما قطعا الامل من استلام الحكم عن طريق الجيش بـــل بعد ما طمع رجالات الانقلابات السابقة بالحكم لهم وحدهم .

فتأمل ، بين حزب الشعب والحزب الوطني الذين تعففا فلم يقبلا الحـكم من سلطة غير شرعية ، وحارباها ، وبين الحزب العربي الاشتراكي وحزب البعث الذين حاولا التعاون ، واستثمار الانقلابات العسكرية والاتيان على الحزبـــين الاولين من الوراء .

ليس لهذين الحزبين الاشتراكيين فضل في محاربة العهود الغير الشرعية لانهما لم يكونا مخيرين بل ملزمين في اعلان المعارضة ضد هذه العهود . ذلك لان هذه العهود نفسها لم تقبلهما واضطهدتهما .

ويحاول اليوم هذان الحزبان اللذان توحدا حديثا، ان يظهرا بمظهر المناضل في سبيل عودة الحـكم الشرعي وبمظهـر المثالي الذي يناضل لا لاستلام الحكم بل لمجرد فكرة يعتنقها .

نقول لاركان هذين الحزبين انهم لايناضلون من اجل فكرة يعتنقونها بل من اجل كرسي يتوقون اليه . ولولا مصلحة البلاد تقضي بان نحرص على بعض الاسرار لكنا شرحنا في هذا الكتاب التكتيك الدبلوماسي الشريف الغاية لحزب الشعب والحزب الوطني حين الغا الوزارة الاخيرة . -

ومن المظاهر المسرحية التي ظهر بها الحزبان الاشتراكيان، المتوحدان حديثا تحت اسم حزب البعث العربي الاشتراكي جوابات السيد صلاح البيطـــار على اسئلة وجهها اليه مراسل جريدة (الجريدة) اللبنانيـة . فلقـد نشرت الجريدة

المذكورة هذه الاجوبة في عددها ذي الرقم «٣٥٧» المؤرخ في ١٠ اذار ١٩٥٤ واليكها:

س - ماهي الاسباب التي دعت حزب البعث العربي الاشتراكي الى عدم الاشتراك في الوزارة الائتلافية وهل لازلتم من مؤيدي قرارات مؤتمر حمص وما هي مطاليبكم بعد زوال حكم الشيشكلي؟

قال الاستاذ بيطار: قبل البدء في الاجابة على هذه الاسئلة لابد لي من ابداء الملاحظات الاتية:

١ - ان حزبنا ليس حزب حكم مثل الاحزاب السياسية الاخرى، بمعنى انه يرى ان التغييرات الاساسية التي تتطلبها احوال البلاد لا يمكن ان تأتي من فوق ومن الحكومة، بل ان حزبنا حزب شعبي نضالي يرى في نضاله وفي اشراك الشعب بهذا النضال الطريق المثلى التي تضع الاساس الصحيح للحكم الشعبي.

٢ - هذا بصورة عامة، ولكن قد تأتي فترة استثنائية مثل فترتنا هذه ليقطع بها حبل الحكم الماضي ويوضع فيها اساس الحكم المقبل، ان فترة من هذا النوع لا يمكن ان يمر بها حزبنا مر الكرام بل يعتبرها فترة تاريخية؛ لا لانه يريد تحقيق اهدافه الاشتراكية بل لان الشعب يتطلب فيها وضع حد للعدوان المتكرر على الحكم الدمقراطي الشعبي الصحيح، هذا الحكم الذي يمثل حزبنا والفئات المناضلة ماتحمل في سبيل الدفاع عنه، حتى تمكنا بفضل هذا النضال من القضاء على ديكتاتورية الشيشكلي الغاشمة.

٣ - ان الشعب يتطلب في هذه المرحلة وضع اساس للحكم الديمقراطي الشعبي في المستقبل وحزبنا لايستطيع ان يتخلى عن طلب الشعب هذا وقد لخصنا هذا الطلب بنقطتين فقط:

اولاهما - اعطاء درس قاس وعادل للذين اغتصبوا الحكم وآزروا المغتصب

الاول اديب الشيشكلي في اغتصابه هذا فتعاونوا معه في الحكم والسياسة والادارة والدعاية واودوا بالبلاد الى الانهيار . فانزال العقاب بهؤلاء يكون درسا لكل من تسول له نفسه في المستقبل الخروج على ارادة الشعب وان سياسة « عفى الله عما مضى » قد ولت وان وراء كل اعتداء على القدسيات قصاصا شديدا .

وثانيهما – وضع الاساس الديمقراطي للحكم المقبل اي تهيئة الظروف والوسائل التي لاتضمن فقط ممارسة الشعب لحرياته ولاسيما حرية الانتخابات ، بل تمكنه عمليا من ممارسة هذه الحريات ، وذلك بوضع قانون انتخابات ديمقراطي تقدمي يجعل الاداة التي تشرف على الانتخابات نزيهة بعيدة عن التأثر بنفوذ السلطات والمال وبتأمين حرية الانتخاب الذي لاحرية فيه الا بسريته .

٤ – وكان تقديرنا للموقف ان تنفيذ اماني الشعب في هذه المرحلة لايمكن ان يتم الا بتضامن الهيئات السياسية الثلاث سواء ادخلت هذه الهيئات كلها في الحكم او دخل قسم منها شريطة تأييد الهيئة التي بقيت خارج الحكم للهيئات التي اشتركت فيه .

هذه هي النظرة التي دافع عنها الحزب في اجتماعات مؤتمر حمص : تحقيق اماني الشعب في هذه الفترة وتضامن الهيئات الثلاث حتى تتمكن من تحقيقها .

وقد كان الحزب يتمنى على الحزبين الاخرين ان يسند الحكم ودون الدخول فيه ولما تعذر ذلك قبل الحزب الاشتراك على اساس مطالبه تلك . ومن الطبيعي ان يكون جو الاجتماع جو تضامن وتعاون وتشاور للوصول الى تشكيل حكومة قوية من الاحزاب الثلاثة تتألف من اقوى العناصر في هذه الاحزاب ولكننا ما ان قبلنا مبدأ الاشتراك في الحكم مع الحزبين « الوطني والشعب » حتى فوجئنا من احدهما بقرار غير مبدئي انفردا في اتخاذه وارادا فرضه فرضا ،

وجدنا في هذا الفرض بادرة سيئة تبطل كل تعاون في الحكم وبالتالي كل امل في تنفيذ المقررات التي اتفق على خطوطها الكبرى ، كذلك فان قبول الحزبين الاخرين تشكيل الوزارة من دون حزبنا ومفاجأة الشعب بهذه الوزارة التي تشكلت ، قد اكد لنا عدم ميل وقدرة الحكومة على تنفيذ تلك المطالب .

ومن الطبيعي ان حزبنا لايستطيع ان يؤيد حكومة تشكلت بدونه ومن دون رأيه وانه يحكم منذ اليوم على عجزها في تنفيذ المطالب ، وما دمنا قد علقنا امر تنفيذ هذه المطالب ،على تضامن الاحزاب الثلاثة ، كما انه من الطبيعي ايضا ان نعارض هذه الحكومة التي اخلت بمبدأ التضامن والتي تحاول بهذا الاخلال وضع اساس صحيح للحكم المقبل .

والخلاصة : لقد تكررت لعبة الحكم في سوريا والبلاد العربية كلما جاء ظرف موآت لاقامة حكم شعبي ديمقراطي ، ان هذه اللعبة تبدأ بتزييف الحكم الديمقراطي وباجراء انتخابات صورية لاتعبر عن ارادة الشعب بشيء ولا ترضي النزعة التقدمية الديمقراطية الصادقة في الشعب ، وينتج عن ذلك انفتاح ازمة الحكم ونضال جديد في سبيل تصحيح الحكم وضياع من الوقت كان يمكن ان يصرف للعمل الايجابي وفائدة للاستعمار من جراء العمل السلبي الذي استتبعه تشكيل حكومة من النوع الذي شكلت عليه اليوم .

ان حزبنا مازال يرى فرصة مؤاتية لتصحيح الموقف وتضامن الاحزاب الثلاثة في هذه الفترة التاريخية

فتأمل في هذا الرياء !! حزب يتظاهر كما ترى بعدم الاهتمام بكرسي الحكم، وبالمثالية والبراءة والتنكر لحكم الطغاة والرغبة في محاكمتهم ومحاكمة من ناصروهم وهو بالحقيقة يجب ان يتحاكم قبل كل الاحزاب والفئات فبأي عين ينظر الى الاحزاب البريئة ويريد ان يضع نفسه معها ، وباي نفس يتجرأ ويقول نطالب التصفية للعهود الغير الشرعية ؟

نعم التصفية هذه لازمة ولكن يجب على هذا الحزب ان لايسمح لنفسه بلفظ هذه الكلمة لان التصفية سوف تناله ! باي وجه يطلب التصفية وهو الحزب الذي كان يبغي في بادىء الامر التآمر مع الطغاة على استلام الحكم بل على الاستفادة من الحكم العسكري ، ولما لم يحظ بما يرغب ولما استحال امر تعاونه مع رجال الانقلابات لطمع هؤلاء بالاستئثار وحدهم بالحكم راح يعلن الحرب على الطغاة لا لانهم طغاة ، ولا لانهم غير شرعيين ولا لشيء الا لانهم لم يعطوه شيئا من الغنائم التي سلبوها .

ان هذا الحزب (وامثاله) لايصلح لادارة مزرعة في سوريا فلماذا يوهم نفسه ويقدر حاله باكثر مما هو ؟؟ انه لايدري ما معنى احترام الدستور والقانون طالما ثبت امكانية تعاونه مع الطغاة ، وان في استتباب حكم الطغاة لذلة للقانون وامتهانا لكرامة الدستور ؛ واحتقارا للشعب باسره ، الشعب الذي وضع شريعة المجتمع !!! « نكتفي الى هذا الحد بالبحث عن هذا الحزب الاشتراكي بل هذا الحزب الذي يدعي الاشتراكية وهي بريئة منه براءة الذئب من دم ابن يعقوب »

٥ - حزب الاخوان المسلمين : ان هذا الحزب وقف على العموم وقفة مرضية .

٦ - الحزب الاشتراكي التعاوني : وكذلك نرى رئيس هذا الحزب رغم ذلاته يقف معارضا حسني الزعيم ، الذي سجنه وعذبه منذ البدء . دون ان يطاطيء له رأسا فدل بذلك على احترامه لبلاده ، ولدستورها . الذي ان لم يكن مفدى ، فيجب ان يكون دوما مفدى ، ومن الان وصاعدا محترما مهابا .

٧ - الحزب القومي السوري : نأخذ عليه محاولته في بادىء الامر التعاون مع

الحكم العسكري واستمراره ونلاحظ ان الحزب القومي بقيت معارضته بسيطة حتى في آخر عهد الحكم العسكري، رغم كل الخيانات التي ظهرت من الطاغية الشيشكلي نحو هذا الحزب بصورة خاصة ونعيب على هـذا الحزب بصورة خاصـة ايضـا اشتراكه بالانتخابات المزيفة التي اجراها الطاغية اديب الشيشكلي فهذا الاشتراك يعتبر من قبل من يقومون به اعترافا على شرعية عهد الطغاة الغير الشرعي .

ث ـ الاحزاب المصرية : يظهر ان الوفديين ، والسعديين ، والاخـوان المسلمين ، وسائر الاحزاب والاندية والجمعيات السياسية بمصر كانت تتقبل انقلاب محمد نجيب واخراج فاروق من الحكم والبلاد ، والى آخره .. ولكن على شرط واحد وهو تسليم حكم البلاد الى الشعب ، ولكن ظهر فيما بعـد ان السلطة العسكرية ترغب بالاستئثار بالحكم وجعل نظامه عسكريا بحتا ، الامر الذي الب مصر من اقصاها الى اقصاها ضد الحكم العسكري وانصاره واصبحت الحالة في مصر ، شبيهة بالحالة في سوريا اثناء حكم الطغاة : حكم عسكري جائر ، وشعب منقسم الى قسمين : قسم يؤيد الحكم العسكري تأمينا لمركزه او مصالحه وقسم ، يعارض واكثر الاحزاب المصرية بجانب القسم الثاني ، وقد هبت منذ مدة نار المظاهرات في شوارع مصر ، والاسكندرية تطلب اقامة حكم شعبي شرعي مدني؛ ووعدت محكمة الثورة (وهي بالحقيقة بعيدة عن الثورة بعد السماء عن الارض) ببعض الوعود ، ولكن تبين كذبها بعد عدة ايام فلقد سحبت وعودها ولم تنفذها . ـ والنار اليوم في مصر تحت الرماد ، وان غداً لناظره قريب . ـ

القسم العاشر

الحكم العسكري والحكم المدني والحكم الدكتاتوري

تمر الامة بمرحلة تستقر بها الاوضاع ، زمنا طويلا احيانا،وتمر بفترة تكون الامة بها غير مستقرة و كانها في حالة غليان وتمر احيانا بفترة لا أثر بها للحكومة ويطابق كل حالة من هذه الحالات الثلاث نوع من انظمة الحكم السياسية :

المقطع الاول : الحكم المدني :

وهو الحكم الذي لاتتدخل به السلطة العسكرية بتاتا انه الحكم المألوف المادي ولا فرق ان يكون نظام الحكم نظاما ملكيا مطلقا او دستوريا او نظاما جمهوريا والى آخره .. فيكفي ان تكون الطبقة الحاكمة جماعة من المدنيين لاتؤثر عليهم السلطة العسكرية بتاتا ويسود هذا الحكم على الغالب حينما تكون الامة مستقرة ليس فيها اضطراب وهو الحكم الشرعي لدى جميع الدول الحقوقيه على الاطلاق،لدي جميع الدول التي تستحق هذا الاسم . والجيش في الدولة الحقوقية اليوم يعني جهازا حكوميا غايته على العموم حماية البلاد من التعديات الخارجية وحفظ حقوقه الخارجية ووظيفته محدودة بهذه الغاية ولا يحق له التدخل بالشؤون الداخلية بتاتا الا بناء على طلب السلطة المدنية لحفظ الامن الداخلي حينما تكون سلطة الشرطة والدرك عاجزة عن حفظ الامن المذكور .

فهنالك اختصاص في اجهزة الحكومة يجب احترامه حتى ترتقي ماديا وبالتالي حتى ترتقي الدولة ماديا فالاختصاص شرط من شروط الرقي المادي في علم الحياة والانسان الذي هو ارقى الحيوانات يسود الاختصاص حياته العضوية ، الا ترى للعين وظيفة النظر، وللاسنان وظيفة المضغ،والى آخره. ونلاحظ ان لكل موضع في التلافيف الدماغية او النخاع الشوكي للانسان وظيفة معينة تقريبا فهناك مراكز للضحك ، وهناك مراكز للبكاء ، وهناك مراكز لتقدير الابعاد، والى آخره .. والى آخره ..

واذا قلنا ان الحيوان الوحيد الخلية هو احط الحيوانات ماديا فذلك لان حياته العضوية لا يسودها الاختصاص بتاتا ، فلا اجهزة فيه ولا اعضاء فيه ولا الياف وكل مايتركب منه هو خلية واحدة تأكل وتشرب وتهضم وتتنفس وتمتاد وتتصرف والى آخره ..

والاختصاص دليل من دلائل الرقي المادي ليس فحسب بالحياة العضوية بل بالحياة الاجتماعية فانت ترى ماتحتويه مخازن القرى وما يصنعون بها : فالتاجر فيها هو بآن واحد احيانا بائع سكر وبائع مقصات وبائع فؤوس وبائع خبز وبائع فواكه وبائع امواس والى آخره ..

والحلاق فيها قد يكون نجارا او حدادا والى آخره ..

اما المدينة المتوسطة فلا ترى فيها شيئا من ذلك وقد تنطلق الى مدينة كبرى كباريس فترى فيها الاختصاص في بعض الامكنة بالغا نهايته العظمى ففي باريس ترى مثلا مخزنا كبيرا من اعظم مخازنها بل من اعظم مخازن العالم وفيه عدة موظفين الا انك لا ترى به الا الدبابيس فهو لا يبيع سواها ويظهر الاختصاص ايضا بالصناعة والتجارة ، والعلوم والزراعة ، وكل شيء حتى الفنون : فاذا اراد الموسيقي ان يكون عازفا على الكمان ، ومغنيا وعازفا على البيان وعازفا على العود والى آخره ... فانه لن يجيد شيئا وسوف تبقى معلوماته ضئيلة بالنسبة لكل نوع وسوف يبقى منحطا في لعبه على اية آلة مادام لا يريد الاختصاص ؛ ويضيع وقته تارة بهذه وتارة بتيك .

وهكذا اذا لم نشعر بلزوم الاختصاص ؛ فيختص في جسم الدولة كل جهاز بوظيفته ولا يتعداها فسوف تنهار هذه الدولة مثلما انهارت الدولة الرومانية بالتاريخ وسوف لن تقوم لنا قائمة وسوف يذهب مجهودنا ادراج الرياح ان لم يبق

الجيش ضمن وظيفته ، والحكومة ضمن وظيفتها، والشعب ضمن وظيفته . والى آخره .. والى آخره..

نكتفي بهذا الحديث عن الاختصاص الذي يسود الدولة ؛ ومن اراد ان يتفهم علاقة الاختصاص بالتطور والرقي المادي فعليه ان يدرس تطور الدولة بالتاريخ منذ البدء حتى اليوم .

ولكن الاختصاص في اجهزة الدولة لايعني استقلال هذه الاجهزة وفصلها عن بعضها بصورة مطلقة (مبدأ فصل السلطات ، مبدأ فصل الصلاحيات) ، وبالعكس يجب ان يكون هناك صلة بين الحكومة من جهة والجيش وسائر الاجهزة من جهة اخرى، فالدولة تشبه الكائن الحي الى حد بعيد، ولذلك يجب ان ترتبط اجهزة الدولة بما فيها الجيش بادارة مركزية عليا الى حد ما (هي سلطة المجلس النيابي تشريعياً وسلطة الحكومة اداريا وتنفيذيا) والا فلا وحدة بالدولة .

ونذكر من التجارب التاريخية على ضرورة ربط اجهزة السلطات بالسلطة الحكومية العليا المثل التالي :

انه من المعلوم لدى الجميع ان الوزراء هم موظفون سياسيون يطبعون الدولة بسياستهم فيكون للدولة او للحكومة طابع سياسي معين ولا يطلب القانون ،(على العموم) منهم كفاءة علمية لاستلام مناصبهم الوزارية بتاتا. ولما كان الامر والحالة هذه فلقد فكرت فرنسا عام ١٩١٤ بتقسيم ادارة الجيش الى قسمين : ادارة سياسية وادارة استراتيجية وفعلا استلمت الوزارة الادارة السياسية للجيش فقط وابقت الادارة الستراتيجية لسلطة الجيش ولكن التجارب اثناء الحرب اظهرت فساد هذه النظارية فعادت فرنسا اثناء الحرب نفسها وجعلت الادارتين السياسية والستراتيجية بيد الوزارة المدنية ، وهذا يعني ان جيش الجبهة والقيادة العسكرية العامة اثناء الحرب مكلفة بالسير حربيا

وسياسيا وفق اوامر الوزارة .

وليس بامكاننا في هذا الكتاب الصغير ان نبحث على الوجه الاكمل في الحكم المدني ولكن لابد لنا من ذكر شيء من محاسنه وشيء من مساوئه :

آ - من محاسن الحكم المدني اذا كان جمهوريا صحيحا كون كل تطور اجتماعي فيه هو نتيجة لتجارب الامة فيكون هذا التطور والحالة هذه عندما يثبت ويدوم بعد تذبذبه ناتجا عن رغبتها وقناعتها ، فلا تعود الامة الى الوراء بتاتا الا نادراً : ان خطاها التي تخطوها الى الامام تكون شديدة قوية . وفي النظام الجمهوري يكون المجتمع كله في ركب الحضارة فلا غرابة اذن اذا كان بطيء السير الى الامام .

ب - ومن مساوىء الحكم المدني الجمهوري في هذه الايام انه بطيء التنفيذ في كل قضية يريد تقريرها وتنفيذها وهكذا لايصلح كما هو اثناء الحرب فنرى اكثر الدول تكيف نظامها حسب الضرورة والمقتضيات اثناء الحرب فيقترب النظام الجمهوري من النظام المطلق او الواسع الصلاحية في تلك الاونة ويمشي اما ربع الطريق او نصفه احيانا او اكثر متجها نحو نظام الحكم المطلق الصلاحية ولكن ذلك لايدوم على الغالب الا مدة الحرب . واذا دام الامر كذلك فان الحكم يتحول من حكم مدني الى حكم ديكتاتوري او حكم عسكري غاشم : لنأخذ مثلا تاريخيا على ذلك بالدولة الرومانية :

مارست روما مرة في التاريخ القديم الحكم الجمهوري وقد بدأت به عام ٢٤٤ من تأسيس مدينة روما اي عام (٥١٠) قبل المسيح ولما توسعت الدولة الرومانية ، كانت تصبح من وقت لآخر في حالة خطر فتحاول الحكومة ان تكيف حسب مقتضيات الظروف فيجتمع مجلس (السينا) في هذه الحالات الخطرة ويقرر في اكثر الاحيان اعطاء الحكام الجمهوريين الذين يتسمون

بالقناصل السلطات الدكتاتورية او مهمات وصلاحيات واسعة وتنتهي غالبا بممارسة هذه السلطات عندما يزول الخطر المذكور ولكن في نهاية عهد الجمهوريـة الرومانية المذكورة (خلال القرن الاول قبل المسيح) صار البعض يخترقون الاصول والتقاليد المتبعة للوصول للحكم وصار ايضا الحكام (القناصل) في روما يتجاوزون حدود وظيفتهم ويبقون على كرسي الحكم اكثر من المدة القانونية، وكان الحكام المذكورون يرتكزون في قيامهم بهذا العمل الغير الشرعي مستندين لا على الشعب بل على الجيش الذي اصبح منظمة من المحترفين المرتزقين المستعدين لسند قوادهم في انقلاب او ثورة سياسية : ففي هذا العهـــد صار القناصـــل السابقون (١) اقوى من قناصل روما فكانوا كثيرا مايدخلونها كالفاتحين ويحدثون بها الانقلابات ويتسلمون الحكم او يسلمونه لشخص معين : وقوة القـــناصل السابقين في هذا العهد تعود لكونهم قواداً للجيوش الرومانية الموجودة خارج روما فنظرا لانشغال قناصل روما بالامور السياسية ونظرا لاتساع رقعـة الدولة الرومانيـــة فلقـد تركوا قيادة الجيوش في اواخر عهد الجمهورية ، واعطوهـا للقناصل السابقين ، الامر الذي جعل كما قلنا هؤلاء القناصل السابقين اقويـاء جدا ففكروا باحداث الانقلابات المذكورة التي اخذت تتالى ويتبدل بموجبها النظام الجمهوري تدريجيا ؛ واليك خلاصة سلسلة هذه الانقلابات :

١ ـ انقلاب سيللا عام (٨٢) قبل المسيح ، انقلاب بومبـه ، وكراسوس ، وسيزار، عام « ٦٠ » قبل المسيح، انقلاب جول سيزار عام (٤٩) قبل المسيح ، واخيرا

---

(١) القناصل السابقون هم الحكام الذين انتهت مـدة حكمهـم اي قنصليتهم في روما فتمددت في خارج روما واسمهم بالفرنسية : Proconsuls

انقلاب اكتافيوس (المسرحي) عام (٢٧) قبل المسيح الذي تمم عملية تحويل الحكم الجمهوري الى حكم امبراطوري ، وحظي من مجلس (السينا) بلقب (اوكست) (له ولمن يجيئون بعده) « وهو لقب لم يعط قبلا الا للالهة »

وهكذا اتت هذه الانقلابات العسكرية تدريجيا على النظام الجمهوري القنصلي واحلت محله نظام الامبراطورية الرومانية ، وقد عمرت هذه الامبراطورية بالغرب حتى تاريخ سقوطها عام ٤٧٦ على يد الجرمان وعمرت في الشرق حتى عام ١٤٥٣ حيث سقطت عاصمتها القسطنطينية على يد العثمانيين

اما اليوم فنرى اكثر الدول تعطي الحكومات او لرؤسائها صلاحيات واسعة اثناء توقع الخطر ، كالحرب مثلا ، فتمارس هذه الحكومات هذه الصلاحية حتى اذا ما انتهى الحرب ، انتهى معه حق ممارسة هذه الصلاحيات الواسعة (مثل ذلك : حكومة تشرشل في الحرب العالمية الاخيرة ، وحكومة كليمنسو في الحرب العالمية الاولى والى آخره ..)

المقطع الثاني : الحكم الدكتاتوري :

الحكم الدكتاتوري هو حكم الفرد ويسود في الامة غالبا عندما او بعدما تتخبط بالفوضى الداخلية ،

١ - ومن محاسنه سرعة التنفيذ لجميع المشاريع والقضايا التي ترغب الحكومة في تحقيقها ٢ - ومن مساوئه كون الاصلاحات الاجتماعية التي يقوم بها الحاكم الفرد لا ترتكز غالبا على ادراك الامة لها فنرى اكثر هذه الصروح الاصلاحية الاجتماعية التي يقيمها الدكتاتور غالبا تنهار بانهياره ، تسقط بسقوطه كأنها لم تكن . بل نرى احيانا حدوث رد فعل بعد ذهاب الدكتاتور وعودة الى الوراء

ولكن لابد من القول ان الدكتاتورية اخذت في القرن العشرين في بعض الدول طابعا جديدا فقد اصبحت الدكتاتورية دكتاتورية حزب تتجسم

بشخصية زعيمه ، فلقد كان الحكم في المانيا النازية دكتاتوريا والدكتاتورية تجسمت في شخص هتلر ولكن العقل المفكر في المانيا والذي كان يؤثر في جميع مظاهر الحياة الالمانية لم يكن هتلر وحده، بل كان الحزب النازي. فالدكتاتورية الالمانية في القرن العشرين هي دكتاتورية حزب لا دكتاتورية فرد . ، وما نتكلمه عن المانيا ينطبق على ايتالية في عهد موسوليني ، حيث وجد ايضا الحزب الفاشيستي الايتالي والزعيم موسوليني . الا ان اسبانيا تختلف عن هاتين الدولتين فدكتاتوريتها بالحقيقة دون الظواهر هي دكتاتورية فرد لا دكتاتورية حزب.

وقد يكون الحكم الدكتاتوري شرعيا وذلك عندما تسلم الامة قيادتها الى فرد من الافراد او حزب من الاحزاب . في ظروف عصيبة خارجية كحالة الحرب ضد الغزاة او المستعمرين او كحالة النضال من اجل الحرية او ظروف داخلية كحالة الفوضى ، تهدد كيان الدولة وسلامتها ونلاحظ بصورة خاصة ان الحزب الشيوعي يعتبر حالة ويعتبر العالم ايضا بحالة انتقالية تقتضي دكتاتورية الطبقة العاملة ولهذا تسيطر على الشيوعية اليوم الروح الدكتاتورية في روسيا وجميع انحاء العالم وقد تضع الامـــة مصيرها في فلسفة معينة كما كان الحال بالمانيا الهتلرية وكما هو الحال اليوم بروسيا والصين فتتجسم الدكتاتورية في شخص فرد يقود الامة اما الى المجد واما الى الهلاك والفوارق طفيفة بين الحكم الدكتاتوري والحكم العسكري فكل حكم عسكري هو حكم دكتاتوري غاشم غير شرعي مبدئيا ولكن ليس كل حكم دكتاتوري غاشما غير شرعي فلقد قلنا ان الحكم الدكتاتوري يكون شرعيا اذا قررته الامة لاسيما في الظروف الخطيرة العصيبة المذكورة آنفا .

الدكتاتورية في التاريخ :

١ ـ ان دراسة التاريخ تثبت ان النظام الجمهوري الذي حاولت اسبانيا تطبيقه مرتين لم يتوطد وفي الحالتين حل محله النظام الفردي او المطلق .

٢ - وكذلك كان الامر في الجمهورية الرومانية كما ذكرنا سابقا في هذا الكتـــاب ، وكذلك كان الامر في الجمهورية الاولى والثانية في فرنسا وقد ذكرنا ذلك ايضا، الى اخره ... الى اخره. وتمـــر اليوم سوريا وبلاد العرب بمرحلة تاريخية شبيهة بمراحل اسبانيا ، وفرنسا وغيرهما ، التي نشير اليها وسوف يرسخ الحكم الجمهوري في روح سوريا لامحالة - رغم كل هذه الانقلابات العسكرية ؛ فكأن النظام الجمهوري لايثبت من اول مرة ولا يتوطد الا بعد عودة الدكتاتورية عدة مرات ويظهر ان الشعب لا يجيد ممارسته من اول مرة على الغالب ولذلك يتحطم الحكم الجمهوري غالبا في بادىء الامر ويحل محله دكتاتورية عسكرية او دكتاتورية مدنية ولكنه لايلبث ان يعود وقد يروح ويجيء مرارا الى ان يتوطد اخيرا ويثبت ونرى الحكم الجمهوري عندما يثبت ، ترسخ روحه بالشعب فيعود لايستطيع مفارقته واذا تطور المجتمع بعد ذلك فانما يمس التطور اولا اتجاها اقتصاديا او اجتماعيا او سياسيا دون ان يمس النظـــام الجمهوري باذى وبالعكس نراه عندما يؤثر عليـــه تأثيرا ايجابيا يحسن اساليبه فقط.

نكتفي بهذا من البحث بالحكم الدكتاتوري، منتقلين الى الحكم العسكري:

المقطع الثالث : الحكم العسكري :

وهو طغيان السلطة العسكريـــة على السلطة المدنيـــة واستلامها دفة الحكم .

١ - ومن مساوىء هذا الحكم انه يجمع كل مساوىء الحكم الدكتاتوري فقد قلنا ان كل حكم عسكري هو حكم دكتاتوري وبصورة خاصة ان الحكم العسكري لايمكن مبدئيا في اية صورة من الصور ان يكون شرعيا وهو يمرن الضباط على احداث الانقلابات فتراهم يفكـــرون بها من وقت

لاخر ويحاولون اجراءها وتأخذ هذه الانقلابات بالحدوث والتكرار احيانا الى ان تعم الفوضى بالجيش فتجري دماء الجنود ويقتل الضباط وينتهي الامر بالخسارة العظيمة وتكون النتيجة غير محمودة العقبى ولكن قد يتوجد بالجيش بعض الضباط المخلصين الذين يحرصون على دماء الجنود : ويريدون ان ينهوا الحكم العسكري بطريقة من الطرق فيعيدون جنود الامة الى الثكنات ويعلنون انسحابهم من الحياة المدنية ويتركون الحكم المدني للمدنيين وقد يقبضون على الراغبين بالحكم العسكري ويسلمونهم للسلطة المدنية فيما بعد وقد يعدمونهم او قد يفر هؤلاء فتنطوي في جميع هذه الاحوال عندئذ تلك الصفحة السوداء من حياة الجيش في تاريخ الامة . ومن مساويء الحكم العسكري طغيان طبقة الجند فتراهم يعتون ويعيثون بالارض فسادا .

٢ – ومن محاسن الحكم العسكري سرعة التنفيذ فيه لكل مشروع او قضية حكومية ، ومطابقته بصورة خاصة لعهود الفوضات الداخلية او عهود الحروب الخارجية .

ولكن اثم الحكم العسكري وزميله الحكم الدكتاتوري الصرف ، الفردي اكثر من نفعهما ، كما ان مبدأ التكيف السياسي المتبع في اكثر الدول يقوم مقام الحكم العسكري من حيث محاسنه :

مبدأ التكيف : وهو اعطاء صلاحيات واسعة للحكومة تجعل منها دكتاتورا وذلك في ايام الفوضات الداخلية ، وايام الحروب ، والاخطار الخارجية على ان تصبح هذه الصلاحيات ملغية وتزول بزوال الاسباب التي اوجدتها وقد مارس الرومان كما ذكرنا هذا المبدأ قديما .

« نقف عند هذا الحد من البحث في الحكم العسكري الغير الشرعي » .

ملاحظة : ولكن هناك حالة استثنائية يكون بها الحكم العسكري شرعيا وهي: الحالة التي لاتوجد بها حكومة مدنية وذلك يحدث في حالات عديدة مثلا عندما تقوم ثورة بالبلاد وتودي بالحكومة ؛ او عندما تكون البلاد بحالة حرب مع دولة اجنبية وتقع الحكومة اسيرة في قبضة العدو ؛ ففي هذه الحالات يحق للسلطة العسكرية استلام الحكم لحفظ الامن وتسيير دفة الحكم المدني بصورة موقتة وحتى تعود المياه الى مجاريها فقط لا الى الابد .

القسم الحادي عشر

العظة والدرس التاريخي من الانقلابات :

كان بامكان الجيش المصري ؛ وبصورة خاصة ، كان بامكان الجيش السوري، وان بامكان الجيوش العربية كلها ، ان يأخذوا عظة من تجارب العالم ، فيوفر كل جيش على نفسه مشقة القيام بالتجربة الانقلابية التي قام بها بعض الضباط والتي تلعب باذهان بعضهم حتى اليوم ، اذ انه يجب اعتبار البشرية كلها شخصا واحدا من ناحية التجارب التاريخية وعلينا ان نأخذ نحن الشرقيين شرقيي شاطيء المتوسط ان نتصفح التاريخ ونتذكر ان له وجها اخلاقيا تجريبيا هو كلك العبر وقد لمح احد المؤرخين العرب من هذا الوجه حين لفظ لاول مرة بلغتنا : لفظة تاريخ العبر وان نأخذ من هذه العبر درسا قيما هاما بدون ثمن . وكم هو صعب على الامة التي تنقطع عن تجارب العالم ، ان تعيش بحالها ساعية وراء تجاربها الخاصة فهي ستقضي الاف السنين بالتجارب للتوصل الى ما توصلته الامم بالتاريخ وقد لاتتوصل اليه .

قال بعض الضباط النبهاء : ان الجيش قد اخذ عظة من تدخله بالامور المدنية ومن تحطم رؤسائه . اما انا فاقول كان عليه ان يأخذ العظة من تجارب العالم الماضي في اية بقعة من بقاع الارض واية دولة من الدول والا فسنبقى متأخرين عن ركب البشرية الاف السنين والا ايضا سوف نقضي اكثر عمرنا بالتجارب .

القسم الثاني عشر

امكانية احداث انقلاب بطريقة شرعية

يجب ان لا يتسرب الى الذهن ان لا علاقة لافراد الجيش بتاتا بالحكم المدني ، لا ، انهم كسائر افراد المجتمع ومن حقهم ان يحتجوا . ومن حقهم ان يسعوا لاصلاح جهاز الحكومة ولكن ليس الا بالطرق الدستورية القانونية ؛ انما من الممكن احداث انقلاب بصورة شرعية على الشكل الآتي :

يمكن لرجال الجيش ان يتفاهموا كمواطنين مع بعض رجالات البلاد ويتفقوا على اعلان ثورة عامة في البلاد ، على ان يقف الجيش موقف المتفرج ولا ينفذ امر الحكومة بخصوص قمع الثورة عند صدوره ، ومن الممكن ايضا ان يتضمن الاتفاق سير الجيش وراء الحركة الثورية وتأييدها عندما تشتد . وتعم ولكن في جميع الاحوال يجب ان يلتزم الجيش السكينة بعد سقوط الحكومة، وهكذا يكون تدخل الجيش محتملا وخصوصا اذا كانت البلاد مستعدة لمثل هذه الثورة وكانت الحكومة غير مرغوب فيها ومكروهة من الشعب او من اكثريته ومستبدة فيه وقد اقترب انقلاب لبنان الاخير من الشكل الشرعي المشار اليه . « اقرأ الجيش اللبناني صفحة ٥٦ » .

اما ان يحكم الجيش الشعب من فوق لا من تحت ، وان يسير لتحطيم

الحكومة قبل الشعب ويحدث انقلابه قبل ان يحدث الشعب ثورته ودون ان يشترك الجيش معه فذلك ما ليس من حقه وما يدان عليه وما لا نقبله ان يصدر عن اي جيش من جيوش العالم العربي حتى ولا عن اي جيش من جيوش العالم .

« انتهى القسم الثاني عشر » « انتهى الكتاب الاول »

ملاحظة : تقدم المؤلف بنسختين من الكتاب الثاني فقط ، لمجلس الوزراء السوري وللمجلس النيابي السوري بتاريخ ٦ / ٥ / ١٩٥٤

تصحيح خطأ : ضع بالصفحة (٢٠) من الكتاب الاول بالسطر « ١٣ » كلمتي (هذا العالم) بدلا من كلمتي « الامة العربية »

وضع بالصفحة (٦٠) باول السطر (٧) كلمة (ودخولهم) بدلا من كلمة (ويدخلون) وبالصفحة (٨٧) بالسطر (٦) كلمة (لوبون) بعد كلمة (يقول) وبالصفحة (١٢٠) بالسطر (١٠) كلمتي « الثوري المذكور » بعد كلمة « القومي » وبالصفحة (١٠٠) بالسطر « ٤ » كلمة (عنيفة) بدلا من كلمة « عتيقة »

تصحيح خطأ : ضع بالصفحة (١٢) من الكتاب الثاني بالسطر (٢٠) كلمتي « فامتثل » بدلا من كلمتي « فامتثال » وبالصفحة (١٤) ومن الكتاب الثاني ايضا بالسطر « ١٣ » جملة « اثني عشر مليون نسخة » بدلا من جملة (اثنتي عشرة نسخة) .

« نكتفي بتصحيح هذه الاخطاء فقط »



تصحيح من أخطاء الكتاب الاول

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٤	٥	جور حياس	جورجياس
٢٢	٢	ليس	ليست
٢٢	١٧	اي	اية
٢٤	٨	دوكهيم	دور كهيم
٢٥	٧	لاي	لاية
٢٨	٦	عن	على
٣١	١٠	وليم تل	وليم تل « البطل الخرافي للاستقلال السويسري »
٣١	١٢	يال	بال
٣٧	١٩	وانتخاب	ووضع
٤٧	١٨	ساروا	ثاروا
٥١	١٣	دستورية	الدستوريه
٥١	١٥	في الثالثة	الثالثة في
٥٢	١٥	في	(احذفها)
٥٤	٧	اولي	اولو
٥٦	٣	تقوك	تقول
٦٠	٧	الامة	آلامه
٦٠	١٨	فتشكل	فتشكلت
٦٠	١٩	ارض	(احذفها)
٦٣	٣	الست	الستة

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٨٠	٢	الثوراة	الثورة
٨٢	٥	الانقلات	الانقلاب
٨٥	١١	ثوربة	ثورة
٩٥	١٠	وينتفضون	وينقضون
٩٨	١٣	التعقل	التعقل الظاهري
٩٨	١٥	العقل	العقل ظاهرا
٩٨	١٧	العقل	العقل ظاهراً فقط
١٠٤	١٦	من	عن
١٠٩	١٢	لا نتحمل	لاتتحمل
١١٣	٩	سار	ثار
١١٦	١٨	عليه	عليها
١٣٧	٤	عدواته	عداوته
١٤٣	١١	مصر	مصر تقريبا
١٤٣	١٣	قسم	قسم ضئيل جدا
١٤٣	١٤	وقسم	وقسم (وهو الشعب برمته تقريبا)
١٤٥	١٦–١٧	وسوف تبقى معلوماته ضئيلة بالنسبة لكل نوع	(احذف هذه الجملة)
١٤٨	٩	كثيرا ما	احيانا
١٤٩	٩	الصلاحية	الصلاحيات
١٥٣	١	حالة	ظروف
١٥٣	٢	الحالة	الظروف
١٥٣	١٣	ان نأخذ	ان نأخذ منها العظة
١٥٥	١	قبل	قبل سير
١٥٥	١٤	ان نتصفح	علينا ان نتصفح

تصحيح من اخطاء الكتاب الثاني

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٧	١٣	بينان	دو كول
١٣	١٣	الاستفاء	الاستفتاء
١٤	١٤	الدستورر	الدستور
١٥	٩	الذين	الذي
١٥	٢١	بعض الصفات	التصفية
١٧	١٢	انهم يجب ان يقوموا	انهما يجب ان يقوما
١٩	١٩	سود	سواء
٢١	٢١	مطلق	مطلق « لبعض اوضاع »
٢١	٢٢	مقيد	مقيد « لبعض اوضاع ايضا »
٢٢	٢	عادي	عادي « لبعض اوضاع ايضا »
٢٢	٣	« للقوانين »	« لبعض اوضاع اخرى ايضا »
٢٤	٧	ا	أ
٢٤	٨	T	احذفها
٢٤	١٠	الجزائية	الجزائية)
٢٤	١٢	نظرية	ا ـ نظرية
٢٤	١٩	كان « أي لهؤلاء البشر المشار اليهم » لهم	كان لهم « أي لهؤلاء البشر المشار اليهم »
٢٥	١٣	للوقع	للواقع
٣٠	١٥	المستقل	المستقبل

ملحوظة : اضف بالصفحة « ١٣٠ » بعد السطر « ٨ » الجملة التالية : « اما في مصر فنرى في تاريخ نضالها الشبيه بالنضال السوري زعماء كباراً امثال : احمد عرابي باشا ، وسعد باشا زغلول ، ومصطفى النحاس باشا » .

الكتاب الثاني :

في العقاب ومعاقبة الخارجين على القانون والنظام

القسم الاول

الشبه بين اوضاع فرنسا الغير الشرعية في عهد الجنرال بيتان وبين اوضاع العالم العربي الغير الشرعية في عهد الانقلابات العسكرية

يعتبر الفرنسيون تاريخ ١٦ حزيران من عام ١٩٤٠ بداية حكم الجنرال بيتان الغير الشرعي .

فلقد سقطت فرنسا انئذ امام الجيش الالماني واحتل الالمان قسما منها ولكن تفاوض المارشال بيتان مع الريخ الثالث وادت المفاوضات الى توقيف حركة الاحتلال وانقسمت فرنسا الى قسمين : قسم محتل ومشغل بالقـــوات الالمانية ، عاصمته باريس، وقسم غير محتل وتابع لحكومة المارشال بيتان وعاصمته فيشي اما الشعب الفرنسي فقد سكت بالاجمال امام القوة الالمانية الا ان بعض الافـــراد الوطنيين آثروا الموت على ان يروا الجيش الالماني يمر بشوارع باريس فانتحروا حتى لايروا مثل هذا المنظر ثم تألفت بفرنسا الجميات السرية والعصابات الى غير ذلك من الحركات التي تسمت بحركة المقاومة

وفي هذه المحنة العظيمة التي وقعت بها فرنسا قام رجـــل جبار من رجال الجيش الفرنسي وهو الجنرال دو كول وهرب مع الهاربين في بادىء الامـــر الى انكلترة من فرنسا واعلن عدم اعترافه على حكومة بيتان المزعومة . والتي نعتها بالخيانة لانها كانت تماشي سياسة المحور فخرجت بذلك على سياسة فرنسا واذا بحثنا بحثا

دستوريا انتهينا الى الحكم بعدم شرعية حكـــومة بيتان وربما لخيانة رجالها الذين
تساهلوا مع الفاتحين الالمان وتعاونوا معهم

لقد قام الجنرال دوكول وناضل في بادىء الامر بقبضة من الرجال التفوا
حوله منذ تاريخ ١٩ حزيران عام ١٩٤٠ وقد اعترفت انكلترة بتاريخ ٢٨ حزيران
من السنة المذكورة بالجنرال دوكول قائداً للفرنسيين الاحرار وفي ٢٧ تشرين
عام ١٩٤٠ انضم لحركة دوكول قسم من الامبراطورية الفرنسية فتألف مجلس
للدفاع عنها ثم تألفت بموجب امر موقع من دوكول بتاريخ ٢٤ سبتمبر عام ١٩٤١
هيئة (تشبه الوزارة) (برئاسة دوكول) سميت الهيئة الوطنية الفرنسية
le comité national francais وفي هذه الاونة سميت فرنسا الحرة باسم فرنسا المحاربه
فاعترفت عليها انكلترة مرة ثانية، وكذلك الاتحاد السوفييتي ثم اجتمع الجنرال (جيرو)
القائد الفرنسي المدني والعسكري بافريقيا الشمالية، بالجزائر ومراكش وتونس
والمعترف عليه من قبل الحلفاء اجتمع هذا الجنرال بالدار البيضاء (كازابلانكا)
مع الجنرال دوكول واتحدا فتبدل اسم الهيئة السابقة وصارت تدعى الهيئة
الفرنسية للتحرير القومي *comité francais de la libération nationale*
وتنظمت بموجب امر صادر بتاريخ ٣ حزيران ١٩٤٣ ثم بامر صدر بتاريخ ٤
آب ١٩٤٣ وفي تاريخ ٣ حزيران ١٩٤٤ تحولت هذه الهيئة في الجزائر حيث
بدأ تأليفها، الى حكومة موقتة للجمهورية الفرنسية وهذه الحكومة الموقتة هي التي
انتقلت في آب عام ١٩٤٤ الى باريس واستلمت ادارة البلاد. الفعلية ثم جرى
استفتاء شعبي فتحولت هذه الحكومة بنتائجه من حكومة فعلية الى حكــومة
حقوقية، تدير البلاد بصورة مؤقتة.

وهكذا نرى انه بعد نضال عدة سنوات تمكنت هذه القبضة من الرجال
برئاسة دوكول من ان توجد في باريس وتفرض احترامها على المنتصرين وعلى

المغلوبين الذين الزمتهم قيادة الحلفاء ان يمثلوا امام حكومة دوكول ، قبل كل الدول ؛ ويوقعوا لها على نص الاستسلام (انتهاء الحرب)

وقد دل هـذا العمل الصادر عن الحلفاء على عطفهم على حركة المقاومة الفرنسية اثناء الاحتلال الالماني في فرنسا وعلى اعترافهم على حكومة دوكول الذي اعلنوه منذ البداية ، وعلى رغبتهم في احترام فرنسا المحاربه

وقد قيل بهذا الصدد :

اذا كانت فرنسا اول دولة انكسرت بالحرب الحديثة امام الالمان فاننا احتراما لمقامها سنعداول كرسي لها على طاولة الاستسلام والمعاهدات وعلى المغلوبين المعتدين ان يوقعوا نصوص الاستسلام والمعاهدات امام ممثليها قبل ان يوقعوها مع اية دولة اخرى (١)

لنعد الان الى حكومة الجنرال دوكول : لما انتقلت هذه الحكومة الى باريس شعرت بانها حكومة فعلية ذات قيمة في فرنسا وليس كما كانت في اول تأليفها . فتبوأت المركز الرسمي الاول في البلادواعلنت على لسان الجنرال دوكول ان الجمهورية لاتزال قائمة وان جميع الاوضاع التي نتجت عن عهد الماريشال بيتان منذ ١٦ حزيران عام ١٩٤٠ حتى تاريخ اقامة الحكومة الموقتة للجمهورية الافرنسية هي باطلة وباطلة المفعول كما سيجي ٔ وظهر من هذه الحكومة انها سوف تحاكم من استسلموا لحكومة الريخ الثالث ومن تعاونوا معها ومن استفادوا

---

(١) لم يكن لالمانيا رأي بتاتا في وضع معاهدات الصلح ولقد استسلمت بلا قيد ولا شرط وما نتكلم عنه من توقيع عقود ليس الا من قبيل المسائل الشكلية فلقد كانت جميع معاهدات الصلح مع المانيا معاهدات بين منتصر يفرض مايريد ومنكسر لاينبث ببنت شفه

من الاوضاع الغير الشرعية والى آخره .. كما سيجيء .

اوضاع بلاد العرب في عهد الانقلابات

آ) اوضاع سورية :

حدث في آذار عام ١٩٤٩ انقلاب عسكري اول في سوريا ادى الى حكم ديكتاتوري عسكري وكان زعيم هذا الانقلاب الغير الشرعي هو القائد الزعيم حسني الزعيم رئيس اركان الجيش السوري انئذ .

وفي عهد هذا الرجل جرى تصديق اتفاقية التابلاين الاميركية وتجددت الاتفاقية المالية مع بنك سوريا ولبنان ؛ وصدرت مراسيم ارهابية فظيعة والى آخـــره ...

٢) ثم حدث انقلاب عسكري ثاني في آب عام ١٩٤٩ ، تزعمه الزعيم سامي الحناوي ؛ وقد قتل رجال هذا الانقلاب ليلة وقوعه الزعيم حسني الزعيم ومحسن البرازي .

وقد دعا سامي الحناوي زعماء البلاد الى ممارسة حكم الشعب فلبى قسم كبير منهم الدعوة وعلى رأسهم شخصية بيضاء الصفحة السيد هاشم الاتاسي فجرت انتخابات المجلس التأسيسي الذي وضع دستوراً للبلاد واقره في ايلول عام ١٩٥٠ ثم تحول بموجبه الى اول مجلس نيابي منبثق عنه .

وقد تصدقت في عهدهذا الانقلاب الثاني اتفاقية معشركة آي ، بي ، سي الانكليزية لمد خط بترولي جديد الى بانياس .ولم يلغ هذا العهد اي اتفاقاستعماري ولا اي مرسوم ارهابي حتى المرسوم رقم ١٥٠ الخاص بالاحكام العرفية وقد جرت القطيعة الاقتصادية بين لبنان وسوريا في هذا العهد

٣) ثم حدث انقلاب عسكري ثالث في كانون الاول عام ١٩٥١ ادى الى تعطيل حكم الشعب وعودة الحكم العسكري بشكل من الاشكال وكان زعيم هذا

الانقلاب العقيد اديب الشيشكلي وفي هذا العهد حـــدث تسليم مشروع مرفأ اللاذقية الى الشركة البحرية اليوغوسلافية وحـل الطاغية الاحزاب السياسية وصدرت سلسلة من المراسيم الارهابية وحرمت الصحافة من حـــرية النشر، وحرم على الطلاب كل نشاط سياسي ، وفرض الطاغية الشيشكلي نظام الحزب الواحد وبدأ يقنن التعليم ويسعى لتضييقه وازدادت الضرائب وتضخمت الاموال المرصودة للتجسس الداخلي . وفي هذا العهد قمع الشيشكلي كل المظاهـــرات واحيانا استخدم الرصاص والاسلحة الجهنمية وفي هذا العهد امتلأت السجون والمعتقلات بالمئات من خيرة المناضلين الوطنيين وخصوصا الطلاب

وفي عهدهذا الانقلاب الثالث كان الاستفتاء المزيف وكان الدستور المزيف ايضا وكانت الانتخابات المزيفـة ؛ فكثرت الاحتجاجات وكثرت مظاهرات الطلاب وفي هذا العهد حدث الميثاق الوطني للاحـزاب السورية في حمص التي ناهضت الطاغية ولم تعترف عليه وفي عهدهذا الانقلاب الثالث ثارمع رجاله سلطان باشا الاطرش في جبل النضال ومعقل الحريه

٤) ثم حدث الانقلاب العسكري الرابع في اواخر شهر شباط عام١٩٥٤ فادى الى فرار الطاغية ودعوة الجيش رجالات البلاد الى ممارسة حـكم الشعب فعاد المجلس النيابي الذي وضع دستور عام ١٩٥٠ وعاد السيد هاشم الاتاسي لمنصة الرئاسة وتألفت وزارة برئاسة صبري العسلي ويظهر ان الجيش قـد قرر الرجوع الى الثكنة والاستسلام للنظام ولعله لن يخرج من الثكنة الا بناء على طلب السلطة المدنية الشرعية

ولعل هذا الانقلاب الرابع يكون خاتمة الانقلابات العسكرية السود.

فهل يصدق ضباط الجيش السوري من انهم لن يتدخلوا بعد الان ولن يسمحوا لاحد منهم ان يتدخل في امور الحكومة ؟؟؟

هذا ما نأمله في الغد القريب والغد البعيد : « وان غدا لناظره قريب »

ب ـ اوضاع مصر : اما في مصر فقد حدث عام ١٩٥٢ في الاسبوع الاخير من يوليو انقلاب عسكري واحد ولم يحدث غيره حتى اليوم وزعيم هذا الانقلاب هو القائد العسكري محمد نجيب الا انه احد رجال الحركة الانقلابية فقط المؤلفة من مجموعة من امثاله كصلاح سالم وجمال عبد الناصر و ... والى آخره ..

وفي عهد هذا الحكم العسكري خنق الطغاة العسكريون الحريات العامة في مصر ، واضطهدوا الاحزاب السياسية ، والزعماء الوطنيين الذين انشأوا مع اسلافهم نهضة مصر ، واحدثوا محكمة سموها محكمة الثورة كذبا وبهتانا فليس هناك ثورة في مصر وانما عصاة خرجوا على القانون وليس هناك محكمة وانما مجموعة اشخاص يحاكمون الابرياء والاحرار وزعماء مصر طمعا في ان يستتب لهم الامر عن طريق الظلم والاستبداد والارهاب ويصادرون اموالهم طمعا في نعيم الدنيا واشباعا لنهمهم وارواء لجشعهم

ولقد ثار المصريون منذ عدة ايام في وجه الطغيان في شوارع القاهرة وغيرها فوعدت الطغاة باقامة عهد جمهوري والغاء محكمة الثورة وربما رجوع الجيش الى الثكنة ولما استتب الامن وهدأ الجو ظهر كذب الطغاة فعادوا لمجلس ثورتهم المزعومة وعادوا يصدرون كل يوم مرسوما ويخرجون به الى العالم المصري ويبرهنون به عن انهم غير شرعيين وعن انهم لا يصلحون لحكم شيء وعن انهم مختلفون فيما بينهم وسوف يأتون على بعضهم البعض حتى لا يبقى منهم احد وحتى يعود حكم الشعب الى الشعب الى صاحبه .

نقف عند هذا الحد من البحث في اوضاع سوريا ومصر ، لاننا نريد ان يكون كتابنا كتابا صغيرا ولان اوضاع سوريا ومصر في عهد الحكم العسكري

اوضاع غير شرعية لاتستحق البحث والتدقيق.

اذن : وجه الشبه بين اوضاع فرنسا واوضاع بلاد العرب التي حدثت بها انقلابات عسكرية:

١ – في كل من العالمين نرى سلطة عسكرية غير شرعية تحكم البلاد

٢ – في كل من العالمين نرى احزابا ورجالات وزعماء وثوارا يعلنون عدم اعترافهم على السلطة العسكرية الغير الشرعية .

٣ – في كل من العالمين نرى احزابا ورجالات وزعماء يثورون في وجه الحكم العسكري الغير الشرعي ويقودون المناضلين لسحق هذا الحكم .

ولكن اذا كان هناك وجه شبه بين العالمين فان بينهما وجه تباين وانما نكتفي باظهار وجه الشبه فقط الذي يهمنا

القسم الثاني

٢ – كيف تصفت بعد الحرب العالمية الثانية الاوضاع الغير الشرعية لفرنسا

نذكر هنا الامر التشريعي الصادر عن حكومة الجنرال ديغول بتاريخ ٩ آب عام ١٩٤٤ من اجل اعادة الصفة الشرعية الجمهورية :

تعلن المادة الثانية من هذا الامر : (باطلة وباطلة المفعول جميع النصوص الدستورية، والتشريعية، والتنظيمية وكذلك القرارات المتخذة، من اجل تنفيذها، تحت اي تسمية كانت، المذاعة في المنطقة الفرنسية الاوروبية بعد تاريخ ١٦ حزيران عام ١٩٤٠ حتى تاريخ اقامة الحكومة الموقتة للجمهورية الفرنسية ولكن الفقرة الثانية من هذه المادة تستدرك بالحال فتقول :

ان هذا البطلان يجب ان يكون ملحوظا صراحة

قبل ان نسترسل بالموضوع يجب ان نفرق بين المفهوم الحقوقي للابطال

او البطلان . والمفهوم الحقوقي للالغاء. ويقابل الاولى بالفرنسية : *Annulation*
ويقابل الثانية : *Abrogation* والفارق بينهما مبدئيا سهـل : فالاولى تتضمن
مفعولا رجعيا للنص الذي تقع عليه ان الابطال يلغي مفعول القانون بالماضي والحاضر
والمستقبل .اما الالغاء فلا يلغيه الا بالحاضر والمستقبل

ولقد علق الاستاذ شوفاليه في مقدمته للحقوق المدنية على هـذه الطريقة
التشريعية التي سلكتها حكومة الجنرال دو كول بما يأتي :

١ـ لم يرغب الشارع الجديد ان يعطي قيمة بصورة اجمالية لتشريع حكومة فيشي
وذلك لكرامة المبادي، ولكي لا يعترف لنظام فيشي بنوع من الصفة الشرعية التي لا علكها

ولهذا ابطل الشارع الجديد هذا التشريع الصادر عن حكومة بيتان مبدئيا
بصورة كلية، ولكن لابقاء كل الاوضاع التي لم تنكرها حكومة دو كول الشرعية
فلقد اوجبت هذه الحكومة الاخيرة ابطالا صريحـا ، الامر الذي يديم
مفعول جميع القوانين التي لم يلحظ الشارع الجديد صراحة عدم اتفاقها مع الصفة
القانونية الجمهورية .

ان هذه الطريقة ليست عمليا سهلة الاستعمال: فحيث ان المبدأ الذي اتبعته
حكومة دو كول هو الابطال لجميع تشريعات بيتان وملحقاتها فان ابقاء المفعول
لقانون ما يفترض تحقق الاثبات السلبي بان الشارع الجديد لم يعلن صراحة عـدم
اتفاق هذا القانون مع الصفة القانونية الجمهورية

٢ ـ ان هذا النص التشريعي يدخل بعالم الحقوق مفهوما جديدا مورطـا
فهو بجانب مفهوم الالغاء الحقوقي للقوانين يدخل مفهوم الابطال

ان التمييز بينهما هو واضح من الناحية المنطقية :
فالالغاء يتضمن الغاء للمستقبل والابطال يتضمن الغاء رجعيا : انـه يجب
اذن ان يؤدي الى ابطال كل المفعول الناتج من التطبيق السابق للقانون الذي

واعلن الشارع ابطاله وابطال مفعوله ، وهكذا نفهم في كثير من الحالات بان هذه الصفة الرجعية للقانون تستطيع ان تسبب مساوىء فظيعة ، لذلك فقد انبأ الشارع الجديد لبعض القوانين مشيرا الى ان الحاظ ابطالها لايؤدي الى مساس مفعولها الناتج من تطبيقها السابق لتاريخ ابطالها . ولكن اوليس في ذلك عودة الى المفهوم التقليدي للالغاء تحت اسم الابطال ؟ لاليس تماما : لنأخذ مثلا واحدا فقط : لقد رفضت محكمة التمييز الفرنسية ان تنقض الاحكام القضائية والقرارات التي لم تطبق نصوص القانون الصادر في ٢ نيسان ١٩٤١ المتعلق بالطلاق والذي ابطلته حكومة الجنرال دوكول ، مع ان هذه القرارات والاحكام اتخذتها المحاكم في ظل القانون المذكور قبل تاريخ الابطال ولكن لم تبت بها محكمة التمييز المرة الاخيرة الا بعد تاريخ الابطال وهذا يعني ان اجتهاد القضاة الفرنسي كان يعطي مفعولا رجعيا احيانا كما نرى حق لابطال بعض القوانين التي الحظ الشارع الجديد ان ابطالها لايؤدي الى مساس مفعولها الناتج من تطبيقها بالماضي .

ولكن نلاحظ ان هذا النوع من المفعول الرجعي التي تطبقه محكمة التمييز الفرنسية اجتهادا هو مثبت للقرارات والاحكام التي لم تراع تشريع بيتان فقط وليس لاغيا للقرارات والاحكام التي راعت تشريع بيتان فالقضاء الفرنسي لم يلغ ولا يلغي مثل هذه القرارات والاحكام الاخيرة الا بموجب قانون او قوانين ابطلت صراحة القوانين التي ارتكزت عليها هذه القرارات او هذه الاحكام .

ويقول الاستاذ شماس في كتابه الحقوق الدستورية ان الامر التشريعي الصادر في ٩ آب المذكور لم يعلن نظرا للضرورات العملية ابطال النصوص الحقوقية التي اتخذها نظام فيشي بفرنسا الا بعدة أشكال :

١ ـ فقد ابطل بصورة مطلقة بعض النصوص ؛ النصوص الدستورية ؛ النصوص المفروضة من قبل المحتل (كالعمل الاجباري) والنصوص الماسة للحريات العامة الى آخره ..

٢ ـ الا ان البعض الاخر من هذه النصوص لم تبطل الا للمستقبل

٣ ـ كان نوعا ثالثا من هذه النصوص بقي ساري المفعول بصورة موقتة .

ولكن هذا الامر التشريعي الذي اعلن شرعية الجمهورية وابطل ماسواها (مبدئيا) من اوضاع حكومة بيتان الغير الشرعية في نظره لم يقصد اعادة دستور الجمهوريه الثالثة دستور ١٨٧٥ فلقد رغب دوكول منذ البدء حتى النهاية في تجديد الدستور الفرنسي ، بارادة الشعب كما ظهر ذلك في امر منه صادر في ٢١ نيسان ١٩٤٤ ، وهكذا لم يقصد دوكول من اعادة الصفة الشرعية الجمهورية اعادة دستور ١٨٧٥ بل ارجاع مبادي الحرية التقليدية فقط المعتبرة نتيجة للحكم الجمهوري والديمقراطي ، وقد اتخذت حكومة دوكول الموقتة الصفات التالية :

أ ـ بقيت هذه الحكومة في عامي ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ حكومة فعلية

ب ـ تغلب على هذه الحكومة الموقتة الصفة المطلقة : فرئيسها دوكول كان يتصرف اجمالا بالسلطتين التنفيذية والتشريعية

ت ـ ولكن هذه الحكومة اعلنت لنفسها المبادىء الديمقراطية واكدت انها ترتكز عليها

ث ـ وايضا اعلنت انها حكومة موقتة .

وقد كان للحكومة الموقتة مجلس استشاري وتظهر في طريقة تأليفه اسس العقاب ١ ـ فلقد تحرم الدخول في هذا المجلس الاستشاري على بعض اعضاء المجلس النيابي الفرنسي ومجلس الشيوخ الفرنسي الذين كانا يقومان بوظيفتيهما عام ١٩٣٩ وهؤلاء الاعضاء هم الذين وافقوا على اعطاء السلطة التشريعية للمارشال بيتان لما دعا هذا المارشال المجلسين اثناء استلامه دفة الحكم بعد انكسار فرنسا

٢ - وكذلك وقع الحرمان المذكور (اي منع الاشتراك في المجلس الاستشاري) على اعضاء حكومة فيشي

٣ - وكذلك وقع الحرمان على اعضاء البرلمان ، والموظفين او العملاء العامين ، الذين افادوا اعمال العدو بصورة مباشرة او غير مباشرة كالذين اضعفوا نضال الامم المتحدة والفرنسيين المقاومين وكالذين حصلوا او جربوا ان يحصلوا على فائدة مادية من تطبيق التنظيمات المخالفة للقوانين السارية المفعول بتاريخ ١٦ حزيران عام ١٩٤٠ وما قبله

٤ - وكذلك وقع الحرمان على الاشخاص الذين قبلوا في فرنسا في عهد بيتان وظيفة ذات سلطة او كرسيا في مجلس قومي او مجلس محافظة وقد وقع هذا الحرمان ليس فحسب بخصوص تأليف المجلس الاستشاري للحكومة الموقتة بل ايضا بخصوص المجالس الاداريه المحلية .

وقد صدرت كل هذه الحرمانات بموجب الامر الصادر في ٢١ نيسان ١٩٤٤ ثم صدر امر بتاريخ ٦ نيسان ١٩٤٥ احدث تبديلا طفيفا في هذه الحرمانات فاصبحت هذه الحرمانات واقعة على الفئات الست الاتية :

١ - اعضاء حكومة فيشي الا من يتبرؤون بقرار او بثبوت عدم اتصالهم بقصر الحكومة (حكومة بيتان)

٢ - الاشخاص المحكوم عليهم بعقوبات نقدية من استفادتهم استفادة غير قانونية .

٣ - اعضاء مجلس المحافظة او المجلس البلدي في باريس المعينين بامر حكومة فيشي

٤ - الاشخاص الذين حضروا المجلس القومي او اشتركوا باحدي لجانه

(المجلس القومي وضع من اوضاع حكومة بيتان الغير الشرعية)

٥ - اعضاء البرلمان القديم (برلمان ١٩٣٩) الذين صوتوا لاعطاء السلطات عام ١٩٤٠ لحكومة بيتان او الذين قبلوا بعد تاريخ شهر نيسان ١٩٤٢ وظيفة (ولو بدون اجرة) من قبل حكومة فيشي اي حكومة بيتان

ملاحظة : ان الحرمانات الثلاثة الاخيرة يمكن ان تزال عن كل شخص اذا ثبت بموجب قرار من (مجلس محلفي الشرف) ان هذا الشخص قد ساهم باعمال المقاومة ضد المحتلين الالمان

وقد شكلت الحكومة الموقتة مجالس محلفين من اجل الحاق هذه الحرمانات كما ان المحاكم الافرنسية نفسها استطاعت معاقبة كثير من الذين تقع عليهم هذه الحرمانات وذلك تطبيقا للامور التشريعية الصادرة عن حكومة دوكول واحيانا تطبيقا للاصول والقوانين العامة الفرنسية، وقد حوكم لاف من البشر في فرنسا في هذا المضمار ولا عيب في ذلك فالمعاقبة والمحاكمات خير من الاهمال ولو كانت المحاكمات والعقوبات تطول عددا كبيرا من افراد الشعب ؛ ففي العقاب تربية لا نراها في غيره .

وقد تألفت ايضا في فرنسا محاكم خاصة متعددة اهمها المحاكم ذات الطابع السياسي كما انه صدرت اوامر وقوانين متعددة، ادانت بعض الاشخاص والفئات فحوكم هؤلاء بموجبها وغصت السجون بالمجرمين والجانحين والمخالفين اذ اصابت هذه الاوامر والقوانين الاف البشر ، ولا بد لنا من ذكر محاكمة الماريشال بيتان اذ ان تاريخ هذا الرجل الناصع البياض ، الملئ بالخدمات لفرنسا لم يخلصه من براثن القانون فامتثال امام المحكمة كسائر المتهمين وحوكم محاكمة دقيقة وحوسب على الشاردة والواردة واخيرا وقع عليه حكم الاعدام ولكن نظراً لسنه

و ... فقد ادانت المحكمة حكمها عليه بالسجن المؤبد الا ان بيتان لم يعجبه هذا الحكم فقرر ان لايكلم احداً بالسجن وان لايطالب شيئاً سوى نزهة قصيرة مع كلبه الوديع ضمن السجن .

ولقد مات بيتان الرجل العظيم في السجن وهو ينفذ فيه الحكم فكان في ذلك ابرز صفة من صفات قوة الشعب الفرنسي وهي : سيادة القانون وحدته وشدته وجبروته ؛ ولقد اسقطت من جهة اخرى بعض الاوامر والقوانين جزءاً من الحقوق المدنية لبعض الفئات وخصوصا الحقوق السياسية وكل ذلك زيادة على الاصول والقوانين العامة التي ادانت ايضا الافا من البشر في العالم الفرنسي والى آخره .. والى آخره .. فبالحقيقة لا كرامة لدولة ان لم يتلق كل فرد مايستحقه ؛ من جزاء او عقاب

اما من الناحية التنظيمية العامة فقد قامت الحكومة الموقتة باستفتاء شعبي في فرنسا في اول عام ١٩٤٥

وهذا هو نص الاستفتاء الموجه للمواطنين الفرنسيين :

١ – هل تريد ان يكون المجلس المنتخب اليوم مجلساً تأسيسياً

٢ – واذا اجاب المستفتون بالموافقة على السؤال الاول فهل تقبل بتنظيم السلطات العامة حسب مشروع القانون المرفق حتى وضع الدستور الجديد في نطاق التنفيذ « ان مشروع القانون المشار اليه في السؤال الثاني هو بالحقيقة تحديد لسلطات المجلس التأسيسي المنتخب فالحكومة تخشى ان ينتهي هذا المجلس الى اطلاق سلطته والى تطويل مدة وضع الدستور وقد كانت نتائج الاستفتاء الشعبي ايجابية فصدر بتاريخ ٢ تشرين ثاني عام ١٩٤٥ القانون الجديد المتضمن التنظيم الموقت للسلطات العامة وهكذا تحولت الحكومة الموقتة الفعلية الى حكومة موقتة شرعية بفضل هذا الاستفتاء الشعبي وفي نفس اليوم الذي

جرى به الاستفتاء جرت الانتخابات التأسيسية وقد تضمن القانون الجديد تحديداً مزدوجا للسلطة التأسيسية :

١ ـ ان لاتزيد مدة وضع الدستور عن سبعة اشهر والا سينحل المجلس المذكور ، وتدعو الحكومة الى انتخاب مجلس تأسيسي آخر

٢ ـ يجب ان يحدث استفتاء شعبي من اجل قبول او رفض الدستور بعد وضعه من قبل المجلس التأسيسي ؛ ولما اجتمع المجلس التأسيسي المنتخب في ٢١ تشرين اول عام ١٩٤٥ كانت اكثريته من الاشتراكيين والشيوعيين تقريباولكن الحزب الجمهوري كان ممثلا به ايضا تمثيلا قويا ، الامر الذي ادى الى خلافات شديدة بالمجلس وقد حدثت مهاترات بين نواب المجلس ووزراء الحكومة وخصوصا الاشتراكيين والشيوعيين والجمهوريين لاسيما بعد استقالة الجنرال دوكول من رئاسة الدولة بتاريخ ٢٠ كانون ثاني عام ١٩٤٦

واخيراً وضع المجلس التأسيسي دستوراً وصادق عليه بتاريخ ١٩ نيسان عام ١٩٤٦ فطبعت الحكومة اثنتي عشرة نسخة من الدستور ووزعتها على الشعب مستفتية اياه فرفض الشعب هذا الدستورر بتاريخ ٥ ايار ١٩٤٦

وفعلا انحل المجلس التأسيسي الاول المذكور (بعد اجراء هذا الاستفتاء) وجرت انتخابات تأسيسية ثانية جديدة بتاريخ ٢ حزيران عام ١٩٤٦ ووضع المجلس التأسيسي الجديد دستوراً جديداً قرر ٥ بتاريخ ٢٩ ايلول عام ١٩٤٦ وفي ١٣ تشرين اول حدث الاستفتاء الشعبي الثاني وكانت النتيجة ايجابية واذاعت الحكومة الدستور النهائي بتاريخ ٢٧ تشرين الاول عام ١٩٤٦ ونشرته بتاريخ ٢٨ منه على ان يكون ساري المفعول ابتداء من اجتماع « مجلس الجمهورية المنصوص عنه بالدستور الجديد المقرر » الذي اجتمع في ٢٤ كانون اول عام ١٩٤٦ حيث انتهى مفعول قانون ٢ تشرين ثاني عام ١٩٤٥ المتضمن التنظيم الموقت

للسلطات العامة . وهكذا انتهت فرنسا الى اعلان الجمهورية الرابعة التي بدأت بتطبيقها في تاريخ ٢٤/١٢/١٩٤٦ المذكور كما رأيت

القسم الثالث

كيف يجب ان تصفى الاوضاع الغير الشرعية في كل قطر من اقطار العالم العربي التي حدثت او تحدث بها انقلابات .

تمهيد : لاتقوم الدولة الا على احترام القانون كما يتضح في جميع سطور هذا الكتاب الذي يحوم حول هذه الفكرة ولكن العقاب يجب ان يكون اجتماعيا:

العقاب يجب ان يكون اجتماعيا : واقصد بذلك ان يكون مستوى العقاب من مستوى العقلية الاجتماعية كما هو الحال في العقاب الذي نلحظه في القوانين الجزائية بالعالم ، فالقوانين الجزائية العالمية تختلف من دولة لاخرى لانها اجتماعية تميل الى مطابقة النفسية الاجتماعية في كل مجتمع بشري ونرى في دولة واحدة تباين العقاب بالنسبة لمستوى الشخص العلمي او الفني او بالنسبة لسنه ، او بالنسبة لحالته العقلية فالمجنون مثلا غير مسؤول جزائيا (على العموم) عن مايصدر عنه

ولهذا لا يمكن ولا اسمح لاحد بان يدعي باني اطالب بتصفية العهود الغير الشرعية في سوريا مثلا كما تصفت الاوضاع الغير الشرعية في فرنسا ففرنسا دولة عريقة وقديمة في حريتها وصرحها الحقوقي ذو اساس متين والروح القانونية قد دخلت في نفوس الافرنسيين ورسخت الى حد بعيد والمستوى الحقوقي في فرنسا هو اعلى مستوى في العالم من حيث العلم الحقوقي والمعرفــــة الحقوقية والثقافة الحقوقية اما سوريا فهي دولة جديدة ناشئة والعقاب فيها يجب ان يكون خفيفا لانها لم تعتد بعد عليه . ولست سلطة تشريعية حتى اسن قوانين التصفية في سوريا ولست ايضا حكومة موقتة حتى اقوم بذكر كيفية بعض الصفات ولكني

اخاف من اعمال الحكومة الحاضرة وتفاضيها وتأثرها بالمحيط الاجتماعي رغـم اعترافي بان رجال الحكومة اليوم في سوريا وزعماء مصر المناضلين هم اقوياء وقديرون وقد حنكتهم التجارب والايام والاحداث وخصوصا الاحداث الاخيرة زيادة على معلوماتهم الخاصة وهم الذين حرصوا على استقلال سوريا ومصر بـل انهم وامثالهم وهم الذين لايبلغون قبضة من الرجال احياء واموانا امثال هنـانو وزغلول اقول انهم وامثالهم هم الذين بنوا صرح سوريا ومصر ورفعوا صوتهما عاليا بين الدول . ولكنني لااستطيع رغم كل ذلـك الا ان انبههم الى ضرورة العقاب وتطبيق القانون : لا استطيع الا ان اساهم معهم في خدمة هذا العالم الذي ربيت به واشعر بان له فضلا علي فانا اشرب ماءه والبس ثيابا وانام على فراش صنعه لي وآكل تقريبا مايسمح لي وجداني بأكله متناولا اياه من المجتمع وقـد رباني وثقفني وعلمني الخير والشر وانا مدين له بكل شيء تقريبا ولذلك اريد ان ارد له قسما من ماقدمه لي ولهذا طرقت موضوع هذا الكتـاب والفته لكي يقرأه اولو الامر قبل كل شيء ثم افراد المجتمع فلعلي اقدم له شيئاً اوفي له بقسط مما له علي

« انتهى التمهيد »

١ - في تحديد تاريخ بدء العهود الغير الشرعية .

ان تحديدها في مصر سهل جداً ذلك لانه لم يحدث بها الا انقلاب واحـد وهو الانقلاب المسمى بانقلاب محمد نجيب .

اما في سوريا فلقد تكررت الانقلابات . ولذلك صار صعبا علي الباحثين تحديد اللحظة التي بدأت بها العهود الغير الشرعية :

اذ انه لما حدث انقـلاب سامي الحناوي في آب عام ١٩٤٩ وادى هذا الانقلاب الى قتل الطاغية حسني الزعيم ومحسن البرازي، دعا الحناوي المذكور زعماء البلاد لممارسة حكم الشعب فقاطع الوطنيون الانتخابات التي جرت وكان

كل الحق في جانبهم لان عهداً غير شرعي عهداً كعهد حسني الزعيم يجب النظر فيه ويجب تصفيته وحزب الشعب لم ينظر الى الوراء بل سار الى الامام وخاض حركة الانتخابات فتكررت المأساة وظهر على المسرح طاغية افظع هو اديب الشيشكلي .

وعليه فهل يجب العودة الى تاريخ وقوع انقلاب الشيشكلي واعتباره مبدأ العهود الغير الشرعية ؟ ام يجب العودة الى تاريخ اعتقال السيد شكري القوتلي واعتباره مبدأ العهود الغير الشرعية ؟

ان شعبا كالشعب الفرنسي مثلا لايمكنه الا ان يعود الى بداية الانقلاب الاول ليعتبرها مبدأ لتصفية العهود الغير الشرعية ، اما نحن العرب فلا اظن ان العقلية الاجتماعية مستعدة للرجوع لهذا التاريخ البعيد ويظهر ان الحزبين الوطني والشعبي متفقان على اعتبار بدء انقلاب الشيشكلي هو بداية العهود الغير الشرعية في سورية الا انهم يجب ان يقوموا ولو في هذه الحالة ببعض التصفية لعهد حسني الزعيم .

٢ ـ في مطابقة العقاب لمستوى الشعوب العربية :

اذا اردنا ان نعاقب بشدة وصرامة وان نطبق القوانين العامة فقط بالحرف الواحد وحتى بدون اصدار قوانين جديدة فان بالمئة ثمانين على الاقل من المواطنين سوف ينالهم القانون .

وعليه كيف يجب الان ان نسير ؟؟ افهل يجب ان نحاكم الشعب السوري اي اكثريته مثلا او الشعب المصري اي اكثريته ؟؟ هنالك فيلسوف قديم قال كلمة صلحت لان تكون قانونا عاما في جميع المواضيع تقريبا : لقد قال بلاتون : خير الامور أوسطها . وانا ارى ان العقاب ، يجب ان يتحدد بشكل يستحيل

به ادانة اكثر من نصف الشعب فما يفعله نصف الشعب او اكثريته هو شرعي ولا يجوز لاحد محاكمة الشعب لانه هو مصدر السلطات اذن اقول لايجوز محاكمة الشعب لهذا السبب مهما كانت الحاجة ماسة الى تأليف دولة حقوقية تحترم القانون بل بالعكس اكتفي في شعب مثل شعبنا السوري والمصري ان ينال القانون ويعاقب الفئات المفضوحة في نفعيتها المفضوحة في اختراق القانون الفئات التي كانت في كل بلد هي الحجر الاساسي الذي سند الطغيان ، والى آخره ..

٣ - في ذكر بعض العقوبات وذكر الفئات التي يجب ان يقع عليها العقاب:

آ - محاكمة جميع منتهكي حرمات الدستور ماضيا ومستقبلا وخصوصا الدستور المصري ؛ والدستور السوري الاول والثاني سواء المدنيين ام العسكريين سواء الاحياء منهم والاموات وسواء الحاضرين منهم او الفارين كاديب الشيشكلي حكما وجاهيا او غيابيا . وبصورة خاصة محاكمة تاريخية لحسني الزعيم والبرازي والحناوي وغيرهم ممن اتهمتهم في بلاد العرب نيران الانقلابات العسكرية وبحث قضية اسقاطهم من الحقوق المدنية لاسيما اسقاط الشيشكلي من هذه الحقوق واسقاط الاخرين ايضا منها او من بعضها والحكم على المجرمين الكبار بالاشغال الشاقة الى الابد . وكذلك اتهام اكرم الحوراني ومحاكمته فلربما ثبت تعاون هذا الرجل بالبداية مع رجال الانقلابات العسكرية السورية او احدها بعد حدوثها على الاقل ، وفي هذه الحالة يجب محاكمة الحزب العربي الاشتراكي وحزب البعث العربي متحدين او كل على حدة - زيادة على محاكمة اكرم وزملائه - وكذلك يجب محاكمة سائر رؤساء الاحزاب الذين تعاونوا مع العهود الغير الشرعية ولو قليلا وفي البدء .

ب - وبصورة عامة محاكمة المشتركين في جميع الحكومات المزعومة الانقلابية او حكومات عهد الانقلابات .

ج ـ ابطال جميع الدساتير والقوانـــين والمراسيم والقرارات ، التشريعية والتنظيمية اي :

الغاء جميع الاوضاع الحقوقية المزعومة المنشأة في سوريا او مصر او غيرها من البلاد العربية التي حدثت او تحدثها انقلابات منذ بدء العهود الغير الشرعية ثم اعادة النظر بها وتثبيت مايصلح منها للبلاد فقط، وابقاء المفعول في الماضي لبعضها حسب الضرورة العملية، والغاء بعضها الغاء عاديا، وابقاء بعضها الاخر بصورة موقتة ساري المفعول، وابطال الباقي ابطالا نهائيا بالماضي والحاضر، وكل ذلك بمقررات وقوانين جديدة ؟

د ـ وبصورة خاصة اصدار قوانين تحرم الوزراء ورؤساء البلديات والنواب وسائر الموظفين الكبار اثناء العهود الغير الشرعية ، من الخدمة العامة بالدولة وتحرمهم حق الانتخابات وحق ترشيح انفسهم في اي نوع من الانتخابات العامة مدة من الزمن تتفاوت حسب شدة اجرام المحروم

هـ ـ وبصورة عامة اصدار قوانين تحرم المشتركين بحكومات العهود الغير الشرعية او المتعاونين مع هذه العهود كل بقدر (تعاونه) (ونيته) (واستفادته من المنافع والمصالح العامة بالدولة) .

و ـ اصدار قوانين تبطل ابطالا نهائيا وبدون تحفظ جميع الاتفاقات مـــع الدول الاجنبية والعقود مع الشركات الاجنبية ، حتى تعتاد هـــذه الدول الاجنبية وهذه الشركات الاجنبية على عدم الاعتراف على مثل هذه الحكومات الطاغية الناتجة عن انقلابات عسكرية سود في بلاد العرب او في اية دولة من دول العالم فنحن لانقبل الفوضى في بلادنا ونرجو ان لاتقع يوما في اية دولة اجنبية كانت ايضا

ز ـ محاكمة الضباط الذين خرجوا على حسني الزعيم والشيشكلي والى

آخره .. وتخفيف الحكم والعفو عنهم اخيرا بقانون خاص .

وفائدة هذه المحاكمة هي احترام هيبة القانون والنظام والقاء هذا الاحترام في نفوس الضباط والشعب حيث يتذكر كل فرد انه لولا قانون العفو عن هؤلاء او لولا العفو عنهم لادينوا فيهابون القانون والنظام ويعلمون ان اختراقه لايؤدي للسلامة والنجاة الا بمثل هذه الحالة اي حالة ضرورة المصلحة العامة .

ز ـ احداث محاكم خاصة عند الاقتضاء للحكم على من تجرمهم القوانين الجديدة المذكورة ومعاقبتهم وكذلك للحكم على المتعاونين والمستفيدين والمشتركين بالعهود الغير الشرعية ومعاقبة كل فرد بقدر نيته وفائدته وتعاونه واشتراكه كما ذكرنا

ح ـ النظر بتسريح جميع الموظفين السياسيين الكبار بالدولة كالوزراء والنواب والمحافظين ورؤساء البلديات الذين تعاونوا مع العهود الغير الشرعية او قبلوا مناصبهم في هذه العهود بموجب مراسيم او قرارات وحرمانهم او حرمان بعضهم، اذا اقتضى الامر، من وظائف الدولة والمنافع العامة والتزامات الدولة وما شاكل ، ومحاكمتهم او محاكمة بعضهم، اذا اقتضى الامر، وذلك بموجب قوانين خاصة يصدرها المجلس التأسيسي او المجلس التشريعي واستعادة معاشاتهم وما قبضوه من الخزينة العامة بموجب قانون تشريعي

ط ـ تسريح جميع الموظفين الاخرين الذين توظفوا في العهود الغير الشرعية على الاقل ومحاكمتهم بقانون خاص اذا اقتضى الامر .

ي ـ الغاء او تعطيل بعض الصحف التي كانت تتكلم بلسان العهود الغير الشرعية او كانت تسند بدعايتها حكم الطغاة .

ك ـ محاكمة رؤساء فروع حزب التحرير. ل ـ اصدار قانون لمصادرة قسم على الاقل من اموال الموظفين السياسيين الكبار (والسياسيين الاخرين) الذين

تعاونوا مع العهود الغير الشرعية

م - ادانة الحزب القومي لاشتراكه بانتخابات غير شرعية في سوريا

ن - اما الشيوعيون فلقد حاولوا ايضا الاشتراك بالانتخابات الغير الشرعية وهم يدانون من هذه الناحية وارى انهم اخطأوا في سياستهم من حيث الطريقة فقط لا من حيث الغاية :

ان رجلا كاديب الشيشكلي الذي لايمكن ان يأتمنه الانسان على شيء مقدس او منحط ان رجلا كهذا المجرم الذي انتهك حرمة الدستور وداس بقدمه على كرامة القانون ولم يحترم رجالا قضوا عمرهم في النضال ضد الاستعمار ولم يعتبر ويقدر ممثلي الشعب ، ان رجلا كهذا لايمكن تصديقه حين يقول : « تعالوا لنتعاون ، تعالوا ورشحوا انفسكم تعالوا وانعموا بالحريه التي نشرت لكم مبادئها ، انه كذاب وقد ثبت كذبه مرارا كما ثبتت خيانته وعليه لايجوز ائتمانه.»

وكان على الحزب القومي وعلى الشيوعيين بل على الحزب الشيوعي ان يدركا ذلك .

س - والى آخره .. والى آخره ..

ع - والخلاصة :

ابطال ثم اعادة النظر بجميع الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية الغير الشرعية على الشكل التالي :

ابطال مبدئي لجميع الاوضاع الغير الشرعية ثم تقييد هذا الابطال ليكون ساري المفعول بصفة (الصراحة القانونية) وتنويعه حسب الضرورة بحيث يصبح على اربعة اشكال :

١ - ابطال صريح مطلق .

٢ - ابطال مقيد يقرب مفهومه من الالغاء دون ان ينطبق عليه (اقرأ ما يتعلق

بفرنسا عن الابطال الصفحات ٧ - ٨ - ٩ - ١٠)

٣ - الغاء عادي

٤ - ابقاء موقت « للقوانين » ثم محاكمة المشتركين في جميع الاوضاع المذكورة او المؤيدين لها او المستفيدين منها - كل حسب ما اقترف - .

القسم الرابع

الاعتراف بجميل من اعادوا العهد الشرعي « او ساعدوا على اعادته » او من لم يعترفوا على العهد الغير الشرعي او ناهضوه وتقديرهم جميعا كل بقدر ما يستحق ونحت التماثيل لرجالات العالم العربي وانشاء : مقر او مرقد العظماء . :

اذا لم نحترم من يناضل في سبيل نهضة سوريا والعرب ؛ في سبيل انشاء دولة ؛ واذا لم نقدر من يضعون حياتهم رهن المصلحة العامة والواجب فلن تحمس القادرون على خدمة البلاد على الاقدام على اي تضحية الا نادراً لذلك يجب ان نكون عادلين امام هؤلاء فلا ننس لهم على الاقل خدماتهم ونضالهم . والا لن يكون هناك حرمة ولا قيمة للنهضة ،والدولة، والمصلحة العامة،والواجب، اذا لم يكن هناك احترام ولا قيمة لمن يهب حياته في سبيلها ،وعليه، اطالب بتحقيق البنود التالية :

آ - اصدار قانون لنحت ولنصب تماثيل بالمدن، كالسلحات العامة فيها ، والشوارع ،تماثيل لابطال الحرية والاستقلال امثال : ابراهيم هنانو ، يوسف العظمة . فوزي الغزي ، سعد الله الجابري ؛ عبد الرحمن شهبندر ، « في سوريا » سعد زغلول ، احمد اعرابي « في مصر » وغيرهم ..

ب - اعطاء الاوسمة المدنيين والعسكريين الذين ناضلوا في سبيل اعادة

العهد الشرعي للبلاد . او من يناضلون في سبيل اعادة هذا العهد في اي قطر من اقطار البلاد العربية كمصر التي حدث بها او يحدث بهـا انقلابات عسكرية والاعتراف بجميل من ساعدوا على اعادة العهد الشرعي او من لم يعترفوا على العهد الغير الشرعي ؛ وتقديرهم جميعا كل بقدر مايستحق

وبصورة خاصة ترقية رجال الجيش الذين سحقوا او ساهموا في سحـق الطغاة .

ج ـ اصدار قانون خاص لنحت ولنصب تمثال في جبل الحرية والنضال ومعقل ابطال الاستقلال ، للمناضل الكريم سلطان باشا الاطرش . احد حماة هذه الربوع من كل طاغية مستبد .

هـ ـ انشاء مقر او مرقد العظماء (ففي اكثر دول العالم نرى العظيم ممن خدموا الدولة عندما يفارق هذا العالم ، محترما مكرما ، ونرى الدولة تدفنه مع زملائه من العظماء في مكان معين . وقد تنحت له على قبره او قربه تمثالا عظيما اعترافا بخدماته للدولة والانسانية . وهذاماتراه اذا ذهبت اليوم مثلا الى الروسيا او الى الولايات المتحدة الاميركية . حيث ترى في مقر العظماء رسل الانسانية (الصغار) امثال جورج واشنطن وابراهيم لنكولن وقد شخصت تماثيلهم في هذا المقر الاخير الى الابد وهم يوحون للناظر اليهم بالخير والطمأنينة والحب والسلام .

فهل جفت ارض الشرق من امثال هؤلاء العظام الذين شيدوا صرح اميركا ؟؟ لقد كان الشرق مهبط الوحي ومبعث الرسل ، ومنه دوت اصوات اعظم الانسانيين في هذا العالم وعنه اخذ العالم باسره تعاليم الحب والاخـوة والسلام ، فهل ننسى مصادرنا التاريخية الانسانية في جبال الجليل ، و في الصحراء ؛ . . ؟

اني ادعو الشرق الى استئناف سيره للمجد فلقد سبقه بعض تلاميذه الاوروبيين ، فهل ينتفض من خموله وينادي بمن وراءه ويذهب بهم الى الامام مستنيراً بمبادئ الحب والخير والانسانية ؟

ذلك مانأمله في القريب العاجل .... »

القسم الخامس

نتائج العقاب :

١ ـ في اسس النظريات الحقوقية ـ الجزائية

آ ـ ان دراسة تطور الحقوق الجزائية اظهرت لعلماء هذه الحقوق تأثر التشريع بعدة افكار وقد تألف من هذه الافكار عدة نظريات في اساس حق العقاب (اي عدة نظريات في اسس الحقوق الجزائية ـ ونلخص هذه النظريات بما يلي :

نظرية العقد الاجتماعي : وهي النظرية التي سادت (على العموم) في القرن الثامن عشر وتعني ان المجتمع البشري قد نتج عن عقد جرى بين الافراد الاولين من البشر الذين حددوا شروط هذا العقد ووافقوا عليها بحرية تامة وقرروا ان يبنوا مجتمعا بشريا رافضين ان يعيشوا منفردين بالطبيعة

يقول صاحب هذه النظرية جان جاك روسو في كتابه العقد الاجتماعي : ان البشر الذين كانوا يعيشون بالطبيعة منفردين كان لهم انئذ حق معاقبة من يرتكبون ضدهم الاعمال التي كانت تنتهك حرمة حقوقهم ،

ويقول العالم الجزائي بيكاريا : كان (اي لهؤلاء البشر المشار اليهم) لهم حق الدفاع ضد الاعتداءات وان هذا الحق الشخصي هو الذي انتقل المجتمع

واصبح حقاً له بموجب العقد المشار اليه .

ويقول روسو بما معناه : ان الافراد بمدتوقيع هذا العقد ، يوافقون على ان يتعاقبوا في الحالة التي يمسون بها شروطه .

يقول الاستاذ قرداحي : ان هذه النظرية وخصوصا حسب مفهوم بيكاريا حيث تعطي الضحية الى المجتمع حقها الشخصي المحدود بضرورة الدفاع ؛ ان هذه النظرية ذات اساس عقلي مقبول وهي تبني سلطة المعاقبة على الحق والعدل وان هذه النظرية هي بجميع الاحوال اسمى بكثير من نظـــرية الثأر الخاص القديمة ، وانما ترتكز هذه النظرية (اي نظرية العقد الاجتماعي) على فرضية غير صحيحة (انتهى كلام الاستاذ قرداحي) فالمجتمع البشري كان منذ كانت البشرية وقد لازمها دون انقطاع المر تر بلاتون يقول : الانسان حيوان اجتماعي

يقول الاستاذ المذكور : (ان الرجل بالفعل يعيش بالمجتمع ولا يستطيع ان يحيا وحيداً ، والحالة الطبيعية والعقد الذي انهاها هما فرضيتان محضتان لا اثر بهما للواقع . انهما من اقتراح الفيلسوف روسو ليتمكن من المجابهة ضد المغالاة وفظاعات العقوبات القديمة . وايضا ، لانرى لماذا كان الرجل القديم يملك حق المعاقبة كما ان حق الدفاع هو غير شرعي الا في حالة التعدي) .

٢ — النظرية النفعية : وهكذا ترتكز النظرية السابقة على فكرة مغلوطة وقد رفض الانكليزي بنتام الفيلسوف النفعي نظرية العقد الاجتماعي واعتبر النفعية اساسا لحق العقاب .

يقول بنتام ان ما يجعل العقاب عادلا هو فائدته الكبرى ولنقل بصـــورة اخرى هو ضرورته . فالمقترفون هم اعداء عامون . اذن ، يتشرع (اي يصبح

شرعيا) العقاب بفائدته الاجتماعية ، وليس له مقياس آخر الا هذه النفعية (اى الفائدة) .

ان كل عقاب هو بالفعل ، ضرر فردي لانه يسبب عذابا للشخص الذي وقع عليه العقاب ؛ والعقاب ايضا هو ضرر جماعي لانـــه يستلزم مصاريف ، (مصاريف ، انشاء وادامة السجون بصورة خاصة مثلا) فلا يجب اذن تطبيق العقاب الا اذا نتج عن تطبيقه فائدة مقابلة ويجب ان يفرض العقاب من نـاحية اخرى بطريقة يكون بها تحسب وقوعه مرهبا ورادعا عن الجريمة المرغـوب ارتكابها : يجب حساب العقاب (او الجزاء) بطريقة تجعل المرتكب الموضوع امام اختيار احد امرين : وهما اما اقتراف الجريمة وتحمل العقاب او اجتنابهـا والخلاص من العقاب، ان يكون له فائدة بالتجنب .

٣ ـ نظرية التكفير او القصاص . ان المقترف بموجب هذه النظرية يجب ان يجازى لان في شيء من العدل ان يتعاقب من سبب الاذى وان يكفر عن اذاه ويجب ان يتناسب العقاب مع فداحة الضرر ولا يطول الا المرتكبين المسؤولين بمقدار مايمكن تحميلهم مسؤولية الاجرام .وقد عرض بلاتون قديما هذه النظرية ثم اعاد النظر بها (ايمانويل كانت) ودافع عنها جوزيف دوميستر

يقول الاستاذ قرداحي : ان عيب هذه النظريه ، انهـا تداخل (او تخلط) الحقوق الجزائية والاخلاق دون اخذ فداحة ، الارتكابات من وجهة النظر الاجتماعية ، بعين الاعتبار .

٤ ـ النظرية الانتقائية :

حاولت هذه النظرية ان توفق بين فكرة النفعية الاجتماعية وفكرة العدالة فهي تمان : ان للمجتمع حق العقاب ولكن بقدر ما يكون هذا الحق

عادلا ونافعا وليس باكثر من ذلك

ويلاحظ اصحاب هذه النظرية الانتقائية ان نظرية الدفاع عن المجتمع النفعية التي لاتحسب اي حساب لفكرة العدالة تنكر المبدأ الاساسي القائل : بان العقاب يجب ان لايصيب الا الذي يمكن ان نعزو اليه غلطة اخلاقية وان العقاب يجب ان يكون لحد ما متناسبا مع هذه الغلطة .

ان هذه النظرية التي انتشرت حوالي ١٨٣٠ بفضل كوزان ، وكيزو؛ جهدت لتحسب حسابا بآن واحد لفداحة العمل من وجهة النظر الاجتماعية ولمسؤولية الاجرام (*culpabilité*) لدى المرتكب ولكنها ذات تطبيق عملي كثير الصعوبة : فلقد بينت التجربة بالفعل ؛ الاشكال والصعوبة ، والسيئات الفادحة لتحديد درجات المسؤولية عندما تتخذ البحث وتقدير درجة الحرية الاخلاقية للمرتكب اساسا : الامر الذي يقود الى اعتبار المجرم ثلث او ثلثي او ثلاثة ارباع مجرم اخلاقي والى تطبيق ثلث او ثلثي او ثلاثة ارباع العقاب والى اساءة استعمال العقوبات الصغيرة ذات التحديد الكيفي الدائم ، وذلك على حساب قمع الاجرام .

والتشاريع الجزائية في العالم لاتقف نفس الموقف من هذه النظريات : فالقوانين الجزائية الحديثة في العصر الحاضر متأثرة الى حد ما بالنظرية الانتقائية اما قانون الجزاء الفرنسي وهو قانون قديم وضعه الفرنساويون بالسنين الاولى من القرن التاسع عشر فهو يحمل في بعض مواده تأثير النظرية النفعية بالعقاب رغم كثرة التعديلات التي طرأت عليه وهو بالحقيقة قد تحرر تحت تأثير افكار للنظرية النفعية ..

اما التشريع الاسلامي فتغلب عليه نظرية التكفير التي يمكن ان نسميها

بنظرية القصاص . ولكن هذا لايعني ان كل تشريع انفرد بنظرية واقتصر عليها ، لا ، بل انه بالعكس يتبين من مواد اي تشريع في العالم انه متأثر باكثر هذه النظريات لا بواحدة ولكن تغلب عليه واحدة على الغالب اكثر من سائر النظريات

ب ـ حاجتنا للتشديد في العقاب ولكن لحدما كما ذكرنا : ورد في القرآن : « ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب »

ان العقاب عبرة ايضا للمقترف وعبرة للمجرمين وعبرة لمن تحدثهم نفوسهم بالجرعة وعبرة للجميع .

انما في هذه الفترة الانتقالية بسوريا وقريبا في مصر في اشد الحاجة الى ضرورة العقاب ولا يجوز ابدا العفو عن مامضى حتى لايعود الجيش الى ما كان عليه وحتى لايتعاون احد من جديد مع حكومة غير شرعية اما اذا لم نعاقب احداً ولم نكافىء ايضا احدا فسوف يكون عدم العقاب وعدم المكافأة تشجيعا لسائر الناس ليعيدوا الكرة ويفعلوا مثل مافعل غيرهم ، فانه واضح حتى لدى العامة انه من سرق مرة ولم يطله القانون او لم يعاقبه سرق مرة ثانية وتحمس بنشاط الى السرقة اما من سرق وطاله القانون وعوقب فقد لايعود الى السرقة بعد تنفيذ العقاب فيه وقد يكون عقابه درسا للاخرين فيبتعدون عن السرقات والموبقات نعم هناك نظرات في عدم المعاقبة ذات طابع اخلاقي ولكن المجتمع الحقوقي لايستطيع ان يأخذ بها فقد يتحول هذا المجتمع الى فوضى اذا تركنا المجرمين وشأنهم ننتظر منهم دافعا داخليا يردعهم فربما لاتتحرك فيهم هذا الوجدان ويبقى نائما الى الابد . قد نتناسى في قاعة المحكمة الارتكاب الاول ونهمله ونعفو عن المرتكب طمعا في ابقاء الروح الاخلاقية بالمرتكب منتظرين منه ان لايعود لمثل ما اقترف من تلقاء نفسه مكتفين بتخويفه بالعقاب وتصويره له فلعله

يرهب ويخشى مالا يعرفه ، مبتعدين بادىء الامر عن معاقبته لكونها قد تجعله ينفجر فيخرج من السجن مستهينا به ويرتكب الجرائم من جديد ، نعم اقول قد نصل بالمرتكب في اول ارتكاب يقوم به الى العفو عنه من اجل هذه النظرات وقد نخفف عنه الحكم احيانا فقط لنفس هذه النظرات او ما يقاربها ولكننا نرى انفسنا مضطرين الى السير في خط معاكس تماماً معه عندما تتكرر ارتكاباته ، نرانا نشدد الحكم عليه ونجعله يرزح تحت عقاب شديد فحيثلم تكن طريقة العفو والتخفيف ناجعة فلربما تكون طريقة العقاب وطريقة تشديده وازادته ناجعة :

لقد تكررت الانقلابات وما ذلك الا لتساهل السلطات الشرعية بعدم تصفية العهود الغير الشرعية وما ذلك الالعدم قيام السلطات الشرعية بمعاقبة الذين تكرر منهم حوادث الاجرام، وحوادث التلون والتذبذب وتأييد كل عهد من اجل مصالحهم الخاصة . انه من المسلم به اليوم في الحقوق الجزائية :

ان التكرار في الارتكاب ليس فحسب يمنع عدم المعاقبة، ليس فحسب يمنع العفو والتغاضي بل يشدد العقاب على المرتكب وقد يصل الحد بالقانون الى اعدام المرتكب او اقصائه نهائيا عن المجتمع الذي يعيش به اما بسجنه للابد او بنقله الى مكان نائي ، وبالحقيقة ان ثورة صغيرة او كبيرة ؛ او عودة لعهد شرعي ، لاقيمة لها بتاتا بدون تصفية ،فالتصفية لازمة ولو نتج عنها الحكم بالاعدام وما شاكله من الاحكام الثقيلة الشديدة ؛ ان ثورة او انقلابا او عودة لحياة شرعية بدون محاكمات وبدون تصفية وبدون دم عند الحاجة لاقيمة لها ولذلك كله نرى بصورة خاصة ضرورة البحث عن الشيشكلي والقبض عايه ومحاكمته والحكم عليه باقصى العقوبات اذا اقتضى الامر واذا كان الحكم غيابيا فعلى الدولة بعد الحكم ملاحقة هذا المجرم والوصول اليه ولو كان هاربا متواريا ولو كان مختبئا في معقل في

اقاصي المعمورة لتنفيذ الحكم فيه حتى لاتتكرر مثل هذه المآسي التي كادت ان تجعل من العمران خرابا ومن القانون فوضى ومن الحـــرية استعباداً ومن الاستقلال استعماراً اكيداً .

القسم السادس :

(ذكر ما يتعلق بالعقاب من بيان وزارة السيد صبري العسلي) (بدون تعليق)

« ان تصفية العهود الغير الشرعية تصفية قانونية هي من غاية هذا الكتاب وهي امانة في عنق من ادركوها وان طلب تحقيقها هو وثيقة للمؤلف وللمؤمنين بذلك . » :

اصدرت الوزارة الانتقالية على لسان رئيسها صبري العسلي بيانا وزاريا باواسط شهر آذار من عام ١٩٥٤ وردت فيه الجمل التالية المتعلقة بتصفية العهود الغير الشرعية اي بالعقاب والمعاقبة : وهذا هو نصها :

« وتسهيلا لمهمة الحكومة خلال الفترة الانتقالية (١)

---

(١) بل ان سوريا والبلاد العربية لاتزال منذ انتهاء القرن التاسع عشر وبصورة خاصة منذ اليوم الذي تستقل به كل منطقة عربية وتتخلص من الانتداب الى حدما ، اقول ان هذه البلاد منذ ذلك التاريخ حتى اليوم والى المستقبل ونأمل ان يكون المستقبل القريب ، اردد القول ان هذه البلاد منذ ذلك التاريخ هي في طور انتقالي وليس فقط في هذه الفترة العصيبة ، كما ان العالم ايضا بالقرن العشرين هو في طور انتقالي ايضا وهو يتنازع في كل بقعة من بقاع العالم وكانه سوف يتمخض عـــن شيء جديد قد يولد حيا او ميتا .

ستقدم اليكم الحكومة بعض المشاريع المستعجلة التي تقتضيها فترة الانتقال ، لاقرار وتعديل او الغاء بعض القوانين ومنها الحاق قوى الامن الداخلي بوزارة الداخلية والغاء القوانين التي اقتضاها النظام الرئاسي في ممارسة السلطة »

« الثواب والعقاب »

« وترغب الحكومة في ان تعطي المثل الصالح للثواب والعقاب ومكافأة المحسن ومجازاة المسيء تحقيقا في تنفيذ المبادىء والعدل والحق ؛ واصلاحا للفساد الذي ادخله العهد الفارط اذ سخر الدولة وموظفيها في سبيل مآربه واوطاره واننا نرى لابد لتثبيت القيم الفكرية والاخلاقية ان يبحث عن اولئك الذين كانوا عونا للباغي في شروره واثامه وجعلوا انفسهم رهن خدمته وترويج مآربه ولبلوغ هذا الفرض سوف تتقدم الحكومة الى مجلسكم الموقر بمشروع قانون يتضمن الضوابط الواجب تحكيمها في مؤاخذة المسؤولين عن هذا »

(فاذا انجزت الحكومة مهمتها الانتقالية واطمأنت البلاد الى قيام مجلس النواب العتيد قدمت استقالتها وفقا للتقاليد الدستورية المعروفة) وقد انتهى البيان بالفقرة التالية :

(نقف اليوم على آثار ماض قريب مليء بالغصص والالام ونحن مدعوون بما افاء الله علينا من حرمة وشورى وبما انعم علينا من ائتلاف وتضامن ان نمحو هذه الاثار وان نهيء لهذا الشعب المستقبل الذي ترنو اليه ابصارنا وتخفق له قلوبنا وتفكر فيه عقولنا فنساهم في خدمة الحضارة وتقدم المدنية بالنصيب الذي نأمله ونرجوه والله وحده المرتجى في تسديد الخطى والوصول الى الهدف المأمول والسلام) .

« انتهى الكتاب »